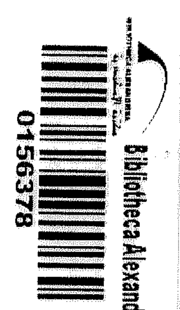




أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى فى الوطن العربى









Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أزمة الخليج
ولغة الحوار السياسي
في الوطن العربي

الطبعــــة الأولـــــى ١٩٩٢

دار سعـــاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفـاة ١٣١٣٣ ـ الكويـت
ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة

رقم الإيداع ١٩٩٢/١٩٩١٠
I.S.B.N. 977 - 00 - 2870 - 3

الاشراف الفنى : حلمى التونى

د

دراسة



أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى فى الوطن العربى

د . حسن وجيه



دار سعاد الصباح



بسم الله الرحمن الرحيم



اهــــــداء

إلـــى مصرنا الحبيبة ... كنانة الله فى أرضـــه ... وإلى كل ذوى العقول المنصفة فى عالمنا

اهدى هذا الجهد وكل جهد .



تقـــديـم

تعتبر أزمـة الخليـج بحـق « الفتنـة الكبرى الثانيـة » في التـاريـخ العـربي الإسلامـي فمنذ « الفتنة الكبرى الأولى » في منتصف القـرن الهجري الأول ، لم يمر العـرب والمسلمون بمثل مـا مروا به في أزمـة الخليج التي بـدأت فصولها الدراميـة المعلنة يوم ٢/٨/ ١٩٩٠ ، عندمـا قام نظام صـدام حسين في العراق بغزو دولة الكويت ، وانتهت آخر فصولها العلنية بانهزام قوات النظام العراقي وانسحابها من الكويت يوم ٢٨/ ٢/ ١٩٩١ .

خلال هذه الشهور الستة تم تدمير الكويت بواسطة قوات النظام العراقي ، وتم تـدمير العراق بواسطة قـوات « التحالف الـدولي » الذي قادته الـولايات المتحدة الأمريكية ، وشاركت فيه حـوالي ثلاثين دولة أجنبية وعربية . ولم يقل هولا عن تدمير بلدين عربيين ، ما أصـاب الشعوب العربية نفسها من انقسام سياسي ، وشقاق اجتماعي ، وانشطار نفسي .

وحدث بهذه الجسامـة ستظل تداعياتـه السياسية والثقافيـة والاجتماعية والاقتصادية تعيش معنا لسنوات طويلة في المستقبل . ويتحمل الزعماء العرب المسئوليـة الأولى عن حدوث هـذه « الفتنة الكبرى » في العقد الأخير مـن القرن العشرين . كما يتحمل المثقفون العرب جزءا كبيرا من هذه المسئولية . وإذا كانت مسئولية السياسيين العرب واضحة جلية ، كما جسمتها قراراتهم قبيل واثناء الأزمة ، فـإن مسئوليـة المثقفين العرب ليسـت بنفس الـدرجة مـن الوضـوح والجلاء للمـواطـن العـادي . فـدور المثقفين هـو ان يفسروا ويعبروا وينقـدوا ويلهمـوا ابناء الأمـة ، وخـاصة في لحظـة الأزمـات . ولكن المثقفين العـرب لم

يقصروا فقط في هذا الدور ، وإنما اسهمت أغلبيتهم في زيادة البلبلة والتخبط ولم يتخل المثقفون العرب عن مهمة « قيادة » الجماهير فحسب ، بل ان الكثيرين منهم « انقادوا » لغرائز ومشاعر هذه الجماهير .

ولجسامة الحدث ولاخفاق المثقفين العرب في التعامل معه ، فقد رأى مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية أن يقوم بمشروع بحثي لتحليل « مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج » . وحشد المركز لهذه المهمة فريقا كبيرا من الباحثين العرب المدربين في منهجيات تحليل المضمون . ووفر المركز لهم مادة علمية ضخمة مما كتبه المثقفون العرب حول أزمة الخليج في الصحف والمجلات والدوريات والكتب . وصاغ الفريق إطارا مفهوميا عاما للاسترشاد به . وفيما يلي نقدم الخطوط العامة للمشروع .

١ ـ مفهوم المشروع

إن غزو العراق لدولة الكويت قد فتح ملفات وحسابات عديدة . ولم يكشف هذا الغزو فقط عن اختلالات وتناقضات في هياكل النظام العربي القديم ، وإنما أيضا عن اختلالات وتناقضات موازية ، بل وربما أكثر عمقا ، في بنية العقل العربي وفي مقولات الفكر العربي التي افرزها ، شكلا ومضمونا . ويمثل الكم الهائل من الكتابات التي نشرت منذ تفجر أزمة الخليج مادة حية للتأمل والتحليل . ففي مثل هذا التأمل والتحليل فرصة لتبين تضاريس العقل العربي والشخصية العربية والسلوك العربي النخبوي والشعبي على السواء . وأهم من ذلك ، تمثل هذه المادة الفكرية المتدفقة ، فرصة لاستشراف معارك التسعينيات ، كما ستدار بالكلمات أو الطلقات ، وكما يمكن أن تستقر مرحليا في شكل مؤسسات وممارسات وطنية وقومية سيتكون منها النظام الإقليمي العربي الجديد . ومن ثم كانت هناك ضرورة ملحة لعمل بحثي موضوعي في هذا الصدد . واخذ مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية على عاتقه القيام بهذا

العمل البحثي وجند له نخبة متميزة من المفكرين والأكاديميين والاعلاميين العرب .

٢ ـ أهداف المشروع

ويهدف هذا المشروع البحثي إلى تحليل مضمون الفكر العربي خلال فترة زمنية قصيرة نسبيا ، وهي الشهور التي صاحبت أزمة الخليج ، منذ بدايتها الكلامية ، مرورا بغزو العراق للكويت ، وانتهاء بالمواجهات المسلحة التي اشتركت فيها أطراف عربية وأجنبية عديدة .

إن فكر أي مجتمع قومي هو سيرورة مستمرة ، قد تتفاوت في زخمها من لحظة لأخرى ، إلا أنها لا تنقطع ابدا . ورغم ذلك فإن هذا المشروع سيكتفي بتحليل مضمون الفكر العربي خلال شهور الأزمة ، وان لم تخلو أيضا من جدة علمية ومنهجية . ففي لحظات الدراما المجتمعية تظهر المخاوف والهواجس والتوقعات والآمال بصورة حادة ، حتى وان اتسمت بالبلبلة والاختلاط في هوامشها . وليس هناك من لحظات كثيرة في التاريخ العربي الحديث أكثر درامية من أزمة الخليج التي تفجرت يوم ٢/٨/ ١٩٩٠ .

ومن ثم فإن رصد وتسجيل وتحليل مضمون الفكر العربي في هذه اللحظة، على قصرها ينطوي على أهمية قصوى لأبناء الأجيال العربية المعاصرة التي تعيش دوامة أزمة الخليج ، ولأبناء الأجيال العربية الصاعدة والقادمة ، التي من المحتم ان تعيش مع كل تداعياتها الايجابية والسلبية . بل ربما يكون في مثل هذا الرصد والتسجيل والتحليل سبيلا لتقليص التداعيات السلبية وتعظيم التداعيات الإيجابية .

٣ ـ إطار المشروع

لقد كشفت أزمة الخليج عن انقسامات عربية عميقة ، لا فقط بين الأنظمة

الحاكمة ، ولكن أيضا بين الشعوب العربية ، بل واحيانا داخل كل فرد عربي وفاقم من هذه الانقسامات التداخل السريع بين فواعل النظام العالمي وفواعل النظام الإقليمي العربي من ناحية ، والتدافع السريع لقضايا أخرى ، كانت كامنة في بنية النظام العربي والعقل العربي ، إلى قلب الأزمة من ناحية أخرى .

لذلك فإن تحليل مضمون الفكر العربي المصاحب للأزمة ينطوي على رصد وتحليل الجوانب التالية ، في مهام بحثية فرعية :

٣ ـ ١ ـ حجم الاهتمام بالأزمة

مع ان كل مفكري الأمة قد اهتموا بأزمة الخليج ، إلا أن حجم ودرجات هذا الاهتمام قد تفاوتت من قطر عربي إلى قطر عربي آخر ، ومن مرحلة إلى أخرى ، ومن اتجاه ايديولوجي إلى اتجاه ايديولوجي آخر . وتمثل هذه المهمة البحثية اقترابا كميا أوليا من الموضوع ، ومحاولة تفسير هذا التفاوت استنادا إلى متغيرات هيكلية ، منها موقع وموضع كل قطر من الأزمة ، وموقع وموضع أصحاب كل اتجاه فكري من سلطة اتخاذ القرار داخل كل قطر .

٣ ـ ٢ ـ طبيعة الاهتمام بالأزمة

مع هذه المهمة ينتقل مشروع البحث من « كم » الاهتمام إلى « نوع » الاهتمام . هنا يتم الكشف عن مضمون الاتجاهات والمواقف ، وعن المرامي الاقناعية والتحريضية ، الصريحة أو المستترة ، للخطاب الفكري نحو سياسات مرجوة من صانع القرار الوطني أو القومي أو العالمي ، ومن نتائج مبتغاة لهذه السياسات . وتمثل هذه المهمة اقترابا « كيفيا » أكثر تعمقا في الفكر العربي حول الأزمة ، وسعيا لمزيد من الفرز والتصنيف وتفسير الاختلاف والتفاوت .

٣ ـ ٣ ـ من أزمة الخليج إلى أزمة النظام العربي

مع هذه المهمة يتم رصد وتحليل « القضايا » الأخرى التي اثيرت بمناسبة الأسباب والمظاهر المباشرة لأزمة الخليج (وهي غزو العراق للكويت) . أي مدى تواتر ذكر « حسابات » أخرى في خطاب المفكرين العرب وهم يتناولون

الأزمة ، ومدى ربطهم وكيفية ربطهم لهذه الحسابات مع أزمة الخليج . ويدخل في ذلك القضية الفلسطينية ، والقضية الاجتماعية ، وقضية الوحدة العربية ، وقضية التنمية ، وقضية الديموقراطية ، وقضية العلاقة بالعالم الخارجي عموما وبالغرب خصوصا . وتمثل هذه المهمة اقترابا اعمق إلى بنية العقل العربي منهجيا وسياسيا واخلاقيا .

٣ ـ ٤ ـ من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

في هذه المهمة يتم رصد وتحليل ماورد في خطاب المفكرين العرب من تواتر لهموم « ماضوية » ، وأخرى « لحظية » ، وثالثة « مستقبلية » . بتعبير آخر رصد مدى التفاوت في الاهتمام بتصفية حسابات قديمة ، مقارنا بالاهتمام باحتواء أزمة الخليج وتداعياتها المباشرة من ناحية ، وبصياغة رؤية لنظام عربي جديد من ناحية ثالثة . وفي كل الأحوال فإننا نبحث عن مضامين ووسائل هذا الاهتمام بالماضي أو الحاضر أو المستقبل . وتمثل هذه المهمة اقترابا أكثر شمولا لتضاريس العقل العربي من حيث رقعة وزمان الاهتمام .

٣ ـ ٥ ـ الاتساق والتناقض في الخطابات الفكرية

في هذه المهمة يتم التركيز التحليلي للمضمون على درجات الاتساق أو التناقض في الخطابات الفكرية حول الأزمة ، سواء عند نفس الكاتب ، أو الاتجاه الايديولوجي ، طبقا لمرجعيات بعينها يستشهد بها الكاتب نفسه أو ينطلق منها ضمنا . كما يتم بالنسبة لكتاب بارزين تحديدا رصد وتحليل خطابهم الفكري العام (قبل الأزمة) ومقارنته بخطابهم حول أزمة الخليج ، لاكتشاف مدى الاتساق والتناقض في مشروعهم الفكري ـ السياسي العام ، ومحاولة تفسير هذا الاتساق أو التناقض باستخدام منهجيات ومقولات علم الاجتماع المعرفي ومجال اللغويات السياسية.

٤ ـ نتاج المشروع

انطوى مشروع « تحليل مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج » على

التعامل مع أكثر من عشرة آلاف مقال رأي ، ظهرت في الصحف والمجلات والدوريات العربية خلال العام الذي بدأ يوم ٢/٨/١٩٩٠ (غزو العراق للكويت) وانتهى يوم ٢/٨/١٩٩١ . كما انطوى المشروع على تحليل ما لايقل عن مائة كتاب ظهرت في نفس المدة لمؤلفين عرب . هذا عدا البيانات الرسمية التي صدرت عن رؤساء ووزراء عرب حول أزمة الخليج ، وكذلك ما صدر عن الأحزاب والتيارات السياسية والتنظيمات الشعبية حيال الأزمة في كل مراحلها.

وقد تم التعامل مع هذا الحجم الهائل من المواد بطريقتين رئيسيتين . أولهما، « التحليل الكمي » لمضمون هذه المادة باستخدام تقنيات مقننة ، وادخالها «للحاسوب» (الكمبيوتر) ، بقصد اكتشاف الانماط الشائعة للتفكير والتحليل والتعبير ، كما يجسمها السلوك اللفظي المكتوب ، وربط كل نمط بمتغيرات قطرية وايديولوجية وجيلية . وثانيتهما « التحليل الكيفي » لنفس المادة بواسطة باحثين ـ خبراء من الاكاديميين والاعلاميين ، تاركين لهم هامشا واسعا من الحرية في الاستقراء والاستنتاج ، باستخدام احد المنهجيات المعتمدة في العلوم الاجتماعية ، شريطة ان يقدموا دراساتهم بفصل عن القواعد التي اتبعوها ، وتاركين للقارئ حرية الحكم على مستوى الموضوعية والانصاف في اجتهادات كل باحث .

ونيتنا ان يصدر هذا المشروع البحثي الكبير عشرة دراسات علي الأقل ، تظهر تباعا خلال عام ١٩٩٢ . ومع يقيننا ان هذه الدراسات العشر لن تقول الكلمة الأخيرة أو الفاصلة في فهم الكيفية التي تعامل بها العقل العربي مع أزمة طاحنة ، مثل أزمة الخليج إلا أننا نرجو ان نكون بذلك قد اسهمنا بأول مجهود علمي منظم نحو هذا الهدف .

وانطلاقا من كل من سبق نقدم هذا الكتاب بعنوان « أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي . للدكتور حسن وجيه أستاذ علمي اللغة

والعلاقات الدولية بجامعة الأزهر وفيه يرسى الكاتب الأصول المنهجية العامة لتحليل لغة الخطاب والحوار الاجتماعي والسياسي العربي حول أزمة الخليج . وهي دراسة الطريقة الكيفية في التحليل . والدكتور حسن وجيه هو احد البراعم الشابة والواعدة في مجال « اللغويات الاجتماعية والسياسية » - (Socio political Linguistics) ، وهو مجال جديد في جامعاتنا العربية . وقد تتلمذ فيه الدكتور حسن وجيه على يد أساتذة كبار في جامعتي جورجتاون وتكساس بالولايات المتحدة . وقد عمل الدكتور حسن وجيه بهمة بالغة في المشروع منذ كان فكرة جنينية إلى ان اكتمل ، على مدى ستة عشر شهرا . لذلك فله منا كل التحية والتقدير .

ولا يفوتني ان اقدم أعمق الشكر والامتنان لبقية أعضاء الفريق الذين اسهموا مع الدكتور حسن وجيه ومعي في اتمام هذا العمل المضني ، والذين تظهر اسماؤهم في نهاية كل دراسات المشروع المنشورة .

واخيرا فإن دراسات المشروع تنشر كعمل مشترك بين دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ومركز ابن خلدون للدراسات الانمائية . وما كان للمشروع كله ان يتحقق وتنشر دراساته على نطاق واسع لولا الدعم المادي والمعنوي الذي قدمته الدكتورة سعاد الصباح . ورغم هذا الدعم الهائل إلا أن هذه السيدة العربية الفاضلة لم تتدخل في كبيرة أو صغيرة من أعمال المشروع ، واحترمت الحرية الاكاديمية والفكرية للعاملين في المشروع احتراما صارما . فلها الشكر مرتان ـ مرة لدعمها المادي والمعنوي ، ومرة لحرصها الشديد على احترام الحرية الفكرية للباحثين في المشروع .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

سعد الدين إبراهيم
رئيس مركز ابن خلدون
والمنسق العام للمشروع

هيئة البحث في مشروع
تحليل مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج

د . سعد الدين إبراهيم	المنسق العام للمشروع
د . على ليلة	المشرف على التحليل الكمي للمشروع
د . حسن وجيه	عضو الفريق (تحليل لغة الحوار)
د . ضياء الدين زاهر	عضو الفريق (تحليل اتجاهات ايديولوجية)
د . محمود الكردي	عضو الفريق (تحليل اتجاهات ايديولوجية)
د. كمال عبد اللطيف	عضو الفريق (تحليل حالة المغرب)
د . عاطف عضيبات	عضو الفريق (تحليل حالة الأردن)
د . عبد الباقي الهرماسي	عضو الفريق (تحليل حالة تونس)
أ . حسن عامر	عضو الفريق (تحليل حالات مفكرين)
أ . عبد العاطي محمد	عضو الفريق (تحليل حالات مفكرين)
أ . هشام عثمان	عضو الفريق (سكرتارية المشروع)

سلسلة مشروع تحليل مضمون الفكر العربى حول أزمة الخليج

أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى
فى الوطن العربى

د . حسن وجيه

الناشر : دار سعاد الصباح
القاهرة
ديسمبر ١٩٩١



المقدمة

نحو صياغة جديدة للغة الحوار فى عمليات التفاوض السياسى والاجتماعى

لم تكن تفاعلات أزمة الخليج وليدة ذات هذه الأزمه بعينها ولكنها كانت تمثل فى واقعها ذروة تلك الأزمة المزمنه التى كان ولا يزال يعانى منها العالم العربى سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأى العام . وتظهر أعراض هذه الأزمة المزمنه من خلال هذا الكم الهائل من السلبيات التى ترسخت فى أنماط واستراتيجيات الحوار التفاوضى اليومى فى العالم العربى وبنسب متفاوته بين البلدان العربية المختلفة والتى تتم عملية ممارستها فى أغلب الاحيان بطريقة لاشعورية ، الامر الذى انتشرت معه نداءات الكثيرين قبل أزمة الخليج بشأن أهمية مراعاة "ادب الحوار" "وآداب الخطاب العام" ، "والموضوعية فى الحوار" وإلى غير ذلك من تعبيرات متشابهه ، ولقد زاد تردد هذه النداءات فى ذروة أزمة الخليج ووصل الامر إلى أن وقف رئيس أكبر دولة عربية يناشد الأمه العربيه بأكملها أن تتمسك بأسس الحوار الموضوعيه فى أكثر لحظات عملية التفاوض العربيه العربية حرجاً والتى كان من شأنها محاولة احتواء الكارثة . من هنا تحاول هذه الدراسه الاولية تقديم تحليل علمى لظاهرة من أخطر ظواهر التفاعلات العربيه وهى الخاصة باشكاليات وسلبيات الحوار . فهذه السلبيات لاترجع الى وجود أزمة أخلاقية فقط كما يرى ذلك جمهرة

كبيرة من الباحثين وأعضاء النخبة العربية ولكن الأمر يرجع اساساً إلى افتقاد التـآلف مـع تقنيات وديناميكيات التفاعلات الحوارية التفاوضيه المعقدة وخاصه أساليب إقامة وتفنيد الحجج . إن هذا الامر اصبح من أهم ما تتناوله بالتحليل والدراسه والتدريس احدث البرامج اللغويه الحديثه التى تعنى بدراسه عملية فهم وانتاج وتداول التركيبات اللغوية المسموعه والمكتوبه فى السياقات المختلفه وتعنى كذلك بتحديد انسب الوسائل والاستراتيجيات اللغويه النفسية والاجتماعيه والسياسيه لادارة الحوار وتجنب عوامل الشقاق وفهم طبيعة التعقيدات الملازمه لعمليات التفاعل والتواصل التى تصاحب الحوار اليومى ومضامينه المتعددة ، فعمليات التفاعل والتواصل هذه عادة لا يلتفت اليها المتحدث العادى بنوع من التأمل والملاحظة أو الدراسة العلمية الموضوعيه ولكن يستجيب اليها الغالبية فى شكل ردود أفعال حواريه تلقائيه وذاتيه لاتسمح عادة بالقدرة على اقتفاء أثر سبب الخطأ وتحديد نوعه مما يؤدى الى عدم التآلف مع الآخرين وفى كثير من حالات تفاعلاتنا العربية يحدث الشقاق .

وتتبنى هذه الدراسة منظوراً مفاده أن عملية التفاوض على المستوى الاجتماعى ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها ، وأن زادت الأخيرة – بطبيعة الحال – فى حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها فلكل من نوعى التفاوض تعقيدات بالغة الضخامة ينبغى النظر اليها بإسلوب شمولى فى إطار نظام القيم الأجتماعية والثقافية السائدة وكذلك فى إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر أتساعاً وتعقيداً . ومن هذا المنطلق تستعرض هذه الدراسة أنماطًا من الحوار اليومى التى تتجسد أيضا فى الحوار السياسى وبالعكس .

من كل هذه المنطلقات وكذلك من منطلق التغيرات الهائلة التى يشهدها العالم وفى ظل المحاولات الراهنة لتوسيع وتعميق المسار الديمقراطى وأيضاً فى

ظل هـذا الكم الكبير من الخطـابات المتصارعـة للأحزاب والجماعـات المختلفة وجب تعميق الاحساس بالطبيعة التقنية لـديناميكيات لغة الحوار ومواجهة ما نود إن نطلق عليه تعبير « **خطايا الحوار التفاوضى**» أو بمعنى آخر «**خطاب الفاولات**» الذى أصبح يهيمن بشكل غـريب على عمليات التفاوض الاجتماعى والسياسى التى تشهدها الساحة العربية على كافة الاصعدة ، إذ أن إستمرارية هيمنة «خطـاب الفاولات» هذا يمثل بـل شك أكبر عقبات التنمية بكـل إشكالها وبالتالى فإن وضـع حد لهيمنة هذا «الخطاب» على نحو علمى يمثل نقطة البداية لضبط الاسس والمعايير اللازمة لحوار البناء من الداخل وإدارة الصراع بكفاءة فى الخارج وهذا ماتطمح هـذه الدراسة الاولية فى جهد الاسهام فيـه مع تجنب المصطلحات الفنيـة قدر الامكان فيما عدا فى الفصلين الاول والثـانى الخاصين بالمنهجيـة - كذلـك روعى توضيـح اى مصطلح فنى بـاسلوب مُبسـط بقدر الامكان ودعمنـا ذلك بالامثلـة الحية من تفـاعلات الازمة الاجتماعيـة المزمنة وازمة الخليج ، الامر الذى يسمح للمتخصـص وغير المتخصص ان يتفاعل مع هذه الدراسه والله ولى التوفيق وهو سبحانه المستعان .

المؤلـــف


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة شكر وتقدير

فى ختام هـذه المقدمـة أود أن اتقدم بـالشكر إلى كـل هؤلاء الـذين قـاموا بتشجيعى على المُضى فى دراسة موضوع هذا البحث والذى تمثل هذه الدراسة الاولية نقطة البداية فيه . وأود أن أخص بالشكر الزملاء والاساتذة فى مشروع " تحليل مضمون الفكر العربى حول أزمة الخليج " بمركز ابن خلدون وأخص بالشكر د. سعد الدين ابراهيم الذى كان لتشجيعه المعنوى وملاحظاته العلمية أكبر الاثر فى اخراج هـذه الدراسة لحيز الضـوء . كذلك أود أن أشكرالاسـاتذة والزملاء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام وخاصة ـ وبكل الامتنان ـ الاستاذ السيد يسين ود. أسامة الغزالى حرب لدعوتهما لى بأن أنظم نـدوة بالمركـز عن منهجيـة تحليل النـص وديناميكيـات لغة الحوار فى اطـار سياقات التفاعلات المختلفة ، الامر الذى اتاح لى فرصة كبيرة للتفاعل مع حشد كبير من اعضاء النخبة الذين أود أن أتوجه إليهم بالشكر والاعزاز لما ابدوه من ملاحظات هامة وقيمة واخص بالشكر د.رمزى رضوان عميد كلية اللغات ود. جعفر عبد السلام ود. محمـد ابراهيم والاستاذ صالح ابـو السعادات بجامعة الأزهر وللسفير فوزى الابراشـى مدير المعهد الدبلوماسـى حينذاك وللدكتور عبد الله الاشعل بوزارة الخارجيـة وللسفير أشرف غربال ود. جهاد عودة ود. محمـد السيد سعيـد والاستاذ نبيـل عبد الفتـاح ود. طـه عبد العليـم بمركـز الدراسـات والدكتور على الـدين هـلال ود. نصر ابوزيد ود. محمـد عنان ود. نجيب حسنـى بجامعـة القاهـرة ود. السعيد بـدوى ود. على فرغلى ود. عـلاء

الجبالى ود. هدى راغب بالجامعة الامريكية ود. يونان لبيب ود. عبد العزيز نوار ود. محمد عبد الوهاب ود. تغريد عنبر بجامعة عين شمس وأود أن اتوجهه بالشكر الخاص للأستاذ سامي خشبه الذي جعل من صفحة الفكر الثقافي بجريدة الأهرام ساحة ثرية لتفاعل كل المهتمين بنقد ثقافة الحاضر وبناء ثقافة المستقبل .. كذلك اعبر عن شكري للصديق العزيز د. عبد المنعم سعيد الذى كان للحوار معه على فترات بعضها فى الولايات المتحدة اثناء فترة ابتعاثى وبعضها الاخر فى مصرنا الحبيبة اثرًا مثمرًا . أما على مستوى الاقرباء والاصدقاء الذين كان للحورات اليومية معهم ولتعليقاتهم اثرها الهام فى محاولة تأمل ظاهرة الحوار ذاته أود أن أعبر عن شكرى بكل العرفان والتقدير الخاص لوالدى م. محمد وجيه حسن ووالدتى أ. اعتدال فهمى وكذلك اتوجه بالشكر العميق إلى فهمى وجيه وايمان عبد الرازق والمستشار محمد عبدالرازق، أ. امال فهمى وأيمن عبد الرازق ود . علاء عبد الرازق، وفاتن وجيه وعبد اللطيف البيلى وكذلك أريد أن أشكر أ . محمود فهمى وحسام ونيس ومحمد خيري وحسام خلف، وأ.احلام فهمى وأ .مختار فهمى وأ. يوسف حسنين و أ. انشراح فهمي واللواء حمدى حسن أ. زلفى عاصم أ. شريف حسن أ. مدحت فهمى و أ . الناقد مصطفي عبد الله و د . أحمد تيمور وفى النهاية أود أن أعبر عن شكرى الخاص للملاحظات التحريرية التى ابدتها أ. غادة منير بخصوص هذه الدراسة . وأود ان اعبر عن شكرى وعرفانى لجميع أساتذتى الافاضل واخص بالذكر المرحوم د . شكرى مصطفى ود . محسن أبو سعدة ود . وجدى الفيشاوى ود . عبد الرحمن جابر .

محتويات الدراسة



موجز لمحتوى الدراسة

تنقسم هذه الدراسة الى خمسة فصول يقدم **الفصل الأول** مدخلاً عاماً لأطر تحليل النص ولغة الحوار ويقدم **الفصل الثاني** ما أسماه الباحث «بمنظور لغويات التفاوض» وهذا المنظور يستمد أطر تحليلاته من علم اللغويات الاجتماعية والعلاقات الدولية والعلوم السياسية . ويتم من خلال «منظور لغويات التفاوض» الاجابة على بعض الاسئلة المنهجية التى توضح مدى الحاجة إلى هذا المنظور وعلاقته بطرق تحليل المضمون . كذلك يتم في هذا الفصل ايضّا توضيح عناصر «قدرات ومهارات الحوار التفاوضى » والتى يمثل عدم الالمام بها قصوراً يشكل بدوره السبب الرئيسى فى هيمنة ما اسميناه «بخطاب الفاولات» . ويحدد **الفصل الثالث** المنظور الشمولى لخريطة تفاعلات الازمةبهدف التعرف على خصوصية أزمة الخليج فى إطار أدبيات الازمات الدولية السابقة وديناميكيات التفاعل الخاصة بها .

أما **الفصل الرابع** فيتعرض بالتحليل الى طبيعة إشكاليات التفاوض العربية الدولية والعربية العربية . ويحاول الباحث من خلال هذا الفصل أن يقدم صورة شمولية لتلك الأنماط الحوارية السلبية التى تسبب رسوخها فى تفاعلاتنا اليومية والتى تجسدت بصورة لم يسبق لها مثيل فى تفاعلات أزمة الخليج الى مزيد من تأزم الموقف الى الحد الذى أدى الى فشل عمليات التفاوض العربية العربية والتى كان الهدف الاساسى منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت . كذلك يعنى هذا الفصل بالقاء الضوء على نوعية الدراسات السابقة

التى عنيت بتحليل إشكاليات الواقع الثقافى العربى . ومن هذا المنطلق يستعرض هذا الفصل مجموعتين من الاشكاليات : المجموعة الأولى توضح ديناميكيات التفاوض العربية الدولية فى سياق هذه الإزمة كأزمة دولية وصراع الشخصيات والأنظمة المتفاوضه فى إطارها مع توضيح تشابك هذه الديناميكيات مع مجموعة الاشكالية الثانيه والتى تتمثل فى تلك الأنماط السلبية الرئيسية للتفاعل وهى تشكل جوهر ما أسميناه «بخطاب الفاولات» فى عالمنا العربى . كذلك يقدم هذا الفصل مدخلاً أخرًا يهدف الى المزيد من توضيح المقصود بهذه الأنماط أما **الفصل الخامس** فيقدم تحليلاً لعناصر إقامة الحجج وتفنيدها من منظور لغويات التفاوض ثم يتم استعراض العديد من الأنماط السلبية الأخرى التى توضح بصورة مباشرة الخلل فى عملية إقامة الحجج من خلال عرض نماذج من تفاعلات إزمة الخليج وكذلك الأزمة الأجتماعية الثقافية المزمنة .

الفصل الأول
مدخل عام لأطر تحليل النص ولغة الحوار

يقدم هذا الفصل منظورين أساسيين يمكن من خلالهما إلقاء الضوء على ديناميكيات لغة الحوار. والمنظور الأول هو منظور التحليل العلمي للنص وديناميكيات لغة الحوار (المطارحات/الخطاب) وهو ذلك المنظور الذي يمثل مدخلاً عاماً نتعرف من خلاله علي الأطر العامة لتحليل النص والحوار، وهو المنظور الذي تنبثق عنه هذه الدراسة.

أما المنظور الثاني والذي وجدنا أهمية تقديم عرض موجز له فهو المنظور التربوي (التعليمي) والديموقراطي للغة الحوار والذي يمثل بعداً آخر له أهميته الكبيرة عند النظر بشمولية للمشكلة موضع الدراسة.

المنظور الأول :التحليل العلمي «للنص» و ديناميكيات لغة الحوار

أولاً: إشكالية التعريف

يرتبط تعبير «تحليل النص» (T.A) Text Analysis وتحليل «ديناميكيات لغة الحوار» وبمعنى آخر ماقد نسميه بالمطارحات "Discourse Analysis (D.A) بعضهما البعض بطريقة متداخلة وكثيرا من الأحيان ما يستخدم بعضُ المتخصصين التعبيرين تبادليا (على سبيل المثال أنظر تنين Tannen ١٩٨١ و Cicourel شيكوريل ١٩٧٥).

ولكنه في واقع الأمر يظل لتعبير المطارحات (D.A) معنى إصطلاحيًا خاصًا فى علم اللغويات ، فهذا التعبير يشير إلى مرحلة بداية السبعينات حيث بدأ

إهتمام خـاص مـن قبـل علماء اللغـويات بتحليـل يتخطـى مستـوى الجملـة " sentence level" الذى كان سائدا فى النماذج والنظريـات السابقة ـ إلى تحليل على مستوى المطارحة بأكملها "Discourse level" ليشمل ذلك تحليـل المقولة المكتوبة أوا لمنطوقة والجدليات " Argumentation" الموجودة بها فى شموليتها (أنظر براون ويول "Brown & Yule" ١٩٨٣ ، مايكل ستبز " Michael stubbs" ١٩٨٣ وبولينجر " Bolinger" ١٩٧٩) ولقد إرتبط تعبير «تحليل المطارحات » (D.A) إرتباطا وثيقًـا بتعبير التفاعل الحوارى"Conversational Interaction" أكثر مـن إرتباطه بتحليل النـص المكتوب الثابت . فـإننا إذا ما نظرنـا إلى كتاب كولثارد" Coulthard " بعنوان « تحليل المطارحات » (D.A) ١٩٧٧ نجده ليس سوى تحليل للمحادثات .

وإذا ما تـأملنا تعبير تحليـل النص "Text Analysis"نجد أنه هـو الأخر قد إرتبط إرتبـاطا كبيرا بتعبير «تحليـل المضمون» أو Content Analysis (C.A) ولقد شاع تعبير «تحليل المضمون » فى مجال العلوم السيـاسية وكذلك فى النقد الأدبى وإن إختلفـت طرق التحليـل فى كليهما. ويعرف تحليـل المضمون بـأنه «أسلوب فى البحث لوصف المحتوى الظاهـر للإتصال وصفا موضوعيا منظما وكميا» (برلسون ١٩٥٢).

بينما شـاع تعبير «تحليل المطـارحـات » (D.A) فى مجال اللغـويات وعلـم الإجتماع أكثـر ويعنـى بمعـالجة المعانـى الكـامنـة للكلمات والأفكـار(Deep structure) وكذلك بالعمليات الوظائفية اللغـوية التى تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو ما يسمى بـ"Discourse" ومن هنا بـدأ فريق من علماء اللغـويات يهتـم بـوضـع إجـروميـات ليســت على مستـوى الجملـة كما كـان العهـد بالإجروميات التقليدية ولكن بوضع إجروميات على مستوى المطارحة بأكملها وبدأت مرحلة جديدة تتردد فيها تعبيرات مثل « قواعد المطارحات »(Discourse Rules) «وإجروميات المطـارحات » "Discourse Grammar" أنظر على سبيـل

المثال بيكر (Becker) ١٩٨٤، وبراون ويول (Brown & Yule) ١٩٨٣، ومايكل ستبز (Stubbs) ١٩٨٣.

ولتوضيح حقيقة معنى تعبيرى « تحليل النص »(TA) « وتحليل المطارحات (D.A)» نجد أن البعض لا يستخدمهما إستخدامًا تبادليا كما ذكرنا آنفا بل يستخدم تعبير تحليل النص (T . A) كجزء من الكل .. والكل هنا هو تعبير «تحليل المطارحات »(D.A)أنظر بيكر (Becker) ١٩٨٤ .

واذا كانت هناك إشكالية على الصعيد العربى فى التفريق بين «تحليل النص» (T.A) وبين ما أطلق عليه تعبير «تحليل الخطاب» كترجمة إصطلاحية لتعبير (Discourse Analysis) والذى يُفضل ترجمته الى تعبير «تحليل المطارحات» فإن هذه الإشكالية ترجع الى وجود كلمة Discourse باللغة الإنجليزية والتى تعبر عن كافة الأشكال والصيغ والوسائل اللغوية المختلفة المكتوبة والمنطوقة بينما لايوجد بالعربية مرادف مواز لها ومن هنا كانت كلمة «المطارحات» أقرب الكلمات تحقيقا لمعنى الكلمة الإنجليزية(١). وإن كانت كلمة «خطاب» هي الأكثر شيوعاً بطبيعة الحال بين البعض.

وفى النهاية فكلا التعبيرين «تحليل النص»(T.A) وتحليل المطارحات (D.A) « الخطاب» لا يمكن إعتبارهما منفصلين ولكنهما يمثلان شكلين لعمق واحد يعنى بمحاولة التعرف على طبيعة الرسائل والمنظومات المختلفة فى طبيعتها وأهدافها ...فالمطارحات المكتوبة هى «نص»(Text) تماما كما قد تصبح الكلمات المنطوقة فى الحديث نصا هى الأخرى وبالتالى يمكننا إعتبار أن تعبيرى «المطارحات»و«النص» كلاهما يتداخل مع الآخر تداخلاً كبيرًا وإن عبرت كلمة المطارحات عن شمولية أكبر وعن طبيعة أكثر ديناميكية من كلمة «النص».

ثانياً : طبيعة الدراسات الحديثة لتحليل «النص» و«المطارحات» / «الخطاب»

إن عمليات «تحليل النصوص» و«تحليل المطارحات» لم تعد موضع إهتمام

فريق من المتخصصين دون غيره فهذه الموضوعات حيوية لكافة التخصصات بكل تأكيد ولذلك فإن إهتمام علماء اللغويات بهذا الأمر فى العقدين الأخيرين والذى صاحبه مزيد من البرامج الإزدواجية فى علم اللغويات (Interdisciplinary linguistic programs)قد إجتذب العديد من المتخصصين فى معظم المجالات فى إطار هذه البرامج الإزدواجية وأصبح ناتج هذه البرامج يصب فى محاولات الإجابة على أسئلة مركزية تهتم بها النظرية اللغوية الكبرى "The Grand linguistic theory" وهذه الأسئلة تتعلق بالنقاط التالية:

(١) كيف تستخدم التركيبات النحوية والدلالية والوظيفية,syntactic) semantic & pragmatic structures)لتحقيق هدفاً إتصالى ما سواء كان فى سياق إجتماعى [على سبيل المثال أنظر"Labov " ١٩٧٢ ، جمبرز "Gumperz" ١٩٨٢] أو سياق قانونى [أنظر شاى"Shuy" ١٩٨١، وفولر"Fowler" ١٩٧٩] أو سياق تعليمى]نظر كولثارد "Coulthard" ١٩٧٧، "Hassan - wagieh" ١٩٨٧ (١٩٩١) [أو سياق طب نفسى]أنظر تشايكا "Chaika" ١٩٧٤[أو سياق أدبى] أنظر تنين"Tannen" ١٩٨٨، وهايمز "Hymes"١٩٨٠] أو سياق لغويات الكمبيوتر–وهى الخاصة بالترجمة ولغات الكومبيوتر ودراسات الذكاء الصناعى–[أنظر على سبيل المثال موليرى "Mallery" ١٩٨٧، ودفى "Duffy"١٩٨٨] وفى السياق الدينى /أنظر فيرجسون "Ferguson" ١٩٧٦، وسامرين"Samarin"١٩٧٦] إلخ..

---

(١) بينما يوحى كل من تعبيرى «تحليل النص» و «تحليل الخطاب» على كون الأمر ثابتاً واستاتيكياً يوحى تعبير «تحليل المطارحات» بمعنى الديناميكية فى السياق المكتوب أو المنطوق وهو المقصود أساسا بالتعبير الأصلىDiscourse Analysis كذلك فإن كلمة الخطاب فى اللغة العربية تفهم عادة على كونها خطاب بمعنى الخطاب السياسى أو الإجتماعى أساسا بينما هناك أشكال لغوية أخرى مثل المحادثة العادية والمقابلات الرسمية بأشكالها والمقال المكتوب والرسائل والتى تمثل كلها وسائل أخرى توحى بها كلمة «المطارحات» أكثر من كلمة الخطاب.

(٢) مـا هـي طبيعـة ووظائف عمليـات المطـارحـات المختلفـة Discourse processes ومبادئها وأثرها فى عمق تماسك واتساق النصوص(Coherence of texts) وما هى وسائل إكتشاف الأنماط الكامنة عبر « النصوص » ؟

(٣) بالإضافة الى سبر غور المناهج والطرق العلمية التى يهتم بها اللغويون فـالمجـال يهتـم أيضـا بـالبحـث فى الظـواهـر اللغـوية المتعلقـة بـالجماليـات "Aesthetics" وبالتالى بالبحث عن تلك القوى الغامضة التى تزحف عبر الكلمات والأفكار والصور والعواطف والتى لا تتضمنها الكلمات المفردة بذاتها؟

من هـذه المنطلقات ذخرت قـاعات المؤتمرات الدوليـة الحديثة بالـدراسات الإزدواجية ومـن خلالها التقى العـديد مـن الخبراء من كافـة التخصصات فى العلوم الإجتماعيـة المختلفة. فإذا مـا نظرنـا إلى صعيد دراسات تحليـل النص والمطارحات بـالوطن العربى لـوجدنا أهمـية وجـوب تفـاعـل المتخصصين فـى العلوم الإجتماعية المختلفة ولوجدنـا نقصاً فى عدد الدراسات والبحوث فى معظـم مجالات تحليل المطـارحات فى السيـاقات القـانونيـة والطبية النفسيـة ولغويـات الكمبيوتر والسياق السيـاسـى فلقد إقتصرت الأدبيـات الموجودة فى العالم العربى على تحليل النص فى السياق السيـاسـى ولكن من منظور مدارس تحليل المضمون "Content Analysis" المختلفة عن طبيعة المطارحات "D.A" كما سبقت الإشارة وكذلك على السياق الأدبـى والذى تهيمن على مناهجه مدارس تحليل النقد الأدبى «كالبنيوية»(Structuralism) ومدارس ما بعد «البنيوية» أو مـا يسمـى بـ (Post-structuralism) ومـدرسـة «البنـاءالمنـاقـض» أو «التفكيكية(Deconstruction) ومدارس ماعرف بالنقد الجديد (New criticism)

إن أهمية وجـود أبحاث إزدواجيـة فى المجالات المذكـورة أعلاه فى الـوطن العربى يعتبر مـن الأمور المطلـوبة والهامـة حيث أن نتـائج هذه الأبحـاث على صعيد الخصـوصية الثقافيـة العربية سـوف تثرى المحاولات المتعمقـة لفهم

الأسئلة المركزية المتعلقة بظواهر الإتصال والتفاعل المذكورة آنفاً وتقديم قراءة تحليلية أفضل للنصوص فى سياقاتها المختلفة.

المنظور الثاني: التربوي الديني والديمقراطي

في الوقت الذي يتسم فيه المنظور الأول بالجوانب التقنية لديناميكيات الحوار فإن هذا المنظور الذي يمكن تسميته بالمنظور التربوي الديني والديمقراطي يختص بتعميق آداب الحوار العامة وتجدر بنا الأشارة إلى أن هذا المنظور يعنى أساساً بالحاجة إلى اللياقة والكياسة العامة وتجنب الألفاظ الخارجة والأبتعاد عن الأنفعالية والعصبية والتوتر عند مخاطبة الآخرين ووصفهم بما ليس بهم والتحلى بأخلاقيات التخاطب العامة. والمصادر التعليمية الخاصة بأستنباط قواعد السلوك العام توجد بقدر كبير من التفصيل فى بطون كتب الحكمة والتراث من ناحية، ومن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأديان السماوية من الناحية الأخرى فعلى صعيد كتب الحكمة والتراث على مستوى الذيوع العالمى نجد كتاب لجون هيدر(John Heider) (١٩٨٥) بعنوان **إستراتيجيات القيادة لعالم جديد** والذى بيع منه ملايين النسخ والذى يقدم ترجمة لمقولات أحد حكماء الصين المعروفين وهو لاو تسوز تاوتشنج ذلك الحاكم السياسى المحنك الذى ظهر فى القرن الخامس قبل الميلاد والذى أصبحت أدبياته ومقولاته من الكلاسيكيات التى تنتشر الى يومنا هذا ويستعين المتحدثون بمثل هذه الحكم لتدعيم مواقفهم وتصرفاتهم فى السياقات المختلفة ومن أمثلة حكمه المشهورة «رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة» «والسهل الممتنع» «والعنف يولد العنف» ويتحدث الكتاب أساسا عن طرق القيادة وحكم الآخرين وتعليمهم فى ظل التآلف مع القوانين الطبيعية.

وعلى صعيد الخصوصية الثقافية نجد العديد من الكتب التى يستنبط منها كبسولات عديدة تتعلق بالتحلى بالآداب العامة فى الحوار والحكمة فيه، فنجد

على سبيل المثال كتـاب إبن خلدون: **الشفاء السائل لتهذيب المسائل**، تحقيق اغناطيـوس خليفة عبـد الرحمن، (١٩٥٦)، وكتـاب **أخبار الأذكيـاء** لإبــن الجوزى، تحقيق محمد مرسي، (١٩٧٠) وتلك الكتب التـى إهتمت بإيقاظ البعد الإيمانـى السلـوكـى فى النفوس على سبيـل المثـال لا الحصر أنظـر **السلوك الإجتماعى فى الإسلام**، لحسن أيوب، (١٩٧٠). وهناك من الكتب التى عالجت أمـر الخلاف والإختـلاف وآدابهما مـن منظــور المنهجيـة الفقهيـة للسلـف والضوابـط التى كـانوا يقيمونـها لعمليــات الإجتهاد والإســتنتاج وضبط الرأى لتحقيـق الغـايات والمقاصـد الشــرعية أنـظر على سبيل المثـال كتاب **آداب الأختلاف فى الأسلام**، لطه العلوانى، (١٩٨٧) **والحوار نافذة من نور** للاميري(١٩٧٥).

وفى إطار إستنباط آداب الحوار من الكتب السماويـة تجدر بنا الإشارة هنا الى العديـد من آيـات القرآن الكريـم التى تـدعونـا الى أهمية مراقبـة ما نقـوله والحرص على التحلى بـآداب الحوار فيقـول الحق سبحـانـه وتعـالى «**ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون**».فإن الرســائل بين المرسل والمستقبل تحتـاج الى عملية وصــول وتوصيـل وهذا الأمـر يتضمن معـانى التسلســل المنطقى الـواضح البين الذى لا يحمل فى طيـاته غموض أو لبـس أو شوشرة... وكذلك قـوله تعالى «**يا أيها الذين آمنوا إتقوا اللـه وقولوا قولا سديدا**» وقوله تعالى «**وإصبر على ما يقولون**» وقوله تعالى «**وجادلهم بالتى هى أحسن**».. «**وكلمة طيبة كشجرة طيبة** » وهناك العشرات من آيـات القرآن الكريـم ومن الكتـب السماوية الأخـرى التى تحدد بجـلاء إطار آداب الحوار والإختلاف وهو من الأمور التى يجب أخذهـا بعين الإعتبار بكل تأكيد. وهناك العديد من الأدبيـات العربية التى تندرج تحت أطار هـذا المنظور ولكن في إطار هذا المنظور وإنطلاقا من قولـه تعالى «قل سيروا فى الأرض فإنظروا كيف بدأ الخلق » والذى يمثل للإنسـان دعوة واضحـة لتعميق التأمل فى السؤال المتعلق

بحيثيات الكيفية دائماً وجب النظر إلي الجانب العلمي والموضوعي للمنظور الديني والتربوي والديموقراطي لطبيعة ديناميكيات الحوار، وهنا نجد مفتقدات واضحة على الصعيدين الأعلامى والتعليمى. فعلى صعيد الفهم الحقيقى للحوار الديمقراطى وجب إدخال العديد من المكونات الخاصة بهذا الأمر سياسياً وتعليمياً بما يناسب طبيعة ،الأمر وطبيعة الخصوصية الثقافية العربية والأسلامية. فسياسياً وجب اتخاذ الخطوات الواعية لمزيد من الديمقراطية على مستوى العالم العربى بأكمله فلا مناص من هذا الأمر لمصلحة الجميع فلقد أصبح تحقيقه بمثابة حتمية تاريخية خاصة بعد أحداث أزمة الخليج العربي وما فجرته من جدليات حوارية وكذلك سقوط الشمولية والدكتاتورية والقمعية فى دول المعسكر الشرقى وما حدث أخيراً في الإتحاد السوفيتي (أو مايسمي حالياً «بالكمنولث» وسرعة إنتقال المعلومات وتشابك وسائل الأعلام التى تتيح للجميع معرفة كافة مايدور فى أى مكان من الكرة الأرضية الأمر الذى فجر ميكانيزماً دولياً خاصاً لايمكن الأبتعاد عن بؤرة تأثيراته. فعلى صعيد هذا المحور الخاص بالفهم الحقيقى لطبيعة الحوار الديمقراطى وجب فى الوقت الذى تنادى به القيادات التعليمية فى العالم العربى بما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم (أى جعله ديمقراطياً) أو مايسمى بـ (Democratization of Education)†– وهو الخاص بإتاحة العدالة فى الفرصة التعليمية– وجب أيضاً أدخال المكونات التعليمية الخاصة التى تتيح الفهم الحقيقى والصحيح للحوار الديمقراطى سياسياً وأجتماعياً وبما يناسب طبيعة الخصوصية الثقافية العربية والأسلامية أى أنه وجب أعطاء نفس الأهتمام لنفس المفهوم الخاص بعملية ديمقراطية التعليم مع عكس ترتيب مفردات ذلك المفهوم ليكون «تعليم العملية الديمقراطية » (The Education of. Democratization) وهنا وجب الأخذ بعين الأعتبار سلبيات الممارسات السابقة والحالية بالوطن العربى عند النظر للمستقبل كأسلوب تربوى علاجىحيوى وبالتالى وجب الالتزام بالآتى:

(أ) تأصيل المفاهيم الديمقراطية الحقيقية المختلفة فى العملية التعليمية ذاتها.

(ب) معالجة ظاهرة إبتذال المسميات والأزدواجية بين القول والفعل بحيث تواكب هذه العملية التعليمية المزيد من محاولات التصدى للخارجين على الأسلوب الديمقراطى من ناحية وكذلك التصدى لهؤلاء الذين يسعون إلى تقنين الأساليب السلطوية الأستبدادية من خلال مسميات مختلفة تربط العملية الديمقراطية بالشكليات الروتينية المعقدة والتى تمثل أسوأ الصور القمعية الحديثة والتي لم ينتج عنها سوى مزيد من فقدان الطاقات وكذلك فقدان الشرعية ومزيد من تعميق تهميش الامة العربية بأكملها على المستوى الدولى.

ان هذه الأنماط السلطوية والاستبدادية هى فى الواقع كانت ولازالت وليدة ممارسات تعليمية تلقينية جامدة لم تسمح بالفرصة لظهور الملكات والمهارات وخلق المواطن المتطور الذى يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بديناميكية صحية فيتقبل النقد البناء ويستطيع القيام به، ويستطيع بالتالى التغيير والتكيف مع إيقاع العصر المذهل فى سرعته. لقد أدت هذه الأنماط السلطوية الأستبدادية والتى تتنوع صور وجودها بالمجتمع العربى إلى كوارث قومية كبرى نعانى من آثارها إلى الآن وأبسطها هو ذلك الوقت الكبير المستهلك في تلك الأختلافات على البديهيات المتعلقة بأسس صناعة القرار السليم والمشاركة التنظيمية الفعالة والعمل بروح الفريق الواحد والحرص على معطيات الثقافة الجامعة التى تشكل اللبنة الأولى والحيوية لكل عمليات التنمية. ولعل هذا النمط الإستبدادي الذي يتجسد من خلال آليات تفاعلية متعددة ومتنوعة هو أهم الأسباب التي أدت إلي كوارث قومية كثيرة كان آخرها وأفدحها كارثة الخليج ١٩٩٠.



الفصل الثاني:
« منظور لغويات التفاوض »

ويوضح هذا الفصل الآتي :

(أ) مالمقصود بمنظور «لغويات التفاوض ومدى الحاجة إلي هذا المنظور خاصة إذا ما نظرنا بصفة عامة إلى الخريطة الأكاديمية الراهنة التي تتسم بإنعزال العلوم الإجتماعية، وكذلك إذا مانظرنا إلى مدى الحاجة إلي النظرة الأكثر شمولية للازمة للتعرف على الأطر المرجعية الواجب فهمها والتعامل معها في عملية فهم وتحليل النصوص وديناميكيات لغة الحوار التفاوضي في السياقين الإجتماعي والسياسي وتداخل هذه الأطر وتشابكها إلى حد بعيد بصفة عامة وفي هذه الأزمة بصفة خاصة.

(ب) فجوات البحث الحالية في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض و مدي الحاجة إلي منظور «لغويات التفاوض» .

(جـ) مناهج «تحليل المضمون» من منظور تطور علم اللغويات .

(د) منظور «لغويات التفاوض» ومدارس تحليل المضمون (الخطاب) في العالم العربي والغربي.

(أ) مالمقصود بمنظور «لغويات التفاوض» ومدى الحاجة إليه ؟

المقصود بهذا المنظور هو إستخدام مفاهيم من علم اللغويات والعلوم السياسية والعلاقات الدولية بهدف دراسة ديناميكيات التفاعلات التفاوضية

عبر النصـوص المتعددة والمتبـادلة بين أطـراف مـوقف تفـاوض ما في سيـاق الأزمات أو في غير سياق الأزمـات. وهذه النصـوص (Texts) تتضمن «الأجندة الأصلية» لأطـراف الموقف التفـاوضي والتحركـات الإستراتيجية والتكتيكيـة للأطراف وتفاعل وإصطدام هذه التحركات التي يتمخض عن عملية إصطدامها وتفاعلهـا عمليات إزاحـة وإحلال أو إستمراريـة مما يـولد «نصـوص ناتجة أخري» هذه النصوص الناتجة عن تفاعلات تحركات أطراف التفاعل قد تكون ممثلة للأجنـدة الأصلية للطرف الذي إستطـاع أن يفرض اجندته وقـد تكون بمثابة « اجنـدة وسطية» تتضمن حلول وسط تشمل عنـاصر من «الأجندات» المتصارعـة أو قد ينتـج عن عمليـة تفاعـل التحركـات «نص مستجـد (اجندة مستجدة)، ويتـم الإستعانـة في التعرف علي دقائق تفـاعلات الأجنـدات بعدة وسائل تحليلية منها تحليـل أثر فعل القولSpeech Act Analysis على مستوى الخصـوصية الثقـافية أو عبر الثقـافـات وتحليل الموضـوع Topic Analysis وتحليـل التحركـات الاستراتيجية والتكتيكيـة Srategic &Tactical Move Analysis ولقد استخـدم الباحـث كل هذه الأدوات التحليليـة لتحليل أكثـر من ثلاثين موقف تفاوضي في اطروحته للـدكتوراه ولكن ما أود أن أوضـحه هنا أنه من الممكن أن تُستخدم أداة تحليل واحدة فقـط أو أثنتين فقط أو الثلاثة معاً في تحليل عمليات التفاوض الإجتماعي والسياسي حسبما تقتضي الحاجة وطبيعة الموقف أو النـص أو المادة موضـوع التحليل. ولمزيـد من التفـاصيل الـدقيقة بخصوص هذه التحليلات وعلاقة الترابط بينها (أنظر حسن ـ وجيه ١٩٨٩).

(ب) فجـوات البحـث الحالية في علـم العـلاقـات الدوليـة والعلـوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض ومدي الحاجة إلي منظور «لغويات التفاوض» :

إذا ما بحثنا في تعريفـات علم العلاقات الدولية لوجـدنا أن من أهم الكلمات التي يتم تداولها في معظـم التعريفات الخاصـة بهذا العلم ومفاهيمـه الأسـاسية

هـــي كلمات التفاعــلات " Interactions" وأنماط التفــاعــلات "Patterns of Interactions "، وعملية التفاعلات " Patterns of Interactions". إلخ (أنظر على سبيل المثال هولستي Holsti 1988، آرون Aron 1966 ، ودويتش Duetsch 1978 فالعلاقات الـدولية في واقعها الحقيق ما هي إلا ســوى تفاعلات بين الدول على كافة المستويات . واللغة في هــذا السياق ليس مجرد تعبيرات أو مفردات تدرس كشيء منفصــل وإنما طبقًا لمنظور «لغــويات التفاوض » فهــي وسيلة التفكير والتخطيط والتنفيذ المتعلق بتلــك التفاعلات وسياقاتها المختلفة ومــع ذلك فلقد كان دائما النظر إلى أمــر اللغة على أنها أداة أتوماتيكية ولم يتطــرق إليها البحث بالتعمــق المطلوب الــذي يواكــب دوره المركزي والتعقيــدات المصاحبــة للأداء اللغوي في سياق هذه التفاعلات الدوليــة أو الاجتماعية وهذا يمثل فجوة بحثية على خريطة أبحــاث كل من العلوم السياسيــة وعلم العلاقات الــدولية حيث لا يوجد سوى أعمال قليلــة جدًا من قبل علماء السياسة التي تناولــت أمر علاقة اللغة بالممارسة السياسية ومن أمثلة هذه الأعمال كتاب مايكل شابيرو Shapiro **اللغة والفهم السياسي** ، وإيدلمانEdelman في مجموعة كتبه **السياسة كأفعال ترميزية**، ١٩٧١ ، **اللغة السياسية : الكلمات التي تنجح والسياسات التي تفشل** ، ١٩٧٧ ومــن أحــدث أعمالــــه في هــذا الصـــدد : **العــلاقة بين اللغــة والسياسة الحقيقية** ، ١٩٨٥، إن هذه الأعمال والتي تعبر عن توجهات علماء السياسية في هذا الصدد نزعت في إستعــراضـها وتطرقها لموضوع تحليل اللغة في السياق السياسي على مناقشة الأمثلة اللغــوية التي لم تتعد مستوى الكلمات والتعبيرات Word & phrasal levels وكــذلــك نزعــت إلى الجانــب التنظيري والفلسفي والإستقرائيDeductive Approach ولم تعــالج هــذا الموضــوع إمبريقيًـا بتحليل البيــانات وإستنتــاج النتــائج والتنظير بعد تحليــل البيانــات Inductive Approah(لمزيد من التفاصيل بخصوص البحث الامبريقي في سياق اللغويات السياسية انظر حسن ـ وجيه ١٩٩١ .

إن أهميــة إستخدام منظــور «لغــويــات التفاوض» وهــو الخاص بتحليــل

ديناميكيات التفاعلات السياسية والإجتماعية كما أوردنا تعريفه يستمد شرعية خاصة من خلال آراء العديد من علماء السياسة والعلاقات الدولية وكذلك من خلال إرتباط ذلك بأمور حيوية تتعلق بفلسفة العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وهنا تجدر بنا الإشارة إلي مقولات لبعض الباحثين البارزين فيقول أونف Onuf في مقالته مابعد العلاقات الدولية، ١٩٨٧:

«إنه من ضمن مارفضه بعض المنظرين الإجتماعيين تلك المدرسة السائدة المسماة بالمدرسة الوضعية–الموضوعية positivist-objectivist ويصرون علي إستبدالها بعكسها أي بما يسمي بـ« الدور اللغوي أو المرحلة اللغوية Linguistic turn

ذلك التعبير الفلسفي الذي شاع من خلال كتابات رورتي Rorty (١٩٦٧). فإن مايسمى بالدور أو المرحلة اللغوية حين يتم تكوينه على نحو علمي دقيق كما هو الحال فيما يتعلق بالمدرسة الوضعية الموضوعية كمدرسة مخالفة في تكوينها، فإنه سيتم إستبدال العلاقات بالأشياء.. أي الكلمات بدلاً من الأشياء.. وبالطبع فإن الكلمات ماهي إلا أشياء ولكن النقطة هي أن الكلمات لامعني أو مضمون لها دون علاقاتها بالكلمات الأخري، إن الأمر الذي نعلمه هو أن العلاقات ذاتها متداخلة بصورة معقدة .. وليست الأشياء .. » (أونف ١٩٨٧:٣)

ويقول أدوارد عاذار في مقالته بعنوان «الصراع وبنك البيانات المعروف بمشروع »كوبداب« والتي يعرض فيها دراساته الكمية لتحليل الأحداث.. Events Analysis.

«إن أحد الأبعاد التي يهتم بها علماء العلاقات الدولية هي تنمية وتطوير نظرية أساسية للغة السياسة ويتضمن ذلك سلوك التحدث وغيره من الأساليب الأخري.. فكما تبني النظريات في مجال الإقتصاد على أساس تبادل العملات.. فإن

هذه النظرية للتفاعل السياسي من خلال اللغة ستكون مبنية على تبادل الرموز السياسية. إن تحقيق وجود مثل هذه النظرية يتخلله القيام بمهام أكثر تعقيداً من النظرية الإقتصادية.. حيث إن اللغة السياسية أو قواعد هذه الرموز لهي أكثر تعقيداً من عملية تدفق وتبادل العملات والبضائع » Azar. (١٤٤:١٩٨٠)

ويقر وينستسن Weinstein في كتابه **لغة المواطنة والتبعات السياسية لإختيارات اللغة** ، (١٩٨٣)، بأهمية أن يتنبه الباحثين في علم اللغويات إلى دراسة اللغة في السياق السياسي فيقول:

إن المناقشات الدائرة حول نظام المعلومات الدولي تعالج الرسائل دون أن تتعمق في الوسيلة الناقلة لهذه المعلومات وهي اللغة.. وفي مجال العلوم السياسية قام كارل دويتش (١٩٨٢) بمحاولة لربط السياسة بالإتصال وجعل هذا الأمر محل إهتمامه السياسي.. ومع ذلك فإن أمر معالجة اللغة علمياً وبقدر من التعمق لم يتعدي سوى جزء بسيط جداً من عمله.. ولكن بالقدر الكافي الذي يحرك الآخرين لأخذ هذه المهمة على عاتقهم لدراسة اللغة السياسية. وينتقد دويتش الباحثين وخاصة المتخصصين بعلم اللغويات بالتقاعس عن أداء هذه المهمة مشيراً إلي أن إهتمام الباحثين اللغويين مازال مقتصراً على نواح خاصة بعلم اللغويات فقط مثل القواعد والصوتيات والوحدات الأساسية. والمستويات المختلفة للغة في حد ذاتها.. ويحثهم علي تناول أمر اللغة السياسية بالدراسة » (وينستين ١٩٨٣ : ١٠).

وفي بحث غير منشـور يهدف إلي تقييم دراسـة أساليـب المفاوضـات الدوليـة الحالية يقول دفيد بيل (Bell):

« إن المفاوضات من أكثر العمليـات الذهنية تعقيداً.. وتحليل ما يحدث في المفـاوضات يتضمن وجـوب الإنتباه للغة وكـذلك لنواحـي الإتصال المتعددة الأخري.. ومـع ذلك فإننا نجـد عدد صغير من نظريـات المفاوضات يتعامـل مع ذلك الأمر.. كـذلك هناك قليل من البحث الإمبريقي يعـالج هذا الأمر.. والحقيقة أن معظم الأبحاث الموجودة مشتقة من المدارس النظرية التي تخلو من أمر اللغة كعلم. والإهتمام بهذه الـزاوية.. ونجد أن نظريات المفـاوضات الحاليـة هي نظـريات تـرجع في أسـاسها إلى علـم الـريـاضيـات وخـاصـة لنظـريـات المبـاراة Game Theory) (بيل١٩٨٨ : ٢).

(ج) مناهج تحليل المضمون من منظور تطور علم اللغويات

بما أن عمليـة تحليل الخطـاب والمضمون تـرتبط إرتبـاطاً كبيراً بمنهجيـة البحث في العلوم الإجتماعية وبمدارس البحث المختلفة وبما أن منظور «لغويات التفاوض» الذي قدمه الباحث في اطـروحته للدكتوراه (حسن ـ وجيه ١٩٨٩) يمثل أحدث التـوجهات الإزدواجية التي يشهـدها علم اللغويـات الحديث فإن إستعراض تطور علم اللغويات الحديث وعلاقة هذا التطور بنظرة اللغويين إلي تطـور أو تطـويـر منهجيـة البحث وإنعكـاس ذلـك الأمـر على عمليـة تحليـل النصوص والمطـارحات يعد أمـراً لازماً لتوضيـح منطلقات منظور «لغـويات التفـاوض» ولتعـريـف المتخصصين في العلـوم الإجتماعيـة الأخـري بهذه التطـورات وماتمثلـه من تشـابه وإختـلاف مع العلـوم الإجتماعية الأخـرى. وتتلخص هذه التطورات في الآتي:

**** المدرسة التاريخية (Historicism):**

وهذه المدرسة تمثل أولى مراحل دراسة ظاهرة اللغة بطريقة علمية ولقد مهدت هذه المدرسة لظهور المدرسة الثانية التركيبية Sructuralisen. وكان من رواد المدرسة التاريخية عالم اللغويات أوتو جيسبرسبى(Otto Jespersen) الذي ذكر في كتابه الهام **اللغة، طبيعتها، تطوروها وأصولها** ، (١٩١٢) إن الصفة الرئيسية المميزة للغة كظاهرة هي الصفة التاريخية وهذه الصفة تمكن الباحث من تعقب تاريخ اللغات ليوضح أسباب وعوامل إستمرارها، تطورها أو إنقطاعها وموتها وكذلك تأثيراتها المتبادلة مع اللغات الأخري. وهذا التوجه يتيح لنا تفسير مجرى تطور اللغة من الماضي إلى الحاضر. فمن منطلق هذه المدرسة كان الإهتمام في تحليل المضمون بقضايا دراسة الأساليب اللغوية المميزة لعصر ما والتغير الذي لحق بها من خلال فحص الوثائق التاريخية.

**** المدرسة التركيبية (Sructuralism) :**

جاءت هذه المدرسة للوجود كرد فعل للمدرسة التاريخية وكان من روادها دي سوسير(De Saussure) والذي ذهب إلى القول بأن وصف اللغة ليس من الضرورة وأن يكون في شكل تعاقبي وتاريخي (Diachronic) «رأسيا » إنما يجب أن يكون وصفها في الأساس حالي «متزامن»(Synchronic) «عرضيا »وهنا يكون الوصف تركيبي (Structural) قبل أن يكون سببي (Causal) كما في المدرسة التاريخية . وهذا التوجه يتيح أيضاً معالجة السؤال الخاص بمجري تطور اللغة إلي أن وصلت إلي ماهي عليه الآن؟ أي أن الدراسة التزامنية للغة تمثل دراسة جملة من الظواهر اللغوية في لحظة محددة من تاريخ اللغة بمعزل عن تطورها أي «الأن»فهذه المدرسة تعني بالوصف التركيبي للغة ما وعلاقة ذلك بمفاهيم العالمية والخصوصية الثقافية (Universalism & Relativism).هذا ولاتنكر هذه المدرسة صلاحية المدرسة التاريخية والتي

مازالت قـائمة إلي الآن فيما يعرف بفرع علم اللغويـات التاريخيه (Historical Linguistics) لمزيد من التفاصيل أنظر ليونز Lyons، ١٩٨١).

ولقد تـأثرت هـذه المدرسة (التركيبيـة) بالمدرسـة السلوكيـة (Behvioral School) وركـزت في معـرض تطـورهـا علي التـوجـه الكمـي الإستقـرائي (Quantative Inductive Approach) الـذي يبدأ بمـلاحظة وتحليـل البيانـات (DATA) ثم تكـوين الإفتراضيـة فالنظـرية. وكـان ذلك بتحليـل كم كبير مـن البيـانـات وعلي مستوي وحـدات لغـويـة أسـاسية صغيرة مثـل الفـونيمات (Phonemes) «أصغـر وحدة صـوتيـة » والمورفيمات (Morphemes) « أصغـر وحدة صرفيـة كذلك شهـد المجال أسلوباً يماثـل الأساليب المنتهجـة في العلوم الطبيعية من خـلال الدراسات الكمية الإحصـائية وكتابة القـوانين والمعادلات ومـا إلي ذلك وشـاعت في ذلـك الـوقت دراسـات مقـارنات الأنظمـة النحويـة والصوتيـة للغات العالم المختلفة بغـرض تعلم اللغات وإتقـانها في أسرع وقت خاصة أثناء فترة الحرب العالمية الثانية. ولمزيد من التفصيل بخصوص دراسة التحليل المقارن(Contrastive Analyses)أنظر لادو(Lado) (١٩٥٧) ، (١٩٦٤) .

لقد حددت هذه المدرسة نطاق موضوع علم اللغويات بأنه فقط اللغة مستهدفة بذاتها ولـذاتها وأن دراسة اللغة يجب وأن تكـون بمعزل عن شروط إنتـاجها الإجتماعية والتاريخيـة ومن أهم مدارس تحليل المضمون التـي تمخضت عن هذه المدرسة هو منهج إحصاء المفردات حيـث يقوم الباحث بحصر كمي شامل لمفـردات النص دون إفتراضـات أو أغراض مسبقـة ويكون ذلـك بإستخـدام حـاسبـات آليـة أو بـدونها ويتم هنـا تـرتيـب الأسماء والصفـات والأفعـال والحروف في جداول لتستخدم في دراسـة لاحقة. لقد كان مفهـوم الباحثين في علـم اللغـويـات في هـذه الفترة يـذهـب إلي مسـاواة مفهـوم الإمبريقيـة (Empiricism)بمفهوم العلـم (Science) مـن منطلـق أن الحقائق المحسـوسـة والملموسة والمرئية من خلال تحليل البيانات هي فقط التي تمثل المنهج العلمي

لدراسة اللغة. لقد اعتقد مُنظرى هذه المدرسة أن أمر دراسة اللغة كدراسة علم المنطق أوالفيزياء. واستمر هذا النهج إلي أن قدم نوم تشومسكي (Chomsky) في مستهل الستينات تفنيداً لهذه المدرسة (التركيبية) السائدة وقدم نظريته الخاصة والتي عرفت بالنظرية النحوية التوليدية التحويلية عام ١٩٦٥ (Transforamtional Generative Syntax).

**** المدرسة التوليدية (Generativism or Innatism):**

لقد أحدثت نظرية تشومسكي في علم اللغويات تغييراً جذرياً في أمر تحليل اللغة فنظريته إستدلالية(Deductive) بدلاً من أن تكون إستقرائية (Inductive) كسابقاتها وهذا يفيد بأن الإفتراضيات والنظريات ليس من الشرط أن تكون نتيجة تحليل البيانات ولكن من خيال العالم ثم تأتي بعد ذلك إختبارات هذه الإفتراضيات والنظريات. فمدرسة تشومسكي تذهب إلي القول بأن البدء بتحليل كم كبير من البيانات كما في الطريقة الإستقرائية ليس هو الأمر الذي يجعل المجال علمياً أم ل(Sine que non)

وبذلك فإنه في الوقت الذي يدعونا فيه التوجه الأمبريقي إلى أن آراءنا قد تكون خاطئة وليس علينا إلا أن نثبتها بالدليل. . أي نبدأ من منطلق التعبير الذي يقول «قد أكون مخطئا » (I may be worng) فإن المذهب العقلاني (أو مذهب المنطق المقبول Mentalism or Rationalism الذي عبرت عنه مدرسة نوم تشومسكي فهو يبدأ بالتعبير القائل «أنا أعرف الحقيقة (I know the truth) «حيث أنه لاتوجد في بعض الظواهر اللغوية تلك النوعية التي يقال عنها «أنها ملموسة » وتتعلق بعمليات ذهنية معقدة تسبب عملية الإنتاج اللغوي.

ولقد سادت مدرسة نوم تشومسكي إلي أواخر الستينات وأحدثت جدلاً كبيراً ولكنها في نفس الوقت أحدثت ثورة في علم اللغويات وأوضحت بشكل إتسم بالتعقيد والدقة العلمية العلاقة بين النطاق الإدراكي واللغة الأمر الذي

جعل تشومسكي يؤكد على أن دراسة اللغة هي دراسة العقل الإنساني، وكمزيد من التفصيل إرجع إلي كتاب تشومسكي **العقل واللغة ١٩٦٨**، ولقد كان من أهم ماتركته نظرية تشومسكي من أمور حيوية لم يوضحها البحث الإمبريقي الذي كان سائداً قبلها الآتي:

– أن للغة أكثر من مستوي تركيبي وأن هناك مستوي سطحي (Surface structure)وآخر عميق(Deep structure)وأن العلاقة بين المستويين تتسم بدرجات مختلفة من التعقييد. ولقد أوضحت النظرية قواعد الربط بين المستويين بدقة وصرامة علمية كبيرة.

– أن هناك قواعد للتحويل من تركيب لآخر.

– أن معرفة القواعد تختلف عن عملية إستخدامها وهذا ما أوضحته النظرية من خلال تعبيري «الكفاءة و الأداء » & Competence) (Performanceوأن إهتمام البحث اللغوي يجب أن يركز فقط علي «الكفاءة« لوضع تصور علمي مثالي يصف أنظمة القواعد على مستوى لغات العالم (الأمر الذي كان محل نقد شديد من قبل المدرسة الرئيسيية الثالثة التي سوف يلي ذكرهاوالتي تركز علي مفهوم «الأداء في المقام الأول).

– أن الإنتاج اللغوي والإبداعية في إستخدامات اللغة تحكمه قواعد أوضحتها النظرية.

لقد كان لهذه النظرية آثار كبيرة علي فكر الباحثين اللغويين إلي الآن وتمخضت عنها نظريات أخري ولكنها ظلت تحت إطارها العام. كذلك فلقد تأثرت بهذه النظرية عدة أنظمة أكاديمية أخري علي سبيل المثال مجال «الذكاء الصناعي« (Art Ficial Intelligence) في علم الكومبيوتر. وكذلك تأثرت بهذه النظرية الدراسات المتمخضة عن العلم الإزدواجي المعروف بعلم اللغويات السيكولوجيه(Psycholinguistics) خاصة تلك الدراسات التي ركزت علي موضوع إكتساب اللغة (Language Acquisition). ولقد تمخض عن هذه

التطورات بالإضافة إلي تحليل المفردات المذكورة سابقاً ما عُرف بطريقة تحليل شبكة المفـردات المصاحبة لمفهـوم مركزي ما والتـي تستند إلى مفهوم تـرابط الكلمات collocation وهو المفهـوم الذي قدمـه عالم اللغـويات فيرث(Firth) وطبقاً لهذه الطـريقة يتم إختيـار مفهوم أو مجمـوعة مفاهيـم في النص المراد تحليله وتحديد «شبكة الترابط» الخاصة به أو بهدف الكشف عن وعي المتحدث من خلال العلاقات المتبادلة بين المفهـوم المركزي وحقل ترابطه اللغوي. وهذه الطريقـة تستهدف الكشف عـن شبكة العلاقات المفهـومية في نص مـا وتكون علاقـة الترابط هـي هذه الشبكـة من خلال المفـاهيم المتـوافقة أو المتعـارضة (Synonyms & Antonyms) مع المفهوم المركزي الـذي تم إختياره وللتطبيقات ذات العلاقة بهذه الطريقة على الصعيد العربي انظر إلى كتابي **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر** (مارلين نصر ١٩٨١) **والخطاب الساداتي** (عبد العليم محمد ١٩٩٠).

كذلك كانت طريقة تحليل المضمون المشتقة من مدرسة تشومسكي وزيلج هاريس مـن قبله هي تقطيع النـص وإجراء تحويلات نحويـة علي الجمل بغية ردها إلي بنيتها المبسطة ليسهل مقارنتها وتصنيفها ضمن فئات متعادلة نحوياً وتصلح هذه الطريقة لتحيل النصوص القصيرة.

ثـم جاءت الفترة الـرئيسية الثـالثة، والتـي نحن بصـددها الآن، في تطـور المنهجية في علم اللغـويات لتشهد توجه ينتقـل بعلم اللغويات مـن الإطار الذي وضعه تشومسكـي والذي يركز في تحليـلاته علي التركيبات النحويـة أساساً (Syntactic Structures) ومن منطـلق «إستدلالي» إلي إطـار معالجة مستـويات اللغـة المختلفة مـن تـركيبات معـاني(Semantic Level) وتركيبـات نحويـة (Synactic Level) وتركيبات فونولوجية «صوتية وظيفية من نبرات صوت إلى أخره » (Phonolgoical Level) منتقلة بذلك نحو معالجة أكبر في نطاق معالجتها تصل إلى مستوى المطارحة بالكامل (Discourse Level)

وكان هذا معناه التعامل مع وحـدات لغوية أكبر من الجمل والفقرات. ولقد شاهد علم اللغويات الاجتماعية دراسات تراكمية كبيرة منذ السبعينات إلي الآن في إطار هذه المدرسة الرئيسية الثالثة وكانت الدراسات طبقاً لهذه المدرسة علي مستوي النص دون دراسة للأطر المرجعية خارجه ، أي النظر إلي النص كنسق تعبيري مغلق علي نفسه وهذا ماعُرف بالـ Glossomatics إلي أن بدأت في الظهور مدرسة تحليل المطارحات في إطار علم اللغويات الإجتماعي وبدأ الأهتمام بعلم التدوال Pragmatic ولقد بـدأت تظهر توجهـات مختلفة في إطـار المدرسة الثالثة إلا أن هذه التوجهات قـد أجمعت علي نقد المدرستين السابقتين وكان من أعلام هذه المدرسـة الثالثة والتي إهتمـت بتحليل واقع المطارحـات وليم لابف (Labov)، روجـر شـاي (Shuy)، كمبرز (Gumperz)، شيـف (Chafe)، وتنين (Tannen).

ولقد جمعـت هذه المدرسـة بين الإستراتيجية الإستقـرائية والإستـدلالية (Induction & Deduction) ومنطلق بـدء البحث طبقاً لهذه الإستراتيجيـة هو تجنب الأمثلة الموضوعـة أو المتصورة وهو ماقد يسمي بـأمثلة الكرسي الهزاز (Rocking chair examples)"» فعلى سبيل المثال بدأ لابف وفانشيل(Labov & Fanshel١٩٧٧، بتحليل وحـدات «أثر أفعـال القول» (Speech Acts) في سياق المقابلات العـلاجية (Therapautic interviews) بين الأطبـاء والمرضي، وكانـت نتائج هذا التحليل هامة فيما يتعلق بتركيبة ووظائف «أثر أفعال القول» وطرق تحليل هذه الوحدات والسبب يرجـع إلى تحليل هذه الوحدات في سياق طبيعي وحقيقي وليـس من خلال الأمثلـة المتصورة. فلـم يبدأ لابف وفـانشيل «على سبيل المثال»بفكـرة أن معلوماتنا عـن نظرية «أثر أفعـال القول«(Speech Act Theory)قد تتقـدم من خلال فحـص وتحليل الإستخدام الحقيقـي (الطبيعي) للغة ولكنهما قد بـدآ بالمشكلة الخاصة بكيفية إسهام عمليـة التحليل اللغوي في فهم أعمـق لطبيعة المقـابلة العـلاجية بين الأطبـاء والمرضى. إن هـذا التوجـه

الدائري (Abduction) لقـريـب الصلة بمفهـوم التركيبيـة الإجتماعيـة(Social constructivism) الذي يستند بـدوره علي أن الأشياء (objects) لاتوجد فقط في العقل (Innatism) أو في العالم(Empiricism) ولكنها علي العكس من ذلك تتكون من خلال الأفعال المتعمدة للوعي. أي أن العملية تراكمية وهي لاتتركز في الفرد كما كما كان شـائعاً ولكـن هذه العملية تتركـز في تركيبـة التفاعـل الإجتماعي أسـاسـاً والتي يجب وأن تدرس من خلال تفاعل الناس وليس من خلال الأمثلة المتصورة من عقل الإنسان (أنظـر توميك وشـاى ١٩٨٧ Tomic & Shuy) ، و (ميهان ١٩٨٢، Mehan.

والخطوات المنهجية التي تتم طبقـاً لهذه الإسـتراتيجية الدائرية Abductive strategy هي:

١- البداية بمحاولة لفهم مبدئي لطبيعة موضـوع البحث (بناء علي الخبرة)، ودون الإرتباط المسبق بنظرية أو نموذج نظري معين للتحليل.

٢-جمع البيـانات المتعلقـة بـالبحث، وأخـذ عينـة منهـا للتحليل التقيمـي (Judgemental / purposive sampling) وينبغي محاولة الحصول علي تلك المادة التي تتسم بالثراء وبالكشف عن موضـوع البحث ثم يكون التحليل بعد ذلك من خلال أنسب النماذج النظرية وأدوات التحليل الملائمة لموضوع البحث.

٣- وضـع الإفتراضـية والمفاهيم النظرية المتعلقة بها.

٤- تحليل مزيد مـن البيانات للتأكد من صـحة الإفتراضـيـة وكذلك إختيار مزيد من البيانات التي تساعد عل إبراز المفاهيم النظرية المنصوص عليها. وهذا ما عـرف بمفهوم (التركيـز المتنامـي(Progressive Focusing «أنظـر Stubbs ١٩٨٣». وهذا المفهـوم يسمح بإستقبـال المعلومـات الجديدة التي تظهـر من خلال مـايظهر مـن إشكاليات أثنـاء عملية البحث وهـذا المفهوم هـو ما أسماه Labov بمفهوم تغذية البيانات (Enriching the data)

٥- يتم تحليـل البيانات مـن أكثر من منظـور فمثلاً بعد تحليـل التركيبات

اللغويـة المختلفة والمتعددة المسـتـويات يتـم تحليل الأطر المرجعيـة وتتمثل في الإشـارة إلي سياقـات النصــوص الدقيقـة داخـل الإطـار الثقافي أو إطـار عبر الثقافات (Inter & Crosscultural context)

وقد تتضمـن هذه الخطوة الإنتقال مـن التحليلات الكمية إلي الكيفيـة ومن الكيفية إلي الكمية وهو ماأسماه Stubbs بمفهوم الحركة المثلثية Triangulation وهذه الخطـوة تتعلق بما عُرف تقليـدياً بـأسم المبدأ التـأكيدي، verificational principle

(د) منظور «لغـويات التفاوض» ومـدارس تحليل الخطـاب (المضمون) في العالم العربي والغربي:

بالإضافة إلي إنتهاج منظور «لغويات التفاوض» لخطوات البحث الإمبريقي الخمس المشار إليها آنفاً فإن هذا المنظور له خصائص توضح علاقته بمدارس «تحليل المضمون / الخطاب الأخري في العالم العربي والغربي وتتعلق بالنقاط التالية:

*** حول المحتوى الظاهر والمحتوى الكامن:**

بينما تتمحور غـالبية دراسات الخطـاب في العلوم الإجتماعيـة المختلفة في العالم العـربي والغربي إلى الآن حول تعريـف بيرلسون بأنه «أسلـوب للبحث يهدف إلى الوصـف الموضوعي المنظـم والكمي للمحتـوى الظاهر لـلإتصال » برلسون ١٩٥٢)

فإن تحليل الخطـاب (المطارحات) طبقاً لمنظور «لغويـات التفاوض » يتسم بالتعـامل مع المعـاني الكامنة بـالنصـوص Texts وعبر النصوص (التنـاص) Intertextuality

كذلك فإن مجال الإهتمام يكمـن في العمليات الوظائفية التي تتخلـل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو مايسمي بـ Discours processes.

**** حول مفهوم عملية الإتصال :**

يشترك «منظور لغويات التفاوض» مع مدارس تحليل المضمون في أن المقولة التي قالها عالم السياسة المعروف Lasswell ومفادها «أن عملية الإتصال في مجملها هي من قال ماذا، وعن أي شيء، وكيف قاله، وما الآثار التي تترتب على ذلك». تكاد تحيط بالمباحث الكبري في مجال تحليل مضمون ووسائل الإتصال الجمعي» كما ذهب إلى ذلك السيد يسين ومجموعة الباحثين (١٩٨٢)، إلا أن تركيز الباحثين في مجال تحليل المضمون على الوصف الكمي للمعلومات الخاصة بأنواع القيم المذكورة في نص ما لفاعل من الفواعل لايوضح ديناميكيات التفاعل بين هذه القيم عند توظيفها من قبل المتحاوريين عبر النصوص والأطر المرجعية لها في السياقات المختلفة وهذا الأمر المفتقد يعتبر من أهم المباحث التي يعني بمعالجتها منظور «لغويات التفاوض» الذي يعني بدراسة كيفية إحداث ناتج إتصالي (تفاوضي) ما ويبحث في ظواهر تركيبية وإثنية (Ethnic) تتعلق بكيفية تصنيف الفواعل actors(على المستوى الإجتماعي والسياسي) للواقع وعلاقة ذلك بإدراكهم للأحداث ولطبيعة موقف التفاعل والتعرف علي شبكة إستدعاء المفاهيم؛ في عملية التفاعل . من هذا المنطلق فإن منظور «لغويات التفاوض» يعني أيضاً بتقديم تعريف لتحليل المضمون يتمثل أساساً في كيفية توظيف عناصر «القدرة » power في عملية التواصل لتحقيق هدف تفاوضي ما في موقف تفاوضي ما وهذا الأمر يتعلق بفهم النصوص وعلاقات الإزاحة والإستبدال بين النصوص وديناميكيات الحوار المتعلقة بفهم هذه النصوص (الأحداث). وعناصر هذا التعريف مستمدة من الدراسات المتعلقة بمفهوم« كفاءة التواصل»Communicative competence في علم اللغويات الإجتماعي. ودراسات القدرة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

وأهم هذه التعريفات الخاصة بكفاءة التواصل كما ذهب إليه أحد خبراء علم اللغويات الإجتماعية هو تعريف بيكر الذي ينص على:

« إن فهـم العمق الحقيقـي لمعـاني الأحداث يتمثـل في فهـم كيفيـة تراكـم النصوص السـابقة . فهذه النصـوص السابقة تتسـم بالخصوصيـة المحددة ويتم إكتسابها وإستيعـابها من مصادر معينة ومحددة ومن خصـوصية هذه النصـوص تبزغ عمـوميـات الأحكـام والتي تستنـد إلى إعـادة صيـاغة تلـك النصوص الخاصـة لتناسـب سياق حواري جـديد مـا. وإن كفاءة التـواصل للمتحاوريـن تتمثل في عمليات البحـث عن وتـداول تلك النصوص مـن خلال الذاكـرة التي تمتلِء بتلك النصـوص السابقة وتصنفهـا بطريقة تختلـف من متحاور إلي آخر». (بيكر ١٩٨٤:١١)

كذلـك إذاً فإن عملية «تحليل المضمـون» طبقاً لمنظور «لغويـات التفاوض» تستلزم دراسة القدرة السلوكية للمتحاوريـن وهـي قدرة المتحاورعلى التعامل مع النصوص وديناميكيات لغة الحوار لتحقيق هدف تفاوضي ما.

وهنا إستلزم الأمر تحديد تصور دقيق لعنـاصر كفاءة التواصل من خلال المفاهيم المتعلقـة «بالقدرة »(Power) وإستلزم الأمـر كذلـك النظر إلى أدبيـات «القدرة » في العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وتكوين مفاهيم مستمدة من هذه العلـوم وعلم اللغويات مجتمعين. ويعتبر مصطلـح «القدرة» في العلوم السياسية والعلاقات الدولية أهم مصطلح تفاوضي فهو مصطلح مركزي يدور في فلكه عدة مصطلحات تفـاوضية أخري، وهذا المفهوم هو بطبيعتـه من أكثر المفاهيم التي يتناولها علماء السياسة والعـلاقات الدولية بالتحليل والبحث إلي الحد الذي دعا هارولد لاسويل Lasswell إلي أن يقول « حينما نتحدث عـن علم السياسـة إنما نحن بصدد الحديث عـن علم «القدرة ». (لاسـويل ١٩٤٩:٨). وإلى الآن مازال علماء العلاقات الدولية والعلوم السيـاسية يقدمون تعريفاتهم المتعددة لمصطلـح «القدرة» ومعظمهـا يرتكز حـول فهم «القـدرة» على كونها مجرد مجموع تلـك المصادر الملمـوسة (Aggregate Resources) التي تمتلكها دولة مـا، ولكن الأمر مـن منظور «لغويات التفـاوض» يعني بتعريـف عناصر ومهارات تلك «القدرة » السلوكية والذهنيـة التي يكون الهدف من تنميتها هو تعظيـم المنافـع وتحقيق الأهـداف الإستراتيجية مـن خلال كفـاءة التواصـل (communicative competence)

فتاريخ العلاقات الدولية قد أثبت أن الكفاءة العالية في توظيف القدرة السلوكية Behavioural power قد مكنت لدول صغيرة من أن تدير الصراع بكفاءة مع دول عظمي تفوقها من حيث «القدرة المادية الملموسة » بطريقة حسمت ناتج الصراع لصالح الأهداف الإستراتيجية العليا لهذه الدول الصغيرة علي سبيل المثال أنظر حالة المواقف التفاوضية بين بنما والولايات المتحدة بخصوص قناة بنما (حبيب، ١٩٨٨). وإدارة مصر للصراع في أزمة السويس ١٩٥٦ (أنظر حسن وجيه، ١٩٨٩).

ولقد حاول العراق ولكن بمقارنات خاطئة وإدراك مُضلل من خلال إدارته لأزمة الخليج وتحركاته المختلفة بها إثبات تلك المقولة التي تقر بإمكانية تحقيق دولة صغيرة لأهدافها الإستراتيجية العليا بعد خوض جولات صراعية مع دول كبرى، وبالتالي كانت النتيجة هي ماحدث بعد إنتهاء الأزمة.

ولقد حاول البعض أثناء تفاعلات الأزمة تشبيه ما فعله العراق بإدارة مصر للصراع مع القوتين العظمتين في أزمة السويس ١٩٥٦ وذلك بتشبيه إحتلال الكويت بتأميم قناة السويس ولكن تناس هؤلاء هذا الإختلاف الكبير للغاية لطبيعة الحدثين ولسياقات التفاعلات في أزمة السويس ١٩٥٦ وأزمة الخليج ١٩٩٠.

لقد تضمن تعريف «القدرة« المستمد من علوم اللغويات والعلاقات الدولية والعلوم السياسية على عدة كفاءات (قدرات) مطلوبة للتواصل الفعال communicative competencies داخل وعبر الثقافات وتمثل هذه العناصر التقنيات الرئيسية اللازمة لمتحاور ما لتحقيق أهدافه التفاوضية بنجاح في السياقين السياسي والإجتماعي وكذلك فهي تمثل العناصر والمحدات الأساسية للفهم الموضوعي للحوارات ولنص ما ولعمليات تفاعل النصوص Intertextuality (التناص) وميكانزماتها. وبالتالي يعتبر فقدان أي عنصر من عناصر هذه «القدرات» أو «الكفاءات» لدي متحاور ما بمثابة تحديد للخلل في أداء ذلك المتحاور. ويوضح الجدول التالي «جدول رقم (١) » هذه الكفاءات

(القدرات) التواصلية (ولمزيد من التفاصيل بخصوصها أنظر حسن ـ وجيه ١٩٨٩).

جدول رقم (١) كفاءات (قدرات) التواصل من منظور لغويات التفاوض

عناصر كفاءة الحوار اللغوية الاجتماعية والعرقية (داخل وعبر الثقافات) Socio / Ethnoliguistic Competence	عناصر كفاءة الحوار اللغوية الأساسية Basic Linguistic Competence
ـ معرفة الخلفية السياسية والاجتماعية للمفاوض ـ ـ معرفة المتحاور لما يحيط بموضوع التفاوض من موضوعات متعلقة به . ـ معرفة قيمة أثر أفعال القول Speech Acts ودرجة حدتها أو خفتها في السياق التفاوضي سواء داخل إطار المجموعة الثقافية الواحدة أو عبر الثقافات ، ـ إعتبار الفروق في معايير الحوار الموضوعية بين ثقافة وأخرى .. التعرف على معايير جرايس Grice Maxims وهي تتضمن : ـ مقولة الكمية ـ مقولة الكيفية ـ مقولة الإتساق	ـ إتقان قواعد اللغة المستخدمة في التفاوض على مستوياتها النحوية والدلالية ، ـ معرفة قيمة العناصر اللغوية المختلفة واستخداماتها وهذا يتضمن فهم طبيعة معاني المفردات في إختلاف المقامات أو السياقات وكذلك المعني الإصطلاحي ـ كأن يتقن المفاوض معرفة المصطلح القانوني أو الدبلوماسي المتعلق بالموقف التفاوضي .

عناصر كفاءة الحوار اللغوية النفسية Psycholinguistic Competence	عناصر كفاءة الحوار اللغوية الدبلوماسية Diplomatic Linguistic Competence
ـ القدرة السريعة علي فهم طبيعة الموقف وأولوياته. ـ معرفة الخلفية النفسية للمفاوض الآخر والتوظيف الفوري لأنسب الإستراتيجيات للتعامل معه ومع الموقف وهذا يتضمن: إتقان أسلوب تحليل الدور Context Role ويعني بقياس التوقعات التي يكونها الأفراد تجاه السلوك المرتبط بالدور الذي يؤدونه أوالذي يؤديه الآخرون وإدراك هذا الدورPerception of the Role Behaviourوصراع الدور Role Conflictوهنا يمكن للمفاوض أن يرسم خريطة ذهنية تعبر عن نسق الأدوارRole System للكشف عن أسلوب تفاعل الشخصيات الذين يشغلون أدوار مقابلة وتوقعاتهم الكامنة إذاء بعضهم البعض.	ـ القدرة السريعة على توظيف أدوات إحتواء الأثر الدبلوماسي السيىء (اجتماعيًا أو سياسيًا Diplomatic Damage Control ـ معرفة المستويات المتعددة للغة الدبلوماسية وهذا يتضمن على سبيل المثال لا الحصر القدرة على أداء العمليات التفاوضية الآتية: ١ ـ الإقناع، وسلامة وإتساق الحجج، وبناء التحالف. Coalition Building ٢ ـ التجنب عند اللزوم Evasion (عدم السقوط في فخاخ الخصم) وطرق الإستدراج المختلفة. ٤ ـ فهم الفرق بن التساوم والتفاوض ويتضمن الفروق بين توضيح الرسائل Explicitness of Messages وبين إرسال رسائل تحتمل إنكارها مستقبليًا Deniability of Messages ٥ ـ الإستخدام الموزون لإستراتيجيات التهديد وفتح الباب للمهادنة والموائمة بينهما لتحقيق الهدف التفاوضي. إلى آخره.

لمزيد من التفــاصيل بخصوص الأبحاث التى تفصــل عناصر الجدول رقم (١) وهي عناصر كفــاءات «قدرات» التواصل من منظور «لغــويات التفاوض» (أظر حسن وجيه ، ١٩٨٩).

إن مانــريد الإستــدلال عليه في سياق الــدراسة المقدمــة هنا هــو أن مصدر «خطــاب الفــاولات» الــذي يهيمــن على الكثير من تفــاعــلاتنــا على المستــويين الإجتماعي والسياسي هو إنتهاكه لمعايير قدرات التواصل المشار إليها بنسبة أو بأخرى بالجدول رقم (١).

** حول منهجية منظور لغويات التفاوض

بينما قد تشترك مجموعة من مدارس تحليل «المضمون» ومنظور «لغويات التفاوض» في إنتهاج بعض الخطوات الإجرائية الخمسة كما سبق الإشارة إليها إلا أن هنــاك إختلافين منهجيين أســاسيين بين منظــور «لغــويات التفــاوض» ومدارس تحليل المضمون أو ماعرف عند بعض الباحثين بتحليل الخطاب وهما يتعلقان بالنقاط التالية:

(أ) دراسات مقاييس العلاقة والنماذج التفاعلية:

إن من أهم منطلقات منظور «لغويات التفاوض»هو المحاولة العلمية لوصف ظواهــر وكوامــن الأداء اللغوي في السيــاقات المختلفــة دون الإرتباط المسبـق بنظرية أو تحليل بعينها خاصة تلك المستمدة من العلوم الطبيعية كما هو سائد في الكثير من دراســات العلوم الإجتماعيــة بما فيها علــم اللغويــات وذلك مــن منطلق أن البحث العلمي وعملية التنظير الخاصة بالعلوم الإجتماعية وعلي وجه الخصــوص المتعلقة بتحليــل الأداء اللغــوي تحتــاج إلي السيطرة علي عــوامــل أصعب وأعقد من العوامل التي تتم السيطرة عليها معملياً في العلوم الطبيعية.

فعلى سبيل المثال نجحت دراسات مقــاييس العلاقة Correlative Studies في بعــض السياقــات وفشلت في الكشــف عن طبيعــة الظاهــرة محل الدراســة في سياقات أخري فدراسات مقاييس العلاقة المنقولة عن العلوم الطبيعية هي تلك

الدراســات التي يمكن مــن خلالها قياس درجة العــلاقة بين متغيرين بمعــامل الإرتباط الذي يرمز له برمز وتعطي لــه قيمة رياضية تبين درجة هذه العلاقة ويكون موجباً بين متغيرين(Dependent & Independent Variable) بمعنى أنه إذا تغير أحدهما في إتجاه معين يتغير الآخر في نفس الإتجاه مثلاً.

لقد كان من بين الــذين إستخدموا دراسات مقاييس العــلاقة بنجاح في علم اللغويات الإجتماعي (Sociolinguistics)وليم لابف (Labov)لتحديد العلاقة بين المتحــدثين وأعمارهم وأوضـــاعهم الإجتماعيــة وذكـائهم وإختــلاف أساليــب تناولهم في أدائهم اللغوي والتي لم تكن واضـحة بطـريقة علمية من قبل والتي كان من آثارها إعادة تقييم نظرية عالم الإجتماع(Bernestien) المعروفة بنظرية «العجز الإجتماعي» (Social Deficit Theory)والتي كان لها صدي وأثر كبير في إيقاظ الأمال في أمــريكا وأوربا في حل مشاكــل الصراع الإقتصادي الإجتماعي بين الطبقــات مــن خـــلال تــدخــل الدولــة في عمليــات التعــايــش الإجتماعــي (socialization) لتحــويــل الفقــراء الى متعلمين يعتمـــد عليهــم لمواكبــه تحول الاقتصاد من اليد العاملــه الي الاعتماد علي الخدمات و بالتالي علي الاداء اللغوي الى حد بعيد و التي انفقــت الولايات المتحده اموال طائله عليهــا في عهد الرئيس كيندي في الستينات (انظر Dittmar ١٩٧٦). الا ان مدرسه تحليــل المطارحات في علــم اللغويــات الاجتماعــي والتــي يستند الي نتــائجهــا منظــور «لغويــات التفاوض». تنتقد اساءة تطبيق هذه النوعيه من الدراسات القياسيه التي شاع استعمالها وسوء استعمالها في العلوم الاجتماعية و قدمــت البديل الذي عرف بالنماذج التفاعلية(Interactionist Models) انظر(Gumperz 1977, 1970) وكان ذلك من منطلق نواحي القصور الناتجه من استخدام الدراسات القياسيه التي لا تقــدم تفسيرا دقيقا لاسبــاب اختلاف السلــوكيات حيــث انها لا تشرح لماذا تختلف سلوكيات اساليب التناول اللغويه من مجتمع لاخر؛كذلك فان دراسات القياس (Correlaive Studies) لا تمكننا منْ فهم المعايير الاجتماعيه والقواعد

الخفيه التى تنظم عمليات السلوك اللغوي أثناء التفاعل بين الأفراد أو تفسير أدراك هؤلاء الأفراد لطبيعة العلاقات الاجتماعية المختلفة كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ومن ثم انصرف العديد من الباحثين إلى انتهاج مناهج النماذخه التفاعليه وتراكمت الدراسات فى هذا الاتجاه علم اللغة الاجتماعى . انظر (١٩٧٧) Gumperz(١٩٨٤ ، ١٩٨٦ Tannen) ، وكذلك تستخدم هذه النماذخ فى دراسات تحليل المطارحات القضائية (انظر على سبيل المثال Shuy(١٩٨١ , ١٩٨٧) Walke(١٩٨٧) .

(ب) منظور « لغويات التفاوض » وما عرف بمدرسه تحليل الخطاب فى العالم العربى :

بينما يعالج منظور « لغويات التفاوض » تحليل المضمون فى إطار المنظور الدائرى (Abductive Approach) المشار إليه فى استعراض تطورات توجهات البحث الامبريقى فى علم اللغويات فإن معظم مدارس تحليل المضون كالتى عرفت بمدرسة تحليل الخطاب السياسى ومن أعلامها الفيلسوف الفرنسى ميشيل فوكو (Michael Facuault) وروتى (Rorty) وهاك ديريدا Jack Derrida تقترح دراسة الايديولوجية من خلال الخطاب السياسى . وفي العالم العربي نجد أن أهم الأعمال التى مثلت هذه النوعية من المدارس الفلسفية هي أعمال الفيلسوف المغربى محمد عابد الجابرى الذى قدم عدة مؤلفات منها **تحليل الخطاب العربى المعاصر** (١٩٨٥)، **وتكوين العقل العربى** (١٩٨٤)، **وبنيه العقل العربى** ، وهذه المدارس هى مدارس فلسفية فى واقعها أي أنها تتخذ من علم الفلسفة منطلقها الأساسى للنظر إلى دور اللغة فى سياق تحليل النصوص الاجتماعية والسياسية فهى إذًا تختلف فى أساليبها عن أساليب البحث الامبريقى الذي يتسم به منظور «لغويات التفاوض » ولقد وصف السيد يسين كتابات الجابرى كاحد الممثلين لهذه المدرسة فى سياق تعرضه لها بالتحليل فى مقالته « بحثا عن هويه جديدة للعلوم الاجتماعية فى الوطن العربى»

ـ الخطاب والاصولية المنجهية والاستراتيجيه قائلا :

أن الجابرى حين درس الخطاب العربى المعاصر قد ركز انتباهه على التناقضات بين الخطابات المختلفة ونادرا ما أشار إلى الممارسة وكان اهتمامه بمقياس عدم التناسق الداخلى أكثر من اهتمامه بتقويم التجربة المعاشه ... وأن الجدل بين الفكر والواقع والذى يعد أساسيا فى علم اجتماع المعرفة ، يغيب كليه عن تحليلاته » (السيد يسين ١٩٨٦ : ٤٨٨) .

كذلك فإن النقد الموضوعى الذى يمكن توجيه لكتابات الجابرى ومن ينتمى إلى هذه المدرسة هو نفس النقد الذى يمكن أن يوجه للمدرسة التفكيكية Deconstructionism التى إذا كان لها الجانب الموضوعى الذى يتضمن تفكيك النص إلى مكوناته التى توضح النص كبيانات وليس كبيانات مرصوصة إلا أن ما نعتبره سلبيًا هنا هو إنشغال العديد من أعضاء النخبة العربية بمثل هذا المنهج التفيكيكى والتركيز عليه فقط ولحد ذاته فى كثير من الاحيان ، مثلهم فى ذلك مثل العديد من الباحثين الغربيين وهذا ما انتقده الأستاذWalter Jackson Bate الأستاذ بجامعة هارفارد الذى هاجم المنج التفكيكى بقوله إن هذا المنهج التفكيكى أولاً قد خلق من تحليل النص بإستخدام مفردات هذا المنهج لغة خاصة لا يكاد يفهمها أحد فى معظم الأحيان . و يرى هذا الأستاذ « إن التفكيك فيه إنحرافًا يجمع بين عناصر تحليلية بنيوية وبين نزعة عدمية وهو يأسف لرواج التحليل التفكيكى ولا يرى فيه إبتكارًا بل صياغة جديدة لنزعة التشكيك، التى شاعت قديماً عند الفلاسفة والتى رد عليها كل من إفلاطون والفيلسوف كانت Kant من بعده . ولهذا فهو لا يرى داعيًا للتشكيك والتفكيك لان هذا الأمر يؤدى إلى خلق فراغ معرفى » (٤٦ : ١٩٧٩) Bate, 1979

إن هذا المنهج التفكيكى هو المنهج الذى هيمن على مقولات غالبية من الباحثين العرب في تفنيدهم للمسائل الفلسفية المتعلقة بالتراث العربي والحداثة وإنتهاج أسلوب تعميمي يميل إلي ترك التراث أو التحرر التام من النموذج

السلفي، الأمر الذي جعل تركيزهم ينصب أساساً علي تفكيك الماضي إلي كتل من المطارحات المشكوك في كل ما تتضمنه، وهذا الأمر لايساهم بالتأكيد في بناء المستقبل، ولكنه يسبب نوع من الخلخلة لأسس وقيم كثيرة يصعب الحسم فيها. ولاشك أن أنتهاج هذا المنهج التفكيكي قد أسهم أكثر في خلق ذلك الفراغ المعرفي وخلق روح من الشك في كل شيء واليأس والأحباط لأجيال قادمة الأمر الذي أدي إلي وجود عدم يقين لدي كثير من شباب اليوم في أي شيء وهو الوضع الذي نلاحظه في كثير من مقولات شباب هذه الأمة في الوقت الراهن وهو ماسوف نقدم له تحليلاً أكثر تفصيلاً عند تناولنا لنمط اليأس والإحباط في الحوار في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

الفصل الثالث

خريطة تفاعلات أزمة الخليج وموقع الدراسة عليها

إذا كانت عمليات المساومة والتفاوض(Bargaining & Negotiation)من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية وتناولها العديد بالدراسة العلمية من زوايا ومجالات متعددة (علي سبيل المثال لا الحصر أنظر Fraser ،١٩٨٤ Goffman ١٩٦٩، Habeeb ١٩٨٨ Snyder & Diesing ١٩٧٧، Ikle ،١٩٨٧ Montville ١٩٨٧، (Aly) ١٩٨٢، Hassan - wageih ١٩٨٩) فلقد كان لأزمة الخليج تعقيدات فريدة من نوعها. فإذا كانت صفة «المفاوض العربي» في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة والتي حدثت في إطار نظام عالمي يهيمن عليه قطبين Bipolar System تتضمن أساساً مواجهة مع مفاوضين من غير العرب، فإن « المفاوض العربي» أثناء هذه الأزمة يمثل «المفاوض العربي» في مواجهة « مفاوض عربي آخر» من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب -كل بطريقته- من الناحية الأخرى وفي هذا الفصل سنقدم تحديداً لخريطة تفاعلات الأزمة وبمعنى أخر التركيبة الهيكلية العامة للموقف التفاوضي الذي اتسمت به هذه الأزمة وسوف تحاول هذه الدراسة التركيز علي جزئية من هذه الخريطة وهي الخاصة بالإشكاليات الأساسية في عملية التفاوض الدولية العربية والعربية العربية من منظور «لغويات التفاوض» (المكون رقم ٦ في شكل رقم (١)

فالباحث يري أن إشكاليات التفاوض التي قذفت بها تفاعلات هذه الأزمة لم تكن وليدة أحداث هذه الأزمة فقط ولكنها تمثل في واقعها ناتج تلك الأزمة المزمنة التي كان ولايزال يعاني منها العالم العربي سواء على مستوى تفاعلات

النخبة أو الرأي العـام وتظهر أعراض هذه الأزمـة المزمنة من خلال هـذا الكم الهائل من السلبيـات التي تـرسـخت في أنماط وإسـتراتيجيـة الحوار التفاوضي اليـومي في العـالم العـربي وبنسـب متفاوتـة بين البلـدان العـربية المختلفـة. ولاترجـع هذه السلبيـات إلي وجود أزمة أخـلاقية فقط كما يـري ذلك غـالبية الباحثين وأعضاء النخبة العربية ولكن الأمر يرجع أساساً إلي إفتقاد التآلف مع تقنيات وديناميكيات التفـاعلات الحوارية التفـاوضية المعقـدة بطبيعتها علي المستويين الإجتماعي والسياسي والتـي يهتم العالم المتقدم بالتعامـل معها من خلال العـديد من المجـالات الإزدواجية الحديثة والتـي يمثل عدم وجـودها في بـرامج الـدراسـات العليا في مجالات العلـوم الإنسانيـة وفي مـراحل التعليـم بمستوياتها المختلفة (بعد تبسيطها) في العالم العربي في الوقت الراهن قصوراً بحثياً وتعليمياً كبيراً. (أنظر حسن وجيه (١٩٨٤) –(١٩٩٠)، (١٩٩١) .

والإفتراضية المقدمة في هذه الدراسة هي أن عمليات التفاوض علي المستوي الإجتماعي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها، وإن زادت الأخيرة في حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها وإن لكل من نـوعي التفاوض تعقيـدات بالغة الضخـامة ينبغـي النظر إليها بـأسلوب شمولي في إطـار نظام القيم الإجتماعيـة والثقافية لأفراد مجمـوعة ثقافيـة ما وكذلك في إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر إتساعاً وتعقيداً. وبالتالي فإن نجاح التفـاوض الإجتماعي والسيـاسي يستلزم مـن المتحاوريـن التدرب علي إكتساب قـدرات خاصة بكفـاءة التواصـل الحواري والقدرة علي التعامـل مع أساليب التناول المختلفة وإقامة الحجـج وتفنيدها وإختبار إتساقها وإكتساب وتنميـة المهارات التفـاوضيـة الأسـاسية التـي تمكـن مـن توظيـف أنسـب الاستراتيجيات الحوارية الملائمة لسياق ما بعد الفهم الكامل والعميق للموقف التفاوضي وطبيعتـه والقراءة السليمة لما يتعلـق به من أحـداث (أو نصوص). والتـي أوضحنا عنـاصرها مـن خـلال الجدول رقم (١) الخاص بكفـاءات أو

شكل رقم ١
تركيبة موضوعات التفاوض
المتمخضة عن تحركات الأطراف
(Interactional Topics)



قدرات التواصل من منظور لغويات التفاوض في الفصل الثاني.

والشكل السابق (رقم ١) يوضح الإطار العام لخريطة تفاعلات الأزمة أو بمعني أخر « رحم تفاعلات» هذه الأزمة منذ بدايتها.

أن الهدف من عرض هذا الشكل رقم (١) ليس تقديم تحليل لعناصر موضوعات التفاوض الرئيسية المتمخضة عن تحركات أطراف الأزمة والمتضمنة به، فهذا له سياق تفصيلي أخر، ولكن الهدف هو - وكما ذكرنا - توضيح الرؤية الشمولية لتفاعلات الأزمة وطبيعتها وتحديد لموقع هذه الدراسة التي تعني بالمكون رقم ٦ بالشكل رقم (١)، وهو ذلك المكون الذي يتعامل مع مجموعتين من الأشكاليات، الأولي تعني بإشكاليات التفاوض العربية الدولية، والثانية تعني بإشكاليات التفاوض العربية العربية،الأمر الذي سوف نتعرض له بالتفصيل فيما يلي ونكمله بالفصلين الرابع والخامس.

وكبداية لتناول هاتين المجموعتين من الإشكاليات نقدم النقاط التالية في هذا الفصل كمدخل عام لمجموعتي الإشكاليات بالفصل الرابع:

أولاً: خصوصية أزمة الخليج في ظل أدبيات الأزمات الدولية السابقة :

ينطبق علي أحداث الخليج ١٩٩٠ تعريف الأزمة :كما يقرها خبير العلاقات الدولية « وليام كوانت» حيث يقول:

« إن الأزمات بطبيعتها تطرح إفتراضات سائدة عن الواقع بطريقة خاصة وحادة. وعندما تتم مواجهة القائمين علي صناعة القرار السياسي بهذا الواقع بطريقة مفاجئة تتسم بوجود خطر داهم وعدم يقين بما سوف يحدث، يبدأ هؤلاء القائمون علي صناعة القرار بمعالجة الأوضاع علي أساس المفاهيم السابقة لديهم لذلك الواقع. ولكن عندما لايتطابق هذا الواقع مع الصور الذهنية السابقة لديهم للأمور المختلفة وجب علي صناع القرار وبسرعة بالغة وفي ظل أحداث متلاحقة سريعة أن يقوموا بإعادة صياغة الصور الذهنية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للأوضاع السابقة لما قبل الأزمة.. فإذا ماإنفرجت الأزمة بنجاح يستمر تواجد هذه الصور الذهنية الجديدة للأوضاع وكذلك لأطراف الأزمة وتستوعب الدروس الخاصة بما حدث وينبثق إطاراً جديداً للتحركات السياسية المستقبلية» . (كوانت ١٩٧٧ : ١٦٥)

ثانياً: تصنيف هذه الأزمة:

صُنفت الأزمات الدولية إلي نوعين رئيسيين، الأول هي تلك الأزمات التي حدثت في نظام دولي تهيمن عليه عدة قوي دولية وهي ماسميت بأزمات عالم الأقطاب المتعددة "Multipolar cirses" كتلك التي حدثت في مستهل هذا القرن والنوع الثاني يشمل تلك الأزمات التي حدثت في إطار النظام الدولي الذي هيمنت عليه القوتين العظميين في عالمنا المعاصر وهي ما سميت » بأزمات عالم القوتين« (Bipolar crises) وكان أهمها الأزمة التي ترتبت عن حرب أكتوبر ١٩٧٣. أما أزمة الخليج الراهنة فتصنف فيما يعرف « بأزمات عالم الأقطاب المتعددة الجديد» (New multipolar crises) [أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧].

ويتلخص الفرق بين نوعي الأزمات الرئيسية في الاتي:

١– إنه عادة مايسمح النوع الأول (Multipolar crises) بوجود إعتبارات للتكيف والتنسيق الأكثر مع الأوضاع (alignment considerations) أكثر من المطلوب في النوع الثاني (Bipolar crises) وهذا يرجع إلي حدوث مكثف لنوعين من المساومات أحدهما مايسمي » بمساومات المتنازعين« (Adversary Bargaining) وهذا يعني وجودمباراتين علي الساحة «مباراة التنازع ومباراة التحالف» . وتتداخل أفعال الأطراف في اللعبتين ولكن تختلف طبيعة ذلك التداخل ففي «مباراة التنازع» (Adversary Game) تتسم طبيعة التداخل بمقدار الأذي الذي قد يلحقه طرف ما بالخصم ويتوقف هذا الأمر علي درجة حدة صراع المصالح، فكل طرف في هذه الحالة يحاول أن يجبر الخصم علي الرضوخ

لمطالبه، وتكون هنـاك إذاً عملية تقييم مستمر للمصالح مـع الإستعداد لإيقاع الأذي والسوء بالآخر ويتمخض عن ذلك توقعات بخصوص قوة عزم الطرف الآخر ومدي حسمه في الأزمة وعملية المسـاومة هنا عادة ماتتضمن محاولات السيطرة علي قدرة الآخر علي الحسم من خلال التهديد وإلا فإن تقديم الحلول الوسط بشأن الصراع وتقديم التنازلات هو الخيار الآخر لذلك الطرف أو ذاك. أما في « مباراة التحالف» (Alliance Game) فإن التداخل يرجع إلي القدر الذي يحتاج فيه المتحالفين وأشباه المتحالفين بعضهم لبعض وهذا يعني مدي حاجة كل من المتحـالفين وإعتماده علي قوة بعضهم البعض لمواجهة التهـديدات التي يرسلها الخصم.

٢- إن التحالف في حالة أزمات النظام الدولي الثنائي(Bipolar crises)عادة مايكون مجرد تسجيل للمصـالح العامة لأعضاء التحالف فالمصـالح كامنة في تركيبـة القدرة لهذا النوع مـن النظام الدولي، وهـذاهو ما كـان سائداً في فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة و«الإتحاد السوفييتي» سابقا. أما التحالف في حالـة « أزمات النظام الدولي المتعـدد القوي » (Multipolar crises)عادة ما يخلق مصالح مستجدة لم تكن موجودة مـن قبل .. ففي هذه الحالةيعكس أمر التحالف عدم وجود دولة تمتلك القوة الكافية بمفردها لمجابهة التهديدات التي قد تأتي بها مراحل الأزمة .

٣ ـ أمـا الفرق الثالـث بين نوعي الأزمـات فهو كما حدده روبـرت أزجود Osgood أنه في حالة أزمات النظام الثنائي (Bipolar crises)فإن المصالح تكون متجانسة(Homogeneous) وفي حالة أزمات النظام المتعدد القوى (Mulitipolar crises) تكون المصالح غير متجانسة (Heterogeneous) .

لمزيد من التفاصيل في شأن هذه الفروق (أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧)

وفي ضوء مـاذُكر يمكـن القول بـأن أحداث الخليـج ينطبق عليهـا مايميـز نـوع«الأزمـات التي تحدث في عـالم تعـدد الأقطـاب الجديد» الـذي تضطلـع

الولايات المتحدة فيه بالدور الرئيسي فيه إلا أن العراق في هذه الأزمة قد وقف وحيداً وقد تحالف معه بقدر أو بآخر ومتأرجح بعض القوى ذات غير الوزن في النظام الدولي حركهم في ذلك إدراك مستقبلي وهمى(Illusionary perception)بإمكانية تحقيق قدر من المغانم أو رفع شعارات مغلوطة وغير عقلانية وهذا يكفي المراقب بأن يصف موقف العراق والذين أيدونه بأنهم ذوو أهداف متجانسة وأن العراق كان هو سيد هذا التحالف. وفي مقابل العراق كان هناك خصم يضم حلفاء لهم وزنهم الدولي ورغم أهدافهم المتنافرة فقد إتفقوا على إدانة الغزو العراقي للكويت وضم الكويت ورفعوا شعار الشرعية الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة التي إتخذت العديد من القرارت لإدانة العدوان والمطالبة بعودة الحكومة الشرعية للكويت وفرض العقوبات الإقتصادية والحصار البري والبحري والجوي علي العراق إلى أن اندلعت الحرب وحقق التحالف ما أراده وفرض أجندة الموضوعات التي أعلنها في بدء صراع الأزمة.



الفصل الرابع

إشكاليات التفاوض العربية الدولية، والعربية العربية

إذا كنا قد إستعرضنا في الفصل الثالث تركيبة الموقف التفاوضي لأزمة الخليج كأزمة لها سمات الأزمات العالمية من ناحية وجود صور ذهنية قد استجدت للأطراف عند بداية الأزمة وبالتالي فلقد حاولت جميع الأطراف أن تتعامل مع هذه الصور المستجدة في ظل عدم اليقين بما سوف يحدث، وفي هذا الفصل سنوضح ذلك البعد التركيبي الأخر للموقف التفاوضي للأزمة والذي بلا شك، قد زاد من تعقيدات التعامل مع هذه الأزمة ويتمثل هذا البعد في تلك التركيبات والإشكاليات الإثنية الثقافية المتعددة والمعقدة التي أحاطت بالأزمة. وهذه الإشكاليات التركيبية تتلخص -كما ذكرنا- في حدوث هذه الأزمة في سياق أزمة أخري مزمنة يعاني منها العالم العربي في تفاعلاته التفاوضية اليومية وعلي مستوي النخبة قبل أن يكون الأمر علي مستوي الجماهير. ونحاول من خلال هذا القسم من الدراسة تقديم تقييم للمقولات التي تتعلق بهذه الأزمة المزمنة وتسليط الضوء علي تلك الأنماط الحوارية التي تسبب شيوعها في مزيد من تأزم التفاعلات الحوارية في العالم العربي وبالتالي فشلت المحاولة بعد الأخري في إنجاح عملية التفاوض العربية العربية التي كان الهدف منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت. ولقد أدي « خطاب الفاولات» وعدم إدراك مايحدث على الساحة الدولية إلي أن تكبد العالم العربي خسائر فادحة كان في غنى عنها بكل تأكيد.

ولقد تناول العديد من المتخصصين في العلوم الإجتماعية العرب وغير

العرب تعقيدات الأوضاع الثقافية العربية للأزمة المزمنة ولعلنا نجد في مفردات بعض هذه الدراسات الرئيسية مؤشراً واضحاً علي كينونة الواقع الثقافي العربي، فغليون قد قدم دراسة بعنوان **إغتيال العقل العربي** (١٩٩٠) والتى وضح بها أن علاقة العرب بثقافتهم علاقة معقدة ومتناقضة إلي أبعد الحدود. فالبعض يري هذه العلاقة سبب في التخلف والبعض الآخر ينظر إليها كخشبة الخلاص. ولقد حاول غليون من خلال كتابه أن يبين كيف أن محنة الثقافة العربية ليست إلا مظهراً لمحنة الذات العربية وتشتتها بين التأكيد الشكلي للذات، والرفض السلبي للأخر.

وأنتقد الجابري العقل العربي في كتابيه بنفس العنوان لعامي(١٩٨٤، ١٩٨٦) وفي كتابه بعنوان **العقل السياسي العربي** في عام ١٩٩٠أما هشام شرابي فيقدم تحليلاً سياسيًا اجتماعيًا للثقافة العربية وينتقد فيه عوامل الشلل والجمود التي تعوق حركة التغيير من وجهة نظره في كتابه بعنوان **البنية البطركية** (١٩٨٧) وإذا كانت هذه الأعمال تصف الوضع العربي بمسميات مختلفة فإن السيد يسين قد وصف الواقع العربي بأنه « أزمة » عندما تحدث عن « خطاب الأزمة » (١٩٨٩) وكان يعني بذلك تلك الخطابات المتصارعة في الوطن العربي ورغم أن تعريف « الأزمة» في ظل التفاعلات الدولية وكما ورد ذكره في الفصل الثالث من هذه الدراسة (كوانت ١٩٧٧) يختلف عن إستخدام تعبير«الأزمة» بمعناها المجازي والمتمثل في وصف عنف تصارع الخطابات في العالم العربي من دينية وعلمانية وخلافه، إلا أن المتأمل في هذا الوصف المجازي يجد وكأنما كان هذا الإستخدام ينبيء بإستمرارية الأمور في إتجاه طريق الأزمة الحقيقية الكبري التي نعيشها الآن. ولقد أشار السيد يسين في معرض حديثه عن « أزمة الخطاب العربي المعاصر» إلى أهم الندوات العربية التي تعرضت بالنقد للأوضاع الثقافية العربية المعاصرة والتي كان عنوانها « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » ومن

سخريات القدر أنها عقدت بالكويت عام ١٩٨٤ وكان دافع مجموعة الباحثين البارزين من المثقفين العرب لعقد تلك الندوة في ذلك الوقت هو «حالة التشرذم الذي وصل إليه العالم العربي وظهور جوانب الضعف الجسيمة في بنائه مما جعله أرضاً مستباحة للعدوان بأشكاله وصيغه المتعددة». (السيد يسين ١٩٨٩).

إن معظم الدراسات التي عنيت بأمر تأمل الوضع الثقافي في العالم العربي هي دراسات وصفية من منظور نظري فلسفي واستقرائي " deductive "وليس من منظور امبريقي استدلالي Inductive (empirical/ أو دائري Abductive كما في حالة إستخدام منظور لغويات التفاوض الذي قدمنا تفصيلاً له في الفصل الثاني من هذه الدراسة. وسوف نستعرض في هذا الجزء أكثر الأنماط سلبية في التفاعلات التفاوضية العربية في سياق الأزمة المزمنة وكذلك ماحدث منها أثناء أزمة الخليج. وسوف نسلط الضوء أولاً علي تلك الأشكاليات الخاصة التي عادة ماتصاحب الأزمات الدولية عموماً ثم نستعرض إشكاليات الأزمة المزمنة في العالم العربي وكيف أنها أضافت بعداً غاية في التعقيد للتركيبة الهيكلية للموقف التفاوضي الخاص بأزمة الخليج ١٩٩٠. إذاً فإن الإشكاليات التي سنتعرض لها في هذا القسم من الدراسة تنقسم إلي مجموعتين من الإشكاليات. المجموعة الأولي وتبحث في عناصر الأزمات الدولية والثانية تبحث في عناصر الخصوصية الثقافية للأزمة والإشكاليات المتمخضة عن تلك الخصوصية وهذا ماسوف نتناوله في إطار مأود أن أسميه » بخطاب أو مطارحات الفاولات»كما أرشارنا إلى ذلك آنفًا .

أولاً : المجموعة الأولي من الإشكاليات :

الإشكالية الأولي: حدة تنافس الأطراف لتكوين الصورة الذهنية لدي الآخرين بما يؤثر في ناتج الأزمة (Image & Schesmogensis)

من الممكن النظر لموضوع تنافس الأطراف لتكوين صورة ذهنية لدي

الآخريـن تساهـم في ناتـج الأزمة مـن خلال مستـويين، الأول يتعلق بـرؤية الأطراف بعضهم لبعـض بصفة عامة بعيـداً عن أزمة الخليج والثـاني يتعلق بكيفية رؤية الأطراف بعضهم لبعـض في سياق الأزمة ذاتها. ويتعلق المستوى الأول بصراع المنافسة الحادة بين الأطـراف من حيث توظيف أسـاليب الحسم والدفاع عـن المبدأ والقوة وعدم الرضـوخ أو المهادنة في لحظة مـا من لحظات الأزمة وإنتهاج كافة العمليات التفاوضية التي تبقي على حدة الصراع وهذا هو ما يعرف بما يسميه خبراء اللغويات الإجتماعية†(Linguistic Schesmogensis)« أنظر Bateson ١٩٧٧» .

وإذا كان لإعتبار الصورة الذهنية للأخرين أمر هام في تحديد مسار العديد من الأزمات الدولية السابقة والتي لم يكـن العرب أطراف فيها فإن أمر إعتبار الصورة الذهنية لدى الآخرين في هذه الأزمة كان له قدر كبير من الأعتبار لأنها لم تمثل فقط صراعاً بين طـرفين يهتم كل منهما بالصورة التي يـريد أن ينقلها للآخـر والتي تمكنه من الخروج فـائزاً أو على الأقل متعادلاً بعد الأزمـة والتي تعتبر فرصة أي زعيم لتأكيد ذاته أمـام شعبه وأمام العالم، ولكن الأمر في هذه الأزمة قد مثل صراعاً بين ثقافتين يعرفهما البـاحثون في مجال اللغوية العرقية (Ethnolingustics) والإنثربولوجي « بالثقافة العليا» و« الثقافة الدنيا» (High & Low Cultures) فأفـراد « الثقافة العليا » والتـي صنفت في إطارها الثقـافة العربيـة يهتمون بشكـل الصورة التـي يريـدون أن ينظر إليهـم بها الاخرون ويضعون ذلك الأمـر فوق كافة الأولـويات والإعتبارات الخاصـة بنظـام القيم لديهم، بينما لايضـع أفراد « الثقافة الـدنيا» (Low Culture) نفس القيمـة لهذا الأمر في ترتيب نظام القيمة لديهم وهـذا يجعلهم أكثر قدرة علي التكيف بطبيعة الحال. (للفروق بين نوعي الثقافة أنظر تينج تومي Ting-Toomy١٩٨٥) وهنا يظهر سبـب مقنع في تفسير « عناد» صدام حسين للنهـاية ومحاولة تصـوير نفسه بالبطل المنقذ الذي يستطيع أن يتحـدى أعتى القوى في العالم بل يستطيع

أن يتحدى العالم أجمع دون أن يرضخ مهما كـانت النتائج ويستحيل عليه أن يتراجع أو يتكيف بصورة سريعة مع الأحـداث طالما يتعارض هذا مع الصورة الذهنية التي إقتنع هو نفسه أنها الصورة الـوحيدة التي يريد أن ينظر إليه من خلالها الجميـع.. ولذلك فإن تصـويره في الغرب في بـداية الأزمة بأنــه « هتلر، وموسـوليني، ونـاصر، وصلاح الديـن، وربين هود، وكـابون» (كما ورد في نيوزويك ١٢ أغسطـس ١٩٩٠) قد زاد من إحساســه بالصورة الذهنيـة التي أراد أن يُنظر بها إليـه فعلي الرغـم من عدم دقـة هذه الأوصـاف عليه خـاصة بوصفه صلاح الدين أو حتي عبد الناصر ــ وفي هذا مايعكس الرؤية التأطرية للعالم الغربي التـي تتسم هي الأخري بـالمغالطات التاريخيـة والموضوعية في كثير من الأحيان والنظر للعرب والمسلمين والأرهابين بمعني واحد ـ . إلا أن ما وحد بين هذه الشخصيات أنه يتوفر فيها عامل الحسم والقوة وهو ما قد أقنع صدام حسين بالإستمرار في عناده بالقدر الذي أتاح للغرب تسديد الضربة التي رأوا ألا يتراجعوا عـن تسديدهـا له ولذلـك وُصف بـأنه ذلك المفـاوض العنيد (نيـوزويك ١٢ أغسطـس ١٩٩٠) الأمـر الـذي ولّد لـديـه إحسـاس بالثقـة والإستمـرار في عناده فهـذه الصورة التـي أوحي لـه الغرب بها قـد أكدت لـه نجاحه ولو لحين، فوصفه بـالمفاوض العنيد أو بالإنجليزيةBully Negotiator والمعني هو المفاوض العنيد المتحكم فيمـن هو أضعف منه والذي يجد المتعة في إجبار الأخرين علي أن يفعلوا دائماً مايريدهم أن يفعلوه. ولقد عرف ماتسبوره ١٩٨٨Matsburah هذه النوعية من المفاوضـين بأنه

« ذلك المفاوض الذي يعرف بإستخدام مبدأ العين بالعين ولايهادن أبداً.

وإذا كانـت هذه صفـة تفاوضيـة لها ميزتها في بعـض الأحيان إلا أنها ليسـت بالتأكيـد أفضل صفات التفاوض. والميزة الأسـاسيـة لهذه الصفة إذا لم يساء إستخـدامها وتـوظيفها هـي الحصول على أكبر قـدر من الفـوائد من العمليـة التفاوضية وعدم تحمل أي نوع من الإستجابة من الطرف أو الأطراف الأخرى

هذا ولايستريح هذا النوع من المفاوضين إلا في حالة تعاون ومهادنة الطرف أو الأطراف الأخري تماماً. (Matusburah ١٩٨٨:٨)

وفي مقابل صدام أكد بوش هذه الصورة الذهنية لصدام لإستدراجه في مستنقع لم ينجو صدام منه وذلك عندما ذكر في حديث له » إنه قد تعلم منذ طفولته أن يقف إلي جانب المظلوم والمستنجد به وكما أنه يراعي الأخلاق وصفات المسيحي الطيب إلا أن تربيته في مؤسسة واسب المسيحية (Wasp) قد مكنته من أن يرد الشخص العنيد الذي يسيء إستخدام قوتهBully (نيوزويك ٢٠ أغسطس ١٩٩٠).

ومن الأمثلة الشيقة التي حدثت أثناء تفاعلات الأزمة والتي توضح صراع الثقافتين العليا والدنيا، واللتان أشرنا إليهما آنفاً، واللتان يحدث في إطارهما تفاعلات كل من صدام وبوش، هو ماحدث أثناء المحادثات التي أجراها وزيرا الخارجية العراقي طارق عزيز ونظيره الأمريكي جيمس بيكر في جنيف في بداية شهر يناير ١٩٩١ أي قبل إنتهاء المهلة الدولية للعراق للإنسحاب من الكويت. ففي نهاية المحادثات رفض طارق عزيز مجرد أن يحمل رسالة خطية من الرئيس بوش إلي صدام حسين لمجرد أنه يخاطبه فيها بـ « صدام مجرداً» !!، وكأنما جرده بوش من أهم شيء لديه، من لقبه « المهيب الركن» ، رفض وزير الخارجية العراقي حمل الرسالة وحاول إفهام بيكر عبثاً: إذا ما كان بوش يعتزم سلاماً حقيقياً فعليه أن يتأدب في الخطاب!! ولقد وقف الرئيس بوش بعد ذلك بساعات قليلة أمام كاميرات التليفزيون وهو يقسم بأن الخطاب كان في منتهى الأدب وأنه كان مباشراً وقصيراً ومختصراً !!.. وبالفعل ففي الثقافة الأمريكية يكون الحوار أكثر قرباً بين اطراف الحوار إذا لم تكن الألقاب سائدة. أما في ثقافتنا العربية فإن اللغة الفخمة مطلوبة، فتفاعلاتنا غنية بالألقاب وعبارات التكريم، فالعربي البسيط عندما يخاطبه أي شخص فإنه عادة لا يستمع إلي الكلام بقدر ما ينصت إلي الأسلوب الذي يساق به هذا

الكلام، فما بالنا إذا كان المخاطب رئيس دولة.

وإذا كان ماسبق ذكره يلقي بالضوء على طبيعة أمر صراع الشخصية في عمليات التفاوض العربية الدولية، فإن صراع الشخصيات المحورية في سياق الأزمة علي مستوي عملية التفاوض العربية العربية نجده في صراع شخص الرئيس مبارك والرئيس صدام حسين.

ولقد كان لهذا الصراع الأثر الحاسم في تحديد ناتج أزمة الخليج وكان أول آراء النخبة في هذا الصدد ما أورده الدكتور سعد الدين ابراهيم بعد أيام قليلة من غزو العراق للكويت علي صفحات جريدة الأهرام بإيجاز يمثل تصارع الشخصيتين وما تمثله كل منهما من أنماط في عمليات التفاوض العربية العربية ونورد هنا هذا الرأي بنصه الذي نشر بالأهرام في ١٦/٨/١٩٩٠ تحت عنوان « مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية ».

« لاشك أن الأزمة التي أحدثها الرئيس العراقي صدام حسين باجتياحه للكويت الشقيق، يمكن أن تتحول إلي كارثة مدمرة بالنسبة له وللعراق والخليج وبقية الوطن العربي. وشأن هذا الرجل هو شأن الشخصية التراجيدية في الأساطير الإغريقية، يري الكارثة قادمة أمام عينيه مثل كتاب مفتوح، ولكنه بوعي أو بغير وعي يقذف بنفسه إلي قلب الكارثة كما لو كان يستجيب لقدر محتوم. وقد قيل الكثير حول فقدان الرجل لرشده السياسي واختلطت عليه » الأزمنة » و« الأمكنة» وقوانين الحركة في النظام العالمي. ويتصرف صدام حسين الآن كما لو كان يؤمن بأنه استثناء فذ لقوانين التاريخ والإجتماع، بينما كل الشواهد تشير إلي أنه نشاز صارخ لهذه القوانين.

وفي مواجهة هذه الشخصية التراجيدية الناشزة يقف الرئيس المصري حسني مبارك بثبات وشجاعة وعقلانية يحاول أن يمنع تحول الأزمة إلى كارثة ويؤمن أن « الإنقاذ» ممكن وأن الكارثة ليست حتمية. وقد عبر عن ذلك كله في خطابه إلي الأمة يوم الأربعاء ٨/٨/١٩٩٠، ثم أمام مؤتمر القمة يوم الجمعة ١٠/٨/١٩٩٠، وأثبت مبارك أنه زعيم قومي عاقل ورجل دولة مسئول.

وكبر بمصر وعقلاء العرب، وكبرت معه مصر وعقــلاء العرب. وكان واضحاً أن الرجل يعــرف« مكانه» و« زمانــه» وقوانين عصره وعالمه بكل الشفــافية والوضـوح.

وبين شخصية صــدام التراجيديــة النشاز، وشخصية مبــارك رجل الــدولة العاقل، يتأرجح حاضر ومستقبل الأمة العربية بأسرها. أحدهما يستثير أحط غرائز الغـوغائيــة العربيــة، والآخر يستنفــر أسمي مبــادئ الأمة العــربية. والمقــابلــة أو المقــارنــة هنــا ليســت بين شـخصين أو رئيسين وإنما هــي بين ظاهرتين، وبين نزعتين، وبين اتجاهين. ظاهرة البقــاء في مقابل ظاهرة الفناء نزعة عقــلانية في مواجهة نــزعة خرافية اتجاه نحــو المستقبل واتجاه نحو الماضي وسواء يــدرك الرجــلان ذلك بــوعي أو لايــدركانــه، إلا أنهما في لحظة الدراما القومية هذه يجسمان كل جدليات التاريخ والإجتماع العربي.

ولأننا مع « البقاء » و« العقلانية» و« المستقبل» فلايمكن ولاينبغي أن نترك رجلاً واحداً في قطر عربي واحد يقرر مصير مــائتي مليون عربي، خاصة إذا كان هــذا الرجــل شخصية تــراجيديــة ناشــزة، تجسم نــزعات »« الفنــاء» و«الخرافة» و« الماضي» . لذلك لابد أن يقف العرب مع مبارك ومع مصر ومع قوات السلام العربية في الخليج ولابد من دعم ما يمثله هذا الرجل من نزعات البقاء والعقلانيــة والمستقبل بالمال والسلاح والــرجال، ففي أمتنا مــن لديهم فيض من الرجال وفيها مالديهم فيض من المال والسلاح، ولابد من المزاوجة بين الرجال والمال والسلاح بلا وهن أو تردد. فــإذا فعلنا ذلك بحسم وجدية، فلابد للأزمة أن تنتهي دون أن تتحول إلي كارثة عربية.

لقد كلفت الأزمة التي خلقها صــدام حسين لنفسه وللعراق وللخليج والوطن العربي في أسبــوعين فقط ما يــوازي عشرة مليار دولار ذهبت هبــاءً منثورا، غير كل الألام الإنسانية والبشرية لشعب الكـويت والعرب والعالم، وهي آلام لاتقدر بمال. ولعل في هذه الحقيقة نفسها أحد مؤشرات ماكان ينبغي علينا أن نفعله في الماضي. وبالقطـع فهي مؤشر لما ينبغي أن نفعلــه في المستقبل مباشرة بعد إحتواء الأزمة ونقصد بذلك بناء نظــام عربي جديد أكثر تكافلاً بين عرب اليسر وعــرب العسر. منعــاً لإنفجــار أحقــاد مكبــوتــة، نظــام عــربي أكثــر

ديموقراطية منعاً لظهور المستبدين المغامرين من أمثـال صدام، نظام عربي أكثر قـوة من داخله وعماده مصر، منعاً لإلتهـام أقطارنا الصغيرة بـواسطة أشقاء جشعين أو أجانب طامعين. ومهما كانت كلفة هذا النظام العربي الجديد - الاكثر تكافلاً وديمـوقراطية وأمناً- فإنها بالقطع ستكون أقـل من تكاليف أهـدار المال والبشر والأمـن والكـرامة لكـل الأمـة كما رأينـا في الأسبـوعين الماضيين.»

الإشكالية الثانية: إشكالية تفاعل الأنظمة المتصارعة :

إذا كانـت دراسة تصـارع الشخصيات بطبيعتها المختلفـة تتم مـن خلال بعض النظـريات والنماذج التي تعنـي بتحليل الأزمـات والتفاعلات الـدولية. (أنظر علي سبيل المثال كالدويل دانCaldwell، **كيسنجر شخصيته وسياسته** ١٩٨٣) وكتاب Barber James **خواص الرؤساء**، ١٩٨٥. فإن هناك منهج أخر لتحديد دراسـة الأزمات من خلال تحليـل الطبيعة التفاعلية للنظـم المتصارعة وعملية صناعة القرار بها (علي سبيل المثـال أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧) فإن النظر مـن خلال هذا المنظـور الأخير يوضـح أن أحد عناصر الهيكـل التركيبي لعملية التفاوض التي ينبغي إعتبارها في تقييم تفاعلات الأزمة هو وجود صراع بين نظام ديكتاتـوري يوظف ما يسمـي بالدبلومـاسية الشمولية مـن ناحية وعدة نظم دوليـة توظف أغلبها تفاعلات تتماشي مـع مايسمي بالدبلـوماسية الديموقراطية بخصوص هذه التصنيفات أنظرNicolson، ١٩٨٨).

ولقد تجسدت مـلامح هذا الصراع بين نوعـي الدبلوماسيـة في سياق أزمة الخليج ١٩٩٠ في نقطتين رئيسيتين هما:

(أ) إن النظـام الشمولي في بغـداد استطـاع من خـلال إجـراءاتـه وآلياتـه ومفاهيم سخرة الفرد أن يصمد في وجه العقوبات الإقتصادية لفترة أطالت من أمد الأزمـة ولقد تنبـأ بطول هـذه الأزمة منـذ الأيام الأولي لـلأزمة د. مـايكل هدسون أستاذ العـلاقات الدولية بجامعة جورجتـاون حين ذُكر علي لسانه في مجلة نيوزويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠ قولـه « أن هذا النظام لديه القدرة علي

أن يستخلص من الشعب أكبر قدر من المعاناة. كذلك فإنه نظام يتسم بدرجة عالية من النظام والإنضباط ولذلك فبإمكانه أيضاً إستغلال الرقعة الزراعية لديه تحت وطأة الأزمة لزيادة إنتاجه من الأساسيات مع الإلتزام بإجراءات تقشف حادة.» (نيوزويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠).

(ب) إن النظام الشمولي بطبيعته يستطيع القيام بحملات دعائية مركزة تكون لها نتائج حاسمة في عقول الجماهير بداخلها وقد تؤثر هذه النظم الشمولية في معقولية وقدرة الجماهير علي التميز بين الحقيقة والدعاية فيها ومن هنا يمكن تبرير إستجابة جموع كبيرة من الجماهير العربية في شكل مظاهرات تأييد للعراق أثناء الأزمة .

ولعل من الأمثلة الشيقة التي أفرزتها هذه الأزمة في هذا الصدد هو إستخدام أجهزة الدعاية العراقية لتعبير « الحملة الصليبية Crusade » . فعلي الرغم من أن المملكة العربية السعودية قد طلبت دخول القوات الأمريكية للسعودية بعد غزو صدام للكويت وتهديد أوضاع قواته الهجومية بغزو السعودية إلا أن العراق قد وصف القوات الأمريكية والدولية المتواجدة بالمنطقة بأنها » حملات صليبية جاءت لتحقيق مطامعها الخاصة بها وقد وجدت هذه الترجمة لتعبير "Crusade" وللأحداث المعبرة منه تأييداً في العديد من البلدان العربية وسوف نتناول هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الخامس في معالجتنا للنمط الحادي والعشرين.

ثانيا : المجموعة الثانية من الاشكاليات:
«خطايا الحوار التفاوضى» أو «خطاب الفاولات» :

- «مدخل عام لخطاب الفاولات»

لاشك أن اشكاليات لغة التخاطب المزمنة والتى يعانى منها العالم العربى فى عمليات التفاوض الاجتماعى والسياسى سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأى العام قد وصلت إلى حد لم تصل إليه من قبل بغزو العراق للكويت . وبطبيعة الحال ، فان هذه الاشكاليات الحوارية لم تكن وليدة حدث بعينة ولكنها نتيجة تراكمات اجتماعية وسياسية وتعليمية عميقة ترسخت فى انماط واستراتيجيات الحوار اليومى فى العالم العربى بنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة .

إن سوء الفهم والتفاهم المستمر وعدم الانسجام والتألف بين اعضاء الاسرة العربية باتساعها كان ومازال فى حالة تدهور بسبب عدم التعامل مع هذه الاشكاليات على نحو علمى ، إن العالم المتقدم يهتم بدراسة التفاعلات الحوارية فى سياقتها المختلفة من خلال نتائج دراسات علم اللغويات الاجتماعى والنفسى والسياسى . فما هو الحال بمعاهدنا وكلياتنا المتخصصة؟! .. الواقع يقول انه لايزال معظم خبراء علم اللغويات عندنا يتناولون فى برامج التدريس والابحاث النظرية النحوية اساسا لعالم اللغويات نوم تشومسكى والذى لا جدال حول مكانته العلمية الرفيعة ، فلقد احدثت نظرياته ثورة فى علم اللغويات وكان لها اثارها العميقة على بعض العلوم الاجتماعية الاخرى . ولكن اين الاهتمام بالنظريات الحديثة التى جعلت

تشومسكـى نفسه يتخلى – وبتـواضـع وموضـوعية العلماء – عـن الكثير مما ذهب إليه فى النظريات التى طرحها بذاته ؟! كذلك مازالت قضية اللغة واللهجات وظاهـرة الازدواجية بين الفصحى والعاميـة – والتى ظهرت معظـم الابحاث الـرئيسة الخاصـة بها فى الستينات والسبعينـات – والمعـروفة بظـاهرة الـ Diglossia (وهى ظاهرة فى العربية واليـونانية والالمانية والعبرية وإن اختلفت طبيعتها بين هذه اللغـات) تحتل موقع الصدارة فى اهتمامات العـديد من خبراء اللغويات عندنـا . أننى أرى أن الوقت قد حان لتنـاول قضية ، يجب وان يكون لها الاولويـة فى البحث والتـدريس واعنـى بذلـك ان نفتح «**ملف قضية لغة التخاطب**» واكرر هنـا الدعوة إلى أهميـة تدريـس مادة تسمى «بتقنيـات لغة التخاطب» ليس فقط فى الكليات المتخصصـة ولكن ايضا فى المدارس بمراحلها المختلفة (وهذا النداء موجه لكل القائمين على تحديث التعليم فى الوطن العربى) حتى يتسنى لنا معالجة اشكاليات الحوار المزمنة من الاساس وبطريقة علمية . فهذه الاشكاليات المزمنة والتى نحاول التعـرض إليها فى هذه الدراسة ، نجدها واضحة فى سياق التحدث بالفصحى وبالعامية وحتى فى سياق التحدث باللغة الأجنبية إذا ما استخدمت فى حوار ما .

ولتوضيح المقصود باشكاليات لغـة التخاطب بصفة عامة ، نتعرض فى هذا المدخل العام لبعـض الاسس المعيارية البسيطة والتى غـالبا ما تنتهك فى الحوار اليومى رغم بـداهتها وهذه الاسس مثل تلك الاسـس التى سماها احد علماء اللغويات باسمـه وهى ماتعرف باسم معايير أو مقـولات جرايس وهـى معايير الكمية والكيفية والاتساق والسلوك . وتتعلق هذه المعايير بالآتى :

(١) حجم المعلومات التـى يتطلبها الحوار ، فعلى المتحدث ان يشارك فى الحوار بالقـدر المطلوب طبقا لسيـاق الحدث ذاته وعليه أن يتجنـب الاسهاب وان يكون مركزا .

(٢) على المتحاور الا يفرض نفسـه أو يناقض مـا يقـوله أو مايتعهد بـه وعليه

ايضا تجنب الغموض والالتباس فى حواره .

(٣) على المتحاور أن يجعل مشاركته فى الحوار متسقة مع الواقع ومع عناصر الحجة التى قد يكون بصدد اقامتها .

إن مراعاة هذه المعايير وطريقة التعامل معها هى التى تشكل الاساس فيما يعرف باسلوب الحديث لمتحاور ما . كذلك يتعلق بامر هذه المعايير علاقات «القدرة» POWER فى الحوار والمقصود بهذه العلاقات هو ما يملكه المتحاورون من القدرة اثناء الحوار فهناك حوار الرئيس والمرؤوس والرجل والمرأة والطبيب والمريض والمذيع وضيفه والمتهم والقاضى إلى أخره وتختلف هذه العلاقات باختلاف سياق الحديث من رسمى إلى شبه رسمى إلى ودى أو شبه ودى وكذلك ترتبط هذه العلاقات ببنية النظام الاجتماعى والسياسى لثقافة ما.

*** «فاولات» كأس العالم واشكاليات الحوار اليومى على المستويين الاجتماعى والسياسى :**

إن احدى اشكاليات الحوار اليومى الرئيسية فى الوطن العربى هو عدم ادراك الكثيرين لما قد يحدث اثناء الحوار وعدم تحديد نوع الاشكالية بدقة وهنا نعود بالذاكرة إلى مشاهد "فاولات" كأس العالم التى كانت توضحها بجلاء تلك الكاميرات «العجيبة» التى زودت بها ارض الملاعب فى ايطاليا فى المسابقة الماضية فقد كانت توضح وبالتصوير البطىء مدى حجم الانتهاكات الكبيرة لقواعد اللعبة والتى كان يمارسها بعض اللاعبين سواء عن قصد أو غير قصد ، وكان من الصعب حتى على حكام المباريات ، فى كثير من الاحيان ، ان يدركوا كل وحجم هذه الانتهاكات والأن ، فإن نفس الامر ينطبق على عمليات الحوار اليومى ، فكثير من «الفاولات» الكلامية والمكتوبة لاترصدها أى كاميرات دقيقة ولايرصدها حتى المراقب العابر ، وتمر هذه "الفاولات" دون

حساب وكذلك دون ادراك حقيقى لما حدث من انتهاك لقواعد لعبه الحوار ، وبالتالى دون التعرف على اسباب حالات عدم انسجام المتحاورين أو وصولهم إلى حالة تصارعية حادة . فهناك حالات حوار تصارعية نتجت وتدهورت بسبب ان نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئا ما يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الاخر ، وهناك حالات أخرى ادت فيها تقلصات وجه المتحدث وحركة يديه إلى ترك انطباع لدى احد اطراف الحوار بان احد المتحاورين يرسل رسائل تتسم بالتهديد والتحدى والعداء أو الاستهتار بالأخر، وفى احيان اخرى كان ايقاع المتحدث سريعا وحماسيا فتصور الطرف الاخر ان المتحدث انفعالى ويريد أن يستئثر بالحوار ، هذا فى الوقت الذى ثبت فيه ، بالدراسة ، **أن هذه الحالات كانت لا إرادية ولم يقصد المتحاورون فيها أى عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث ولكنهم لايشعرون بوقع مايقومون به على الأخرين وحجم الانزعاج الذى يتسببون فيه** . كذلك فان هناك اشكاليات ذات طبيعة اكثر تعقيدا حين يتصارع المتحاورون لفرض «اجندة موضوعاتهم» على مساحة النقاش وما يصحب ذلك من استراتيجيات حوارية متعددة تتعلق باساليب بناء الحجة وتفنيدها واستخدام الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة فى الحوار كذلك ترجع نسبة كبيرة من اشكاليات الحوار إلى اختلاف فى فهم وتفسير النصوص السابقة والمتعلقة بحوار ما وهذه من اكبر اشكاليات الواقع الحوارى فى العالم العربى على وجه الخصوص .

إن تحليل الحوار (المكتوب والمسموع) وتحليله وتحديد موقع الخلل الذى ادى إلى حدوث عدم الفهم أو التفاهم لمن الامور التى تحتاج إلى دراسة وممارسة وتدرب فهذه الانشطة هى بمثابة «كاميرات ملاعب كاس العالم» التى اشرنا إليها سابقا وهى التى توضح إلى ابعد الحدود حجم انتهاكات «أو

فاولات» الحوار وتحدد اين وقـع الخطأ ولماذا ومن هنا يبدأ علاج ذلـك الواقع الحوارى الفوضوى الذى نعانى منه جميعا وإلى ابعد الحدود .

*** «القنبلة » وانهاء حوار !**

إن خطورة تـرك اشكاليـات الحوار دون التعرف على طبيعتهـا ومحاولة التعـامل الايجابـى معهـا قـد يؤدى إلى حـدوث مـزيـد من "الفـاولات" غير المقصـودة أو المقصودة ، والخطـورة الاكبر هـى حـدوث هذه «الفـاولات» فى الاوقات الحرجة لعلاقـة ما سواء كانت بين افراد أو دول فيكـون وقعها كوقع قنبلة الدمار الشامل التى تنهى الحوار والعلاقة برمتها .

إن استخـدام تعبير «القنبلة» ليـس استخدامـا مجازيا ، فمـن الدراسـات الطريفة التـى وردت فى دراسة لعالم اللغويـات الايطالى امبرتو ايكو . انـه عند تحليل الـوثائق الخاصـة بالقاء القنبلـة الذريـة على اليابان ، قـامت الـولايات المتحدة، وقبل اتخاذ اخـر الخطوات لتنفيذ عملية ضرب اليابان ذريـا بمحاولة للتأكـد من امكانيـة استسلام اليابان دون استخـدام القنبلة ، وهنا استعـانت الولايـات المتحدة بالاتحاد السـوفيتى ليقوم بجـس نبض اليابـان بخصوص الاستسلام الكامـل والنهائى ، الا أن رسـالة اليـابانيين والتى نقلها السـوفيت اتسمت بظاهرة حوارية يابانية حيث تضمنت استخداما متعددا لادوات النفى مـع افعال التـوقـع والاستنكار والاستثنـاء والتـى فهـم منها طـرف الحوار الامريكى رفض اليـابان للاستسلام بينما قصد الطرف اليابانـى من توظيف هذه الظاهرة الحوارية القبول بالاستسلام مع التفاوض وليس الرفض .

إن هناك امثلة اخـرى عديدة لتوضيـح الآثار المدمرة على علاقـة ما نتيجة لسوء الفهم أو التفـاهم بين المتحاورين مـن ثقافات مختلفة وقـد يحدث نفس حجم سوء الفهم أو التفاهم بين افراد الثقافة الواحدة ويكون فى هذا مأساة اكبر واسف اشد وما اكثر الأمثلة المؤلمة فى واقعنا العربى **وما اكثر الامثلة الحديثة**

جدا والتى ولدتها ازمة الخليج .

من منطلق هذا التقديم لطبيعة الاشكاليات الحوارية استعرض فى هذا الجزء من الدراسة اشكاليات الحوار التى تمثلت فى كم من الانماط الحوارية السلبية والتى تتداخل وبعضها البعض . ولكن على سبيل توضيحها لتعميق الاحساس بها سأسردها بصورة جزئية من خلال الانماط التالية :

**** النمط الأول : "حوارات المباراة الصفرية" :**

المقصود بهذا النمط الحوارى هو وصف تلك الحالات الصراعية غير المتعاونة فى الحوار والتى تصل درجة حدتها إلى منطق تعامل مفاده «لابد ان اجعل الطرف الاخر يخسر كل شىء وان اكسب انا كل شىء ، وهذا مايطلق عليه اصحاب نظريات مباريات التفاوض Game theorists فى علم العلاقات الدولية «مباراة محصلتها صفر»"Zero-Sum Game" وطبقا لقواعد هذه المباراة فان المتحاورين يؤمنون بان ادارة الصراع الاجتماعى والسياسى لاتحتمل حلولا وسطا – أى أن الامر ينبغى وان يكون اما رفضا مطلقا أو قبولا مطلقا «اما قاتلا أو مقتولا» وممارسة هذه النوعية من المباريات تعتبر من اسوا انماط ادارة الحوار التفاوضى اجتماعيا وسياسيا ، فمفهوم المنافسة والمسابقة طبقا لهذه النوعية من المباريات لايكون عادة من خلال الاستعداد واللياقة والسعى للفوز بطريقة شرعية ، بل ان الفوز يتحقق اساسا من خلال تدمير وتشويه الاخر . والمؤسف حقا انه فى الوقت الذى لم يعد العالم فيه متقبلا لمباراة «المحصلة صفر» وبعد أن أصبح يسود معظم قطاعات هذا العالم المتقدم قواعد مباراة اخرى تسمى بـ «اكسب واكسب» أو مايسمى «بعكس» (اسم المباراة الأولى) – «المحصلة ليست صفرا» (Non-Zero-Sum Game) ، نجد ان المباراة الاولى أى «المحصلة صفر» هى التى لاتزال شائعة للغاية بين اعضاء النخبة والعامة فى العالم العربى .

ولقد تجسد هــذا النمط من خلال كتــابات ومواقف كثيرة لاعضــاء النخبة العربية اثناء المراحل المختلفة من الازمة إى ان " الخطاب النخبوى" من ناحية قد جسد هــذا النمط وكان من الــواضح أن "خطاب السلطة" ايضــاً قد جسده فعلى سبيل المثــال أصر العراق على أن يعلب هذه المبــاراة الصفرية من نــاحيته وان يصر عليها فى كافــة مراحل الازمة إلى أن خسر فى ادارتها .فلــو ادار الازمة بسلوك غير سلوك "المباراة الصفرية" واستجاب لنداء العقلانية وانسحب من الكويــت بعد هذا الكــم الهائل من المبــادرات التى قام بها عــدد كبير من زعماء العالم وهيئاته لكان ناتج الامــر مختلفاً ولفضح على الأقل مواقف المتربصين ، اذا كان السياق تحكمه نظرية المتربصين والمتآمرين !!! .

**** النمط الثاني : حوارات "التأطير" Framing**

والمقصــود "بنمط التــأطير" هــو عملية تصنيــف المتحــاورين لبعضهــم البعض أثناء التفاعل الحوارى .

ولقد وجد كاتــب هذه السطور – من خلال تحليل كــم كبير من التفاعلات الحوارية المنطوقة والمكتوبة . أن هــذا النمط يمثل واحدا من أكثر أنماط الحوار شيوعاً وسلبية ويوظفه المتحاورون من كافة التوجهات التى تمثل «الخطابات» (المطــارحات) المتعــددة والمتصــارعــة فى العالم العــربــى، ســواء كانــت هــذه «الخطابات» «يمنيــة» «يســارية» ، «اسلامية» ، «علمانية» «مستقلــة» أو فاشية (على حد وصف د . سعــد الدين ابراهيــم لبعضــها) ونجد أن أكثر الأمثلــة التى تعكس الطبيعة التناحــرية بين هذه الخطابات هو ذلك القــول المتبادل بأن «هذا عميل» ، و هــذا «عنصر مندس» وذلــك «متطرف» وهــذا «رجل قــوال أو هؤلاء قوالون» .. الخ ....

والملاحظ أن الاشكالية فى هذه التصنيفات – رغم أنها قد تكون صحيحة فى سياق مــا فى بعض الاحيان – إذا وجد الــدليل الواضــح عليها – الا ان التفسير

الذى استطيع تقديمه بخصوص ما يتعلق بـ توظيف «التأطير» فى الحوار وبعد تحليل العديد من المواقف التفاوضية على المستويين الاجتماعى والسياسى يرجع الى الآتى :-

١ - أن يكون المتحاور قد عزم النية على تشويه الأخر من خلال وضعه فى قالب ما لايكون موضوع استحسان من الأغلبية رغم أدراك ذلك المتحاور لما يفعله .

٢ - أن يكون المتحاور حسن النية ولكنه يستخدم أسلوب التأطير من منطلق فهمه وأدراكه الطبيعى للأمور ، ولقد أثبت التحليل ، أنه فى أغلب الأحيان يكون المتحاور تحت تأثير «نظرية المؤامرة» التى تكون قد ولدت لديه قنوات وأوعية ذهنية مفادها أن هناك دائما «مؤامرة» وهناك دائما «متأمرون» على مستوى التفاعل الاجتماعى والسياسى وبالتالى فإن كل شىء «مرسوم» و «متوضب» وليس هناك هامش للحركة بصيغة فاعلة . وهذه النوعية التى تمكنت منها «النظرة التأمرية» للواقع الاجتماعى والسياسى قد فقدت القدرة على التعامل الايجابى مع الواقع وتكون مساحة الادراك لديها لامكانية وجود «ميكانيزمات» معقدة لاشأن ولا علاقة لها بمفهوم «الأمور المرسومة» غير وارد ولو حتى بنسبة ضئيلة . كذلك أوضح تحليل البيانات موضع الدراسة افتقاد هذه النوعية للقدرة على أقامة الدليل الواضح والصحيح لما تذهب اليه من تفسيرات وكذلك وجود خلط كبير لديها فى تفسير الشواهد والنصوص . كذلك فإن لغة هذه النوعية من المتحاورين تتسم باستخدام مكثف للمبنى للمجهول " دُبر " "رُسم " " خُطط " الخ والأفعال التى لايتحدد معها الفعل(Process verbs) ، مثل " سيحدث " " سيتم " .

٣ - أن يكون سبب إستخدام أساليب «التاطير» هو خليط من ١ ، ٢ .

وللتأطير أساليب متعددة وأكثرها شيوعاً هو أخراج الكلمات والعبارات بل والنصوص برمتها عن سياقاتها الاصلية عمداً أو سهواً ، وهذا مايسميه خبراء علم اللغويات الاجتماعى بالDecontextualization. وهناك أسلوب أخر يتم من خلاله استخدام الألفاظ والعبارات التى تترك أطيب الأثر لدى المتلقى لها لتحقيق أهداف غير أخلاقية تتعارض ودلالة المفاهيم المستخدمة فى حقيقتها ، وطبقاً لذلك فقد تكون «حرب التحرير» حرب غزو دنيئة فى واقعها والاجراءات الديمقراطية قد تكون إجراءات قمعية و«كشوف البركة» قد تكون فى واقعها «كشوف رشوة» وهذا مايطلق عليه خبراء علم اللغويات الاجتماعى Sociolinguists بما يسمى بـLinguistic Manipulation وإذا كان نمط «التأطير» من أكثر الأنماط الحوارية سلبية وشيوعاً فى المجتمع العربى ، فهذا لاينفى عالميته واستخدام أفراد وجماعات الثقافات الأخرى له خاصة فى الصراعات السياسية ولهذا الأمر سياق تفصيلى يندرج تحت ما اسماه خبراء علم اللغويات الاجتماعى «بلغويات أورويل» Orwellian Linguistics وهذا التعبير مستوحى من أشهر رويات الكاتب البريطانى المعروف جورج أورويل بعنوان ١٩٨٤ وفى هذه الرواية يتصور أورويل وجود مدينة غير فاضلة "Negative Utopia" تمارس فيها أشكال التاطير المختلفة .

لقد تبنت أجهزة الأعلام العراقية منهج " لغويات أرويل " الى أبعد الحدود عند إدارتها للازمة فلقد قامت بتغليف الممارسات العراقية البغضية بمسميات رأت القيادة العراقية أنها ذات وقع إيجابى على الجماهير العربية مثل : إن الغزو قد جاء لمساندة حكومة الثورة فى الكويت.

ثم الانتقال الى القول بأن هذا الأمر جاء أيضاً لتوزيع الثروة واقامة العدل الأجتماعى بين الدول الغنية والدول الفقيرة وأن ما قام به العراق هو نوع من مقاومة مافرضه ذلك المقص الاستعمارى الذى ساهم فى قطع الكويت عن العراق « وحجة الحق التاريخى » أنظر الى نص خطاب الرئيس العراقى المرسل

إلى الرئيس مبارك بملحق الدراسة ولقد أكدت أجهزة الدعاية العراقية على محاولة تثبيت أفعال القول "التأطيرية" هذه من خلال تحركات حوارية تمثلت فى إرسال تهنئته لإلمانيا بمناسبة الوحدة (أثناء الفترة الأولى من الأزمة) سعياً فى تأكيد تشبيه العراق بضم الكويت بالوحدة الإلمانية . كذلك نجد هذا الاسلوب التأطيرى يتجسد فى تعبير «ضيوف العراق » على الرهائن إلى أخره . أما على صعيد تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة التى تذخر بعشرات الأمثلة يتجسد من خلالها أساليب التأطير فى الحوار ، نستشهد بمقال للكاتب الكبير ثروت أباظة بعنوان:

أقتل وبهتان؟!

سأل شاب من شهود ندوات المعرض واحدا ممن كانوا ينتسبون إلى الأخوان المسلمين ثم أصبح ينتسب إلى المتطرفين « لماذا قتلتم النقراشى ؟ » فإذا المتطرف يجيب فى ثقة أن النقراشى كان عميلا للانجليز كبرت كلمة تخرج من أفواههم أبهذا يأمر الإسلام ؟ .. أيأمر الإسلام بشاهدة الزور ورمى الناس بالباطل والاعتداء على تاريخ الكرام بهذه السهولة وهذا اليسر .. النقراشى الذى وضع رأسه على يده هو وزميله أحمد ماهر واتهما بتهم خطيرة من أنهما كانا يقتلان الانجليز وقدما إلى القضاء وكادا يفقدان حياتهما .هذا النقراشى كان عميلا للانجليز ؟

النقراشى الذى وقف فى هيئة الأمم المتحدة يصيح بالانجليز فى مواجهتهم أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة فتدوى صرخته فى العالم اجمع فهى صرخة لم يسمعها المحتلون طوال حياتهم ولم يقله قائل لهم قبل النقراشى . النقراشى كان عميلا للانجليز . فماذا جمع من هذه العمالة وكان ما كان فى جيبه حين قتلتموه ثلاثة جنيهات والله وحده يعلم كيف كان يعيش كموظف ليس له من دخل إلا مرتبه . النقراشى كان عميلا ؟ !

أيها القاتل السفاك المزور لقد حدثت فى مصر فى عام ٥٢ ثورة وقد حاولت بقضها وقضيضها أن تعصف برجال الحكم الذى كان قبلهم وتكونت المحاكم فى شتى أوقات وشتى اسماء منها محكمة الثورة ومنها محكمة الغدر وغيرهما وغيرهما ما استطاع الببغاوات من الضباط الذين وضعتهم الثورة على كراسى القضاء المقدس أن ينالوا من الشرف الوطنى لواحد ممن حاكموهم وكم اساءوا إلى رجالات مصر وكم تهجموا عليهم الباطل . ولكن الثورة وممثليها وقواتها وقضاتها الذين لم يكونوا قضاة لم يستطعوا أن يمسوا وطنية شخصية واحدة من الشخصيات التى حاكوا حولهم ما حاكوا واختلفوا عليهم ما اختلفوا لم تستطع الثورة بكل جبروتها الذى نعرفه ان تدعى ان بين رجال مصر عميلا واحدًا .وبين رجال مصر لم يسمع عن سياسى أنه كان على صلة مريبة بالانجليز إلا امين عثمان وأنا لا أعرف الرجل ولكن أعرف من يعرفنوه ويقولون عنه أنه كان مصريا صميما ولكنه كان يرى أنه مع المحتل الذى يملك ما يملك من قوة عسكرية وجنود وحشود لا سبيل إلا تحسين العلاقات حتى تنال منه حقوقك ولو بالتدريج ما دمت لا تستطيع أن تنالها بالقوة فى حرب ولا تستطيع أن تنالها جميعا فى دفعة واحدة .

وهذا رأى يقبل النقاش . وإذا نظرنا إلى تاريخنا مع الأنجليز نجد أننا نلنا حقنا كاملا على مراحل بدأت بتصريح ٢٨ فبراير الذى تمكن منه ثروت باشا رحمه الله ثم مشينا مع المحتلين الهوينى حتى تم الجلاء . ومع ذلك فقد عادوا فى عام ١٩٥٦ إلى حرب يريدون بها أن يستردوا ما تركوه .

فرأى أمين عثمان ليس مرفوضا جملة وتفصيلا وانما كان رأيا جديرا بالمناقشة . وعلى كل حال فأمين عثمان قتل . ولم يشهد الثورة .

ومصر ترفع رأسها فى فخر وعزة إلى السماء أن ليس بين رجالها خائن واحد لها ففيم إذن عدوانك هذا الآثم على النقراشى بعد أن قتلتموه أما يكفيكم

قتله وتـريدون أيضـا أن تعتدوا على سمعتـه وكرامته . كبرت كلمـة تخرج من أفواهكم أهذا هـو الإسلام . هل قرأتم القرأن أم على قلـوب اقفالها .. هل قرأت قولـه تعالى : «فاجتنبـوا الرجس من الأوثـان واجتنبوا قول الـزور » الآية ٣٠ سورة الحج ، أو لم تقرأ قـوله سبحانه « والذين لا يشهـدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ».

الآية ٧٢ سورة الفرقان

ولا والله ما كان النقراشى عميلا بل كنتم أنتم قوما بورا ظالمين ومازلتم.

وأن كان هـذا رأيكم فى النقـراشى فقتلتمـوه فما وضعكم للقنـابل فى دور السينما ودور القضاء لتقتل قـوما ربما كانوا فى انصـاركم . تلك القنابـل التى كانت تنفجر فتصيب من تصيب لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين عجوز وطفل ولا فرق بين من يؤيدكم وبين من يعارضكم .

أن كان هذا رأيكم فى النقراشى فما قتلكم الخازندار القاضى الذى حكم على واحد منكم حكما لم ترضوا عنه ؟

لماذا أعدت إلى الحياة ما ينبغـى أن يظل بعيدا عن الذاكرة ومـا سيظل سبة سوداء فى تاريخكـم الغاشم الظلوم فى تـاريخ الإنسانية جمعـاء . إنما هو عدم التوفيـق .. أوقعكم فيـه الله لأنكم لستـم من أهـل الله .. فلو كنتـم من أهلـه ما استحللتـم دم البشر ولا كرامـات الناس .. والله سبحـانه هـو المولى وهو نعـم الوكيل ..

بقلم ثروت أباظة

الأهرام ٢٧ / ١ / ١٩٩٢

**** النمط الثالث : حوارات " تضخم الاحساس بالذات " .**

والمقصود بهذا النمـط أن يقوم المتحاور بتـوظيف أسـاليب المبالغـة التى تعكس درجـات متعددة مـن الانفعالات غير الموضـوعية التـى يسيطر عليهـا

أحســـاس بتضخم الـذات والأستخفـاف الفعلى بالأخـر والانعـزال عن رؤيـة الحقيقة المجردة . ويرجع شيوع استخدام هـذا النمط الى عدة عوامل إجتماعية وسياسية وتعليمية ومنها على وجه الخصوص هذه العوامل التى شهدتها فترة تعبئة الـوطن العـربى فى حقبـة الستينات بطمـوحات كبيرة لم يتـم تدريجهـا ومواكبـاتها بالأنجاز ... فـالاحساس بقدرتنـا وحضارتنا وقيمنـا وقيمتنا فى العالم أمر مهم ، ولاشـك أن له أهمية خاصة فى شحذ الهمم وهنـا اتذكر أننا فى اثناء فترة ابتعاثنا بالخارج ، وكمجموعة من الدارسين المصريين (فى الغربة) كنا نختلس بعـض الدقـائق سويـا عند قرب اوقـات امتحانـات درجة الـدكتوراه لنستمع إلى أغنية «عيـون مصر» لانها كانت ولاتزال تمثل احدى هـذه الاغانى الوطنيـة التى تشحـذ النفس بكـل الهمة والعـزم فى مواجهـة صعاب الامـور ومكانتها واختلافهـا كمجرد أغنية انها ترتبط فى اذهننا بنمـط مفتقد للغاية فى الوطن العربـى وهو اننا حين كنا نستمع إلى كلماتها الهادئة والقويـة للغاية فى نفس الـوقت كانـت مصر ، جيشا وشعبا ومـؤسسات تترجم كلماتها القـوية والمعبرة عـن أرادة مصر وشموخهـا الى واقع فعلى بعبـور قواتنـا الباسلـة الى الضفـة الشرقية للقنـاة وتطهيرهـا لارض مصر الغاليـة مـن دنـس المعتديـن واستعادة الكرامة لمصر وللعرب . إذا فإن الاحســاس بالذات فى سياق الانجاز الحقيقى لمن الأمور الطبيعية لدى البشر عموماً الا أن تضخـم الاحساس بالذات ، خاصة إذا ما صاحبه الفشل فى تحقيق إنجاز فعلى ليمثل ابشع الصور سلبية فى مجتمعنا العـربى . لقـد فقدت المعانـى دلالتها على الصعيـد العربـى بسبب توظيـف هذا النمـط فى الكثير من تفاعـلاتنا ، ومن الأمثلـة التى استـوقفنى فى الفترة الماضية هى تشبيـه أحد معلقينا الرياضيين لتعادل الفـريق المصرى مع بعض الفرق العالمية فى مسابقة كأس العالم الماضية بإيطاليا، بأنه انتصار ولم يتوان هذا المعلق عـن الاسراع بسؤال لكابتن الفريق القـومى قائلاً « لمن تهدى هذا الفوز ؟ !! » وإذا كان هناك الكثير من الأمثلة على صعيد التفاعلات الحوارية

الاجتماعية ، فـإن جذور هذا النمـط قد تجسدت بصـورة صارخة للغـاية فى تفاعلات ازمة الخليج السياسية - فـالعراق رغم أنه وصل الى أن يكون أحدى القوى العربية الرئيسية والتى فقدناها بسبب رعونة اداء النظام العراقى وعدم جديتـه إلا أنه كـان يصور للجماهير العربيـة « بإنـه قادر على انـزال الهزيمة المؤكدة بالقوات المتحالفة كلها » - وبـالحرب لأكثر من ألف عام وأن صدام هو السبب فى إستقالة مارجريت تاتشر وشيفرنادزة وإلى ذلك من المقولات ..الأمر الذى كـان يرثى له مـن يعرف حقائق الاوضاع . لقـد كان لعمق تأصـل نمط تضخم الاحساس بـالذات العربية فى العقـود السابقة وخاصـة فى فترة ماقبل حرب ١٩٦٧ أن نـجحت القيادة العراقية فى استغلال هيمنة هذا النمط وما اثبت ذلك انها استطـاعت ان تستقطـب لمقولتهـا اعداداً كبيرةً مـن الشارع العـربى خاصـة اثناء فترة الأزمة .. ولعـل من الأمثلة الشيقـة فى هذا الصدد هـو مثال "**كويتنام**".. فلقد ظهر جنرال أمريكى سابق على شاشات التلفزيون الامريكى يتحـدث عن مخاطـر الحرب فى الخليـج ويعيد الى الأذهـان ذكـرى إليمة لـدى الامريكيين وهى ذكر فيتنام واستخدم تعبير « كويتنام» على سبيل التحذير ان الموقف فى الخليج قد يكـون بمثابة فيتنام اخرى وهنا إلتقطـت وسائل الاعلام العراقيـة التعبير ورددته وردده صـدام حسين إلى الدرجـة التى صـدق معها صدام بان هذا الامر قد يحدث وأن الوجود العراقى فى الكويت لابد وأن يستمر وليكن اسم الصمـود والتصدى إذاً هو "**كويتنام**" وأن فيتنام اخـرى تنتظر أمريكا فى الخليـج وكان بداية الفعـل نحو تحويل الخليج إلى فيتنـام هو الاسم فقط !! أى كويتنام . **وبهذا تجاهل صدام العراق القيام بالحسابات الدقيقة والاعتبارات الجادة لكل تعقيدات الموقف مأخوذًا أساسًا بموسيقى اللفظ الضخم مرة أخرى** . ليضيـف إلى أمثلة الاحسـاس بتضخم الـذات الكثيرة فى واقعنا العربى اسوأ وابشع الامثلة .

النمط الرابع :حوارات « رد الفعل المتأخر »" Delayed Reaction" :

يرتبط هذا النمط الحوارى بنمط أخر يمثلـه تناقض القول والفعل والقول والقول والأمر ليس أخـلاقيا فقط ولكنه يرجع الى فقـدان القدرة على استيعاب الموقف ووضوح الرؤية والتدرب على سرعة تكوين الرأى الصائب والثابت عند التفاعل أثناء الوقت الفعلى لحدث ما"Real Time Interaction" فكثيرا ما يخالف المتحاورون فى العالم العربى ما قد أتفقوا عليه فى جلسة ما بخصوص موضوع ما بسبب أجراء الحسابات « البطيئـة » أو " البليدة " بعد الجلسة وعدم القدرة على الرؤية الصائبـة والمتسقة فى وقت الحدث . وهؤلاء يعانون مـن ظاهرة رد الفعل المتأخر Delayed Reaction وهـذا ماجسـده أداء بعض أعضـاء الأسرة العربيـة فى تفاعـلات الازمة وأوضح مثـال على ذلك هـو ادانة البعـض للغزو العراقى فى قمة القاهرة فى ٨ أغسطس (١٩٩٠) ثـم مفاجآتهم للجميع بتكوين رأى أخـر بعد الـرأى الأول له معطيـات أخرى تتنـاقض مـع محاضر المؤتمر والموقف الذى سجلوه أثناء تفاعلات محاضر المؤتمر . وإذا ما استرجع كل منا شريط احداث التفاعلات اليومية التي مر بها لوجد حتما العديد من الأمثلة التى تجسد نمط «رد الفعل المتأخر» فى الحوار التفاوضى وهذا النمط السلبى مازال يتسبب فى إحداث اعاقة رئيسية لابسط صور الوصول الى حد أدنى من الاتفاق المبدئى ذى الطابع الاستمرارى والذى لانجده بالطبع مفتقدا فى تفاعلات العالم المتقدم.

ولعل أحداث مؤتمر السلام الأخيرة بمدريد وما تلاها من خطوات قد القت بالضوء على هـذا النمط والذى تجسد فيما قـالته حين قال احد أعضـاء الوفود العربية اننـا نفعل الان ماكان يطلبه السـادات منا ولكن بعد اكثر مـن عقد من الزمان. لقـد امتلئت الصحف العربية بعنـاوين من المقالات العديـدة التى تلقى بالضـوء على نمط " رد الفعـل المتأخر" دون الاشـارة المباشرة إلى هـذا النمط

بعينه بـل من خلال الاشارة إلى تبعـات تأصله فى التفـاعلات العربية وهـذا ما ينعكس جليـاً فى عناوين مقـالات كثيرة مثل «قبـل ضياع الفرصـة » إنظر على سبيـل المثال لا الحصر أحمد نـافـع الأهـرام ٢٦/٨/١٩٩٠ « قبل أن تضيـع الفرصة الأخيرة» احسـان بكر الأهرام ١٤/٨/١٩٩٠ ... وكأن هـذه النوعية من المقالات تمثل ارسال نداءات للاطراف العـربية بالتخلى عن القيام برد فعل بعد فوات اوانه .

«النمط الخامس» :حوارات "المؤامرة الكبرى"

«الاصابع الخفيـة» ، «والايدى الخفية» هذه بعض مـن تلك التعبيرات التى كثيراً ما نسمعها في تعـاملاتنا الاجتماعيه والسيـاسية وكذلك تلـك المنطوقات التى تبدأ «بهناك ...» «هناك من يهمه ...الخ» " وهناك من يتأمر" ... أو بأفعال المبنى للمجهول المختلفة ولاتعرف من المتحـدث ومن هم "هؤلاء" في كثير من الاحيان .. وفي أحدى الندوات وكانت عن طـه حسين ومستقبل الثقافة العربية في كلية الأداب بجامعة القـاهرة ووقع في يدى بحث عن الثقافة العـربية لباحث أردنى من جـامعة اليرموك كان ضيـف على جامعه القاهـرة ولعلى أبدأ تحليل نمط المؤامرة بـالاستشهاد بتعبيرات وقعت عينى عليهـا في الصفحة الأولى من بحثة الذى القاه عام ١٩٨٩ وهى :—

> «إن أخطر ما في الأمـر ان الوطن العربـى قد **أقحم إقحامـاً وزج به زجاً بلا شفقـة عليه أو** رحمة به ، وبلا متسع لديه من الوقت كى يلتقط انفاسه، **وقد أدخل** في دنيا جـديدة لايعـرف لها أول من أخـر ... ما الـذى **يُراد به ؟ وما الذى اصابه** أو **حدث له** في هذا المضطـرب الجديد ... هـل هـذا الهامش الضيـق الـذى **مُنح للوطن**

العربى يتسع لكى يتحرك فيه بإرادة وحرية...

أبوالعدو س ١٩٨٩ : ١ »

إن هذه المقولة اعلاه تتسم بكثافة الادوات اللغوية التي تعكس أدوات نمط المؤامرة بجلاء شـديد وتعكس تصورًا اسـاسيًا يتكرر سماعه مـن اغلبية من ممثلى النخبة العـربية الذيـن تسيطر على مقولاتهم ملامـح نظرية وسيـناريو المؤامرة ... بصـورة شعورية أو لا شعـورية .لقد تـأصل هذا النمـط في الفكر العربى على مدى سنوات التدهور والتخلـف وإذا كان العديد من أعضاء النخبة قد تشبعوا بهذا السيناريـو التآمرى الذى تسلط على تفكيرهم فما بـالنا بحجم الاشكالية على مستوى العامـة؟ .. لقد كانت ساحة العقل العربـى مهيئة للغاية لتفسير ماحدث في أزمة الخليج على أنه في المقام الأول مؤامرة جبارة قد رُسمت كل تفاصيلها بعناية بالغة من قبل الاعداء. وبأنها مؤامرة صليبية أو صهيونية أو الاثنين معاً... وإنها استمرار أكيد لسيناريو التآمر على العرب والمسلمين منذ قرون طويلة . أن الكارثة تكمن في هـذا التبسيط الشديد للامور والذى أدى إلى فقدان كل عـوامل الصيغة الفاعلة التـى تتعامل مع تعقيدات الأمـور بنوع من الاقتدار بدلاً من هـذا السقوط في براثن فكرة التآمر السلبيـة. وهذا لايعنى أنه ليس هناك مؤامرة ولكن هناك دائماً «أجندات» مختلفة بكل تأكيد للمتصارعين والمتنافسـين معنا وهـم بطبيعة الحال يريدون فـرض «أجنداتهم» كلما سنحت لهم الظروف بـذلك ... ولكن الايمان بأن ذلـك "الأخر" المتآمر علينـا على هذا القدر من الجبروت الذى يخلق كل الظروف السـانحة لتحقيق أهدافه فهذا أمر مُبالغ فيه وينقصه الفهم الحقيقى للأمـور والطبيعة العلمية للتفاعلات الدولية من ناحية وكذلك ينقصه القراءة المتأنية لتاريخ العرب والمسلمين الأوائل الذين واجهوا «أجندات الاخـرين» بصيغة فاعلـه كانت تقطع الطـريق دائماً على ذلك التـآمر بـدلاً مـن الشكوى الاستسـلامية بشأنـه، كـذلك أن المتصـارعين أو المتنافسـين معنـا هم بـالدرجـة الأولى سياسيـون والسياسـة هى فـن الممكن

واستغلال انماط تفـاعل الآخـر وليست عملية «خلـق من جديـد» لظروف أو لديناميكيات معينـة ولكنها دائماً وابـداً استغلال لما هـو مسموح بـه وقابـل للتحقيق . ولقد كانـت طبيعة مكونات منطقة الشرق الأوسط تسمـح بقدر من الاختراق الخارجي ولقد كان هذا الاختراق أو حجمه وتحجيمة أو تعميقه دائماً مرتبطا بما تصنعه مكونات هذا النظام في الشرق الأوسط وكذلك بالقائمين على إدارة الصراع وقدراتهم المتبـاينة وتـوجهاتهم . ولمزيد مـن التفاصيـل في هذا الصـدد أرجـع إلى كتاب كـارل بـراون بعنـوان **السياسة الـدولية والشرق الأوسط** (١٩٨٤) . وإذا عدنـا بعد هذا السرد النظـرى لتفاعلات أزمـة الخليج لوجدنا أن نمـط المؤامرة يحدث عادة مع مجموعة أخـرى من الأنماط وأكثرها هو نمط التأطير من أجل التشوية . والمراقـب للاحداث يجد كم كبير للغاية من اطراف الخطابات المتصارعة في العالم العربى – سواء كانت سلطوية أى معبرة عن الأنظمة أو كانـت معارضة داخلية تتهم بعضها البعض بـالعمالة أساساً . وقد يكون الأمر ليس من قبل تشوية الآخر العربى أو الأسـلامي ولكن تكون المباراة الصفرية فى العديد من الحالات هى المحركة لمنهج التفاعل. وكذلك يلعب حدود الادراك لبعض الاطراف الدور الرئيسـي في الترجمة التآمرية للاحداث . ولقد تنوعت أطروحات التآمـر في تفاعلات أزمة الخليج فلقد رأى الكثيرون ان الأمر كله مجرد فخ أمريكي قد نُصب لكـل من العراق والكويت وإن أمريكا قد حرضت كل أطراف النزاع الرئيسية ؛ أولاً على الغزو ثم على رد الفعل تجاه هذا الغزو بحيـث لايوجد أى مسـاحة لدى أصحاب العقليـة التآمريـة ليتصـوروا حدوث الامـر بطريقـة أخرى أو لاسبـاب رئيسية اخـرى مثل جهـل وحماقة وإستبداد بعض الاطراف ..في المقام الأول !!.

**** النمط السادس : حوارات "المواربة" أو اللا مباشرة Indirectness**

ونمط المواربة أو اللامباشرة من الانماط التى تستخدم من قبل المتحاورين لطرح موضوع ما بصورة غير مباشرة بحيث يقع دائماً على المتلقى للكلام عبء

فهم ما المقصود به . فعلى سبيل المثال حين يقـول متحدث ما لصديقه في حوار «الساعة الثانية عشر الان!» ويتصور المتحدث أن على المتلقى أن يفهم أن المعنى هو «ليس أشارة لمجـرد تأخر الوقت وإنما المقولة تعنى شيئـا مثل «دعنا نعود إلى منازلنـا» أو «ليس من المنـاسب الذهاب لصـديق ثالـث الان» (أو حان الان موعد الدواء !) أو كثير من المعانى الاخـرى التى تحددها خلفية سياق الحديث وطبيعة عـلاقة المتحاورين ... ويـلاحظ المراقب أن إستخدام هـذا النمط يتردد كثيراً في لحظات التفاعلات الحوارية التى قد تتطلبها بعض المواقف في السياقين الاجتماعى والسيـاسى، إلا ان سوء توظيـف هذا الأسلوب وكثرة إستخـدامه حين لايكون مناسباً يعد من أكثر سلبيات تفاعلاتنا الحوارية في الوطن العربى ففى الوقـت الذى ينبغى فيه المصـارحة والوضوح وينبغـى أن يكون مايقترح واضحاً دون مواربة نجد أن الكثيرين يوظفون نمط "اللامباشرة" هذا بطريقة تسىء الى صحـة العلاقة بين المتحاوريـن وعلى حساب تحديد الامور ممـا قد ينتج عن ذلـك مشكلات في عملية التواصـل الحوارية قد تؤدى إلى سـوء فهم. وهناك العـديد من الدراسـات في مجال اللغويات الاجتماعيه وعمليـة الاتصال عبر الثقافات قد تعرضت لهذا النمط ولمزيد من التفصيل «راجع Tannen ١٩٨٦ وحسن وجيه ١٩٨٩.

حوار جلاسبى الشهير ؟!

في سياق الازمـة بالخليـج نورد في هـذا الجزء من الـدراسة ذلـك الحوار الشهير بين الرئيس العراقى والسفيرة الأمريكية ابـريل جلاسبى . وأهمية هذا الحوار هو أنه قد تمت ترجمته وتفسيره من قبـل العراق على انه بمثابة الضوء الاخضر من الـولايات المتحـدة للعراق لغـزو الكويـت، وإذا كنا نـريد تسليـط الضوء على ميكانـزم «المواربة» كما يتضح من حـوار جلاسبى وصدام فـإننا سوف نقـدم تحليلا موجـزاً لهذا الحوار بناءً على النـص الذى تداولتـه اجهزة الاعلام الدولية من خلال ثلاثة ميكانزمات وهى :

(١) اللامباشرة (٢) المؤامرة (٣) طبيعة التفاوض والتساوم .

لقد كان الجزء الهام من حوارجلاسبى وصدام الذى حدث يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٠ والذى اعتبر على انه بمثابة اعطاء الضوء الاخضر لغزو الكويت كمايلى :

> جلاسبى لصدام : «الرئيس جورج بوش، شخصياً، يريد أن يطور ويعمق العلاقات مع العراق ..... واننا لسنا لدينا ما نقوله بخصوص الاختلافات العربية العريقة مثل موضوع حدودك مع الكويت . وكل ما نأمل فية أن تحل هذه الامور سريعاً » .
>
> [التايم ١ / ١٠ / ١٩٩٠]

ان هذا الجزء من الحوار يقد يفيد أن ابريل جلاسبى قد تيقنت من ان نمط اللامباشرة "أو المواربة " هو نمط المقترحات المفضل فى كثير من التفاعلات الاجتماعية العربية وبالتالى اذا كان فى نيتها الايحاء بإعطا الضوء الاخضر لصدام فانها قد تمكنت من توظيف نمط المواربه واللامباشرة السائد فى التفاعلات العربية بجدارة ويكون استخدامها لاداة اللامباشرة الحوارية بمثابة الطعم الذى ابتلعة صدام دون احترازمن جانبه ويكون بذلك قد صدق أن امريكا ليس لها راى ، فيما يتعلق بالاختلافات العربية العربية مثل موضوع الحدودبين العراق والكويت ....كذلك يكون صدام قد افتقد الفهم الصحيح والادراك لطبيعة الفرق بين " التفاوض والتساوم " (Negotiation & Bargaining) فعادة ما يتسم التفاوض بالطرح المباشر والواضح بهدف الوصول الى اتفاق ما من خلال تبادل المصالح المشتركة والاعتراف بهذه المصالح. كذلك فإن التفاوض يتعرض لكل تفاصيل الامورالتى يجب وأن

تنتهــج مــن قبــل طــرف التفــاوض حتــى وان كــان سريــا فى حين ان المساومة (Bargaining) تتمثـل فى التحركـات والمقولات التـى تكون عـادة غير مباشرة وتكون غير معلنة فى بعض الاحيـان ومن (امثلة ذلك الخط الاحمر فى لبنان بين اسرائيـل وسوريـا فالطـرفان يفهمان عـدم تجاوزه ويحدث ذلك فى الواقع دون وجود اتفاق تفاوضـى صريـح بذلك . إن المشكلة تكمن فى ان صدام يصور حوار جلاسبى على انه عمل صريح ومبـاشر من جانب أمريكا لاعطائة الضـوء الأخضر لغزو الكويت (اى انه بمثابه تفاوض سرى مثلاً) وهذا يوضـح افتقاد صــدام لفهم طبيعه التفاعـل التفاوضـى والتساومــى .والفرق بينهما .. الامر الذى قـد تجسد بشكل واضـح فى العديـد من مواقف صــدام التفاوضـية الاخرى قبـل واثناء وبعـد الأزمة . اما جـلاسبى وكـذلك أى محلـل محايد فى الشئون الـدبلوماسيـة يعى جيداً ان التسـاوم فى الاســاس يعنى قابليـة انكار الرسـائلأو(Deniability of Messages) من قبل طرف التسـاوم ولايعنى ما يعينه التفاوض من الوضـوح وعدم قابلية الانكار فى الاساس فكلام جلاسبى لايعنى بالضـرورة ايحاء بالتحريض على الغزو اذا تـم تفسيره بمعزل عن الغزو.... بل من الممكن جداً أن يفهــم على انه تأدب ودبلوماسية مــن قبل سفيرة أجنبية عند محادثة لها مــع زعيم عربــى . فقولها " اننا لسنـا لدينـا ما نقولـه بخصوص الاختلافات العربية العربية ،مثل موضـوع حدوك مع الكويت . وكل مانأمل فيه أن تحُل هذه الامــور سريعاً لايجوز تفسيره بـاطلاقيـة كما حدث مــن جانـب العراق على أنه بمثابة " الضـوء الاخضر " الذى شـجع صدام على القيام بالغزو . ولكن الذى قد راج بعد نشر حديث جلاسبــى فى العالم العربى ان الامر مؤامرة فقط . فمــن المحتمل أن يكون الامريكيـون قد اغروا العراقيين واوقعـوا بينهم وبين الكويتين ، ليتـذرعوا بماجرى ولكـن لماذا تصر العقلية التآمـرية على ان التحـريض هو العــامل الرئيسـى فى كل ما حدث وتحجـب دعاوى صدام بشأن الحقوق التاريخية للعراق وهى لم تكن بجديدة. وتحجب امر ان الغزو قد جاء

من دوافع اخـرى مثل المصلحة الاقتصادية ففـى ذلك الوقت كـان العراق يمر بمحنة اقتصاديـة كبيرة عقب حربه مع ايـران وان احتلاله للكويـت كان يمثل حلاً لازمتـه حسب تصور اخـر ؟ .. ولماذا حجبت العقليـة التآمريـة أهمية ان يصرف النظام السلطوى والاستبـدادى فى بغداد جيشة الى امور أخـرى بحيث لايكون هنـاك فرصـة مواتيـة لاحداث انقـلاب ضـد السلطـة ؟! ولماذا يحجب اصحاب العقلية التآمرية عرض صدام على جلاسبى اثناء حواره معها ان يحل محل المملكة العربية السعـودية فى علاقاتها الوثيقة مع الـولايات المتحدة قائلاً لها : "ان العراق افضل لكم من التحالف مع السعـودية" . لقد كان عهد العقلية التآمرية فى العـالم العربى على الصعيدين الاجتماعى والسيـاسيى أن تتجاهل مجموعـة العوامـل الكثيرة والاحتمالات المختلفة التـى تتواكـب مع حـدث ما وتقصر تفكيرها فقط على فكرة المؤامرة والاستـهداف فقط ولاغير .

**** النمط السابع :حوارات " دفن المقولة الرئيسية " .**

من سمات تفـاعلاتنـا السلبية على الصعيديـن الاجتماعى والسيـاسى فى العالم العـربى ذلك الاسهاب والاطنـاب والتكرار دون داع لذلك .. الأمـر الذى يصعب معه تحديد المقولة الرئيسية التى يريد المتحاور/ الكاتب أو المتحدث ان ينقلهـا للمتحاور الآخـر . وهذا النمـط هو مـا أريـد أن اسميه "دفـن المقولـة الرئيسية" (... أى دفنها فى خضـم اسهاب لغوى بدلاً من البدء بها بوضوح ثم تدعيمها) . واحيـاناً تكون عملية "دفن المقـولة الرئيسية" عن عمـد حين يريد المتحاور ان يكون غير مباشر فى حواره من خلال التمويه على المقولة الرئيسية . ولكن فى معظـم الاحيان تتـم عملية "دفن المقـولة الرئيسيـة" ومايصـاحبها بطريقـة لا شعورية . فى حوارات الكثيريـن من المتحاورين . ولعـل ما أدى إلى رسوخ هذا النمط فى تفاعلاتنا هو ممـارسات عديدة على المستوى الثقافى تتمثل فى أهميـة وضرورة أن تكون خطبـة الرؤسـاء طويلـة وكذلـك خطب الجمعـة

ورسـائل الدكتـوراه وحتى العـديد مـن الاغـانى خـاصة فى فترة الستينـات والسبعينـات ... الا ان طبيعة العصر بـدأت تفرض نفسهـا فبـدأ هذا الامـر فى التغيير إلى حد مـا وشاع فى الشارع المصرى تعبير يتـداوله رجل الشـارع عند تحاوره مع الآخرين يقول "هات مـن الاخر" . إلا أن ارث التطويل والاسهاب المنافى لطبيعة العصر يبدو وانه لاتزال له الغلبة على تفاعلات الكثيرين إلى الان . والامثلة كثيرة ولكن من أكثر الامثلة الواضحة التى جسدت هذا النمط بصورة فريـدة هو ذلك الخطـاب الذى ارسله الرئيـس صدام حسين للرئيـس حسنى مبارك للتغاضى عن الوقوف فى وجه الغزو للكويت والوقوف بجانب العراق فى هذه الازمة والخطاب (النص الكامـل لهذا الخطاب بملحق الدراسة ص ٢٤٩) يجسد العديد من الانماط السلبيـة الأخرى . واهمها "خلط الاوراق" وتجاهل معطيات التفـاعلات الدولية والاقليميـة بشكل يدعـو للدهشة . ولكن مـا اركز عليه هنا هو نمـط الاسهاب والاتيان بالمقولة الرئيسية بعـد مقدمات متعددة . فـالقارئ لهذا الخطـاب يستغرق الـوقت ويبـذل الجهد للتعـرف على المقولـة الرئيسية (أو Claim) التى ينبغي وأن تكون قريبة وواضـحة من مقدمة الطرح المكتوب أو المسمـوع ومن الملاحظ أيضًا فى هـذا الصدد ان الرئيس صـدام قد بعث بـرسالـة على شريط فيديـو للرئيـس الأمريكي ردًا على رسـالة الـرئيس الأمريكي التي استمرت خمس دقائق ، وتناقلت وكالات الأنباء خبرا مفاداه أن بوش قد جند احسن مستشاريه المتخصصين في الشئون العربية لكي يتعرفوا وبـاختصار على « المقـولة الـرئيسيـة » ويستخلصونها مـن خضم المقـولات المتفرقـة التي تضمنها شريط الفيـديو الذي بعـث به الرئيس صـدام ودفن في مكان ما به مقولته الرئيسية !

**النمط الثامن :حوارات الصمت والغموض

ترتبط ميكانزمات «الصمت والغموض» بمكاينزم اللامباشرة الذى ذكرناه

آنفاً . واستخدام هذه الميكانزمات قد يكون له مايبرره كادوات حوارية فى سياقات معينة ، الا أن ما نسلط الضوء عليه هنا ايضاً هو اساءة توظيفها فى لحظات حرجة فى علاقة ما حين يستلزم الأمر الوضوح الكاف والادلاء برأى حاسم ومحدد وتجنب الصمت واللامباشرة أو الغموض .

ولقد تناول بعض خبراء علم اللغويات الاجتماعى والاتصال عبر الثقافات هذه الميكانزمات بالتحليل وقدمت كل من Saville-Troike, Tannen (١٩٨٥) كتاب مفصل عن ميكانزمات الصمت عبر الثقافات المختلفة ووظائفه فى عملية التحاور . فادراك الافراد والثقافات لهذه الميكانزمات لايزال بحاجة إلى دراسات متعمقة . ومن الامثلة الشيقة التى وردت بكتاب Saville - Troike, Tannen كان عن حادثة اطلاق الطائرات القبرصية النار على طيار مصرى حينما كان مضطراً للهبوط بقبرص وطلب الهبوط ولكن لم يُصرح له بذلك وساد الصمت .... وهنا تصور الطيار المصرى ان الصمت يعنى «الرضا» والموافقة فهم بالنزول فإذا بالطائرات القبرصية تعترضه وتطلق رشاشاتها وتيقن الطيار عند الهبوط ان الصمت القبرصى فى هذا السياق لم يكن علامة «الرضا» (انظر تنين وسافيك ١٩٨٥ : ١٩٩).

اما الدراسات المتعلقة بمفهوم الغموض فى الحوار وفى الحوار السياسى على وجه التحديد فهى نادرة هى الأخرى واحدى الدراسات الهامة فى هذا الصدد هى دراسة قام بها المعهد الدبلوماسى بجامعة جورجتاون (١٩٨٥) وكانت عن الغموض المتعمد عند وضع صيغة القرار ٢٤٢ بما يسمح بموافقة اطراف الصراع وغالبية الدول الاخرى على القرار لحين التفاوض فيما بعد بشأن التفسيرات المختلفة للقرار : ولم تكن بعض الوفود المتصارعة على علم بهذا التعمد .

وحين ننظر الآن لتفاعلات ازمة الخليج لنرى تأثير ميكانزمات كل من الصمت والغموض على سير هذه التفاعلات نجد أنها قد تم توظيفها من قبل

بعض مـن الاطراف العربيـة بما يجعل من استخدامهـا انتهاكًا «لمبـدأ التعاون الايجابى» فى الحوار وهـو احد المعـايير الأساسية الـلازم توافـرها فى الحوار السليـم طبقا لما ذكـره عالم اللغـويات والفليسـوف جرايـس وهو مـا أسماه بـ (Cooperative principle).. فعلى سبيل المثـال نجد انتهاكًـا لهذا المبدأ حين وظف الطرف الاردنى ميكانزمات «الصمـت والغموض» فى بداية الازمة وكان يعنى بهذا تـأييد ضمنى للموقـف العراقى وبالتـالي تأييد ضمنى لعـدم قبول الشرعية الدوليـة.. الامر الذى افقد الاردن الكثير مـن معقوليته اثناء تفـاعلات الازمة وبعدهـا . ولقد انتقد هذا الموقف فى كثير من المقـالات التى أكدت على أن «الصمت» أو «الغموض» فى سياقـات تفاعلية مثل تفاعلات ازمـة الخليج يعنى «الـرضا» والموافقـة فهـذه هى الترجمة السـائدة لمفهـوم الصمت على محيـط التفاعلات فى المجتمع العربى . وربما لأن توظيف الصمت والغموض فى الحوار قد يعنـى نوعاً من الحيـاد احياناً واحيانـاً أخرى قد يعنى الابتعـاد وفى أحيان أخـرى قد يعنـى الاستعلاء ، الا ان هـذه الترجمة ليسـت الصحيحة فى سيـاق تفاعـلات الاردن في بدايـة الازمة لان مـايحسم الامـر هو النظـر إلى توظيـف الصمت والغمـوض فى اطار اثر افعـال القول (Speech Acts) ككل . وربما مـا يـوضح مثـل ذلـك التفسير للغموض والصمـت الاردني مقـالات مثل مقـال ابراهيم نافع بعنوان «محاولة لفهم الغموض الاردنى» ٣٠/٨/١٩٩٠ بجريدة الأهرام حيث أشار الكاتب إلى أن الغموض والصمت من الجانـب الاردنى كان بمثابة تأييد واضح للعراق ويندرج تحت هذه الفئة العديد من المقالات الاخرى مثل مقـال جمال بدوى فى جـريدة الوفـد بعنوان « لغـز الملك حسين» بتـاريخ ٢٨/٨ وكـذلك مقـال لزكـريـا نيل ١١/٨/١٩٩٠ (الاهـرام بعنوان «نحـن والرموز الغـامضـة فى لعبة الانكسار العـربى» واذا كان ثمن الصمـت من قبل بعض الاطراف العربية التى ايدت صـدام باهظاً عليها وعلى العراق وعلى الأمة العربيـة ... الا ان ميكانزم الصمت الـذى تبنته ووظفته اسرائيل في تفـاعلاتها

اثناء الازمـة كان له ثمن كبير لصـالحها وهذا المعنى الاخير نستشفـه فى مقال لاحسان بكـر بالاهرام ١٨/٢/١٩٩١ بعنـوان « ثمن الصمت» . الامـر الذى يؤكد على أن توظيـف الميكانزمات الحوارية من قبل طـرف ما فى الوقت الملائم هو المحـدد النهائى لناتج التفـاعل الحوارى السلبى أو الايجابى .وهنـاك عدة مقالات تلقـى بالضوء على بعـض الميكانزمات الـرئيسية للصمت في تفـاعلات أزمة الخليج . الأولى لعبـاس الطرابيلي بعنوان « الصمت .. الملعـون ! » (الوفد ٢٥/٨/١٩٩٠) والاخرى لسعيـد سنبل بعنوان « الأزمـة والصمت » . وفيما يلى جزء من مقالة عباس الطرابيلي التي تلقى الضوء على مدى الضرر الذي نتج عن توظيف نمط الصمت في تفاعلات الأزمة وتربط بين أحداث الخليج وضياع الأندلس بسبب «الصمت » :

... والذي يتـابع صـورة الوطـن العربي الآن يجدهـا غايـة في القتامة.. فليسـت هناك جامعة .. وليست هناك عـربية . ويكفي لمن يريـد أن يحلل أن يسترجع ما حـدث في مؤتمر القمة الطـارئ الذى عقد بالقـاهرة استجابة ـ ولـو شكلية ـ لنداء الـرئيس مبارك .. إذ لأول مرة ظهر جليًا عمق التفكك العربي واختلاف الأهداف، وتنوع الاهتمامات حتى وصل بنا الأمر أن رحبنا بالقوات الأجنبية ورأينا فيها البطل المنقذ لنا ولشعوبنا من اعتداءات وتهورات بعضنا .

ثم ماذا حدث بعد القمة العربية .. للأمة العربية والدول العربية العشريـن، بعد انـدماج اليمنيين ! لا حـس ولا خبر .. **بل لا صـوت سوى الصمت الرهيب** ـ وكان كل رئيس أو بلد يرى أنه آمن داخل حدوده أو كأن القضية لا تهمة ، بـل تهم شعوب الزولو والماوماو . لقد نزل الصمت على كل الرؤسـاء والأمراء وكان الأمر لا يعنيهم .. وكأن كل جهادهم العربي هو الجلوس على مائدة القمة العربية حتى ولو جلسوا صامتين.. **لأنهم للأسف لا يعرفون ما الذي يمكن أن يقولوه**.. وإذا قال أحدهم فلا يعرف هل يرضي هذا أم يغضب ذاك!!

وإذا أخرجنا من حسابنا ـ للأسف الشديد ـ بعض الدول صغيرة الحجم والتأثير ، ولأنها ليست سوى مجرد صوت عند التصويت ، تماما كما حدث في قمة الشتامين في بغداد في نوفمبر ١٩٧٩ .. عندما كان الهدف الظاهري هو سب مصر ورئيس مصر وشعب مصر .. بينما كان الهدف « الاسمى » لهم هو ازاحة مصر وهدم دور مصر ، والغاء وجود مصر .. حتى يخلو لهم الجو ـ وهم الأقزام ـ ليصنعوا من أنفسهم أبطالا .. ويحاولوا سد فراغ غياب مصر .. وها هم الآن ـ الكل يدفعون ثمن إبعاد مصر التي كانت تتحرك بلا مطامع .. وتحارب وليس في نيتها طلب الثمن .. كما فعلوا الآن إذا أخرجنا الدول الصغيرة الموجودة الآن تحت « مظلة » الجامعة العربية .. **فما هي صورة الكبار الذين يمكن أن يفعلوا شيئا .. ولكنهم للأسف .. من الصامتين !!**

بعيدًا عن تقسيم العالم العربي إلى يسار ويمين وتقدمي ورجعى ، وانتهازي ونفعي .. ما هو الموقف الحقيقي لكل من الجزائر بكل امكاناتها العسكرية والاقتصادية والبشرية والزراعية.. وما هو موقف السودان ، وكانت دائما في مقدمة المسرعين للعمل العربي ـ ولكنها الآن مفككة تحت حكم العسكر وضائعة بين عمليات انفصالية في الجنوب ، وأطماع في أراضيها من أفريقيا المسيحية !! وماذا عن اليمن ـ بعد التوحد ـ وهي من تدعى أن شعبها أعرق العرب لأنهم ـ في نظرها ـ هم أصل العرب . ماذا عن اليمن ، وقد كنا نراها ـ بعد التوحد ـ قوة للعرب لا دعما للمعتدين .. وسوطًا على المعتدى عليهم .. وماذا عن المغرب ، وهل تكتفي بما فعلت ، رغم أننا ننتظر منها الكثير .. من ملكها المشهور بالذكاء .. المشهود له بالعروبة ودعم الأسلام .. المغرب .. الامكانات البشرية والمالية .. والفوسفات الذي يتحول إلى مواد نووي !!

وماذا عن ليبيا .. وهل تكتفي بمجرد التهديد من الانسحاب من الأمم المتحدة والتنديد بالعدوان والمعتدين .. ماذا وهي التي تعتبر

من كبرى الدول العربية المنتجة للبترول ، وكانت يوما من أعلى الأصوات صوتًا .. هل تكتفي بترك الساحة .. بعد أدانة المعتدي بنفس درجة إدانتها لأمريكا !!

ثم تونس .. التي غرفت في المشاكل ، وكنا نراها قد عادت عربية بعد ما قاله الذين انقلبوا على الحبيب .. ولكن للأسف كان الحبيب بورقيبة أكثر عروبة .

وعن الأخرين : الصومال . جيبوتي . موريتانيا . ولبنان الجريحة التي اقتسموها واشبعوها جراحًا ، وكان قادتها أكثر عروبة .. واسألوا قتلة رياض الصلح واحفاد بشارة الخوري .. لا شيء غير الصمت ..

وسوف يدفع كل العرب فاتورة ما يجرى الآن على الأرض العربية .. سوف **يدفعون ثمن صمت حكامهم الذين لن تحميهم قصورهم .. ولا حرسهم** الخاص ولا دنانيرهم . وسوف يدفعون ـ ملوكهم قبل رعاياهم ـ الثمن . أما عن الأردن فماذا أقول وقد كانت ملء العين .. فضاعت عن العين .. وتأهلت بين وعود شرقية من بغداد.. وتهديدات غربية من تل أبيب بالابتلاع ..

لم نعد نسمع سوى رجع الصدى .. سوى الصمت . وهذا ما حدث في أندلس المسلمين يوم تفرقوا ــ كطوائف ـ وكانوا هم ملوك الطوائف .. وأغلق كل ملك أو أمير قصره على نفسه حتى اجتاحتهم جيوش الفونسو وايزابيلا .. وضاعت الأندلس وخرج منها آخر «أمير عربي مسلم » .

هل هي أندلس أخرى .. سوف يطويها الصمت . وهل القادمون أيضا هم الفونسو وايزابيلا مادام الصامتون هم أصحاب الأرض .. وهم ملوكها ..

لعن الله الصمت .. والصامتين ، حتى لو كانوا من ملوك الأرض!!

أن عدم التوظيف السليم لميكانزمات الصمت يجعل الصمت ملازماً للغموض وعدم الوضوح وربما فى هذا الجزء من مقال سعيد سنبل بعنوان «الازمة والصمت» مايلقى بالضوء على الميكانزم موضع التحليل هنا على صعيد تفاعلاتنا الداخلية والتى هى جزء من سلبيات الحوار التفاوضى على مستوى الوطن العربى ودول العالم الثالث بصفة عامة . وفيما يلى نص جزء من هذا المقال والذى كان من الافضل وأن يكون عنوانه «الازمة والغموض» ليتناسب العنوان مع مضمون المقال أكثر :

.. اهتمامنا بازمة الخليج ، وتطوراتها ، يجب الا يصرفنا ، عن الاهتمام بازمة العائدين ومشاكلهم ، وبأزمة مصر ومشاكلها...

لقد استوقفتنى عبارة نشرتها الصحف الصادرة أمس على لسان الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء ، تقول العبارة : وناشد الدكتور صدقى المواطنين تفهم ابعاد الموقف الذى نتج عن احداث الخليج ، وان يساهموا قدر الامكان ، بالجهود الذاتية - خاصة ان موازنة الدولة فرضت عليها اعباء مالية كبيرة نتيجة النقص فى موارد السياحة ودخل قناة السويس ، وتحويلات المصريين العاملين بالخارج ، وارتفاع اسعار عدد كبير من السلع الأساسية عالميا .

هذا ، ما نشرته صحف الامس ، واعترف اننى لم أفهم **مايقصده رئيس الوزراء .**

هل يدعو رئيس الوزراء المواطنين إلى التبرع ... ولمن ؟

هل يدعوهم إلى اقامة مشروعات بالجهود الذاتية .. وما هى المشروعات ... وأين ؟!

* * *

وبكل امـانة اقول : ان الموقف الـذى نعيشه لايحتمل الغموض أو الصمت ، أو حل المشاكل من وراء الأبواب المغلقة !

الموقـف اكبر مـن هذا بكثير وادق مـن هـذا بكثير .

الموقف يتطلب ان يخرج رئيس الوزراء وان يتكلـم بصراحـة ووضـوح ، ويشرح ابعـاد الموقف، ويقـول ماهـو المطلوب، لا أن ينـاشـد المواطنين مـن خـلال كلمات غـامضـة غير مفهومه .

ان كل مـانطلبه مـن رئيس الـوزراء هو ان يتكلم ويقـول الحقائق للنـاس، ويضع امـامهم صـورة واضـحة عـن مشـاكل مصر وهمومهـا نتيجة المتغيرات الاخيرة ...

يقول لهم ما الذى تنـوى الحكومة أن تفعله ازاء هذه المشـاكل .. وما الذى يجب أن تقـوم به الجماهير وتفعله ..

[الاخبار ٤ / ٩ / ١٩٩٠]

لاشك أن مسألة غموض الرسائل فى عملية الاتصال قد ترجع إلى تعمد من متحاور ما فى سياق ما ولكن من تحليـل الكثير من التفاعلات الاجتماعية وجد كاتب السطور أن هذا الأمر يحدث بصورة غير متعمدة فى أغلب التفاعلات التى

كانت موضع الدراسة وما أكثر مانواجهه فى كتابات الطلاب من عدم تحديد للموضوعات مما يجعل كثير مما يكتبونه غامضاً ويحتاج لعلامة استفهام بجانبه .ففى كثير من الحالات نضطر لسؤال الطلاب اسئلة متعددة للوصول إلى مايريدون قوله ، فجملة " ممكن لو سمحت توضح كلامك شوية؟! " هى جملة كثيرة التردد فى تفاعلاتنا .. المشكلة ان كثيرًا من الامور يُترك عبء تفسيرها على متلقى الكلام. ومن الامثلة الطريفة ذلك الحوار الذى دار بينى وبين استاذ فى كلية الطب كان عنوان مقالة له بالعربية " دراسة طبية عشوائية " .

– فقلت له كيف تكون دراسة وكيف تكون عشوائية ؟!

– فقال دى ترجمة من الانجليزية لجملة Randomized Medical study.

– فقلت ولماذا لانقول " دراسة طبية باستخدام طريقة العينة العشوائية " فيكون الكلام واضح ولاغموض فيه !! .. فليس من الشرط فى عملية الترجمة ان تتم ترجمة عدد الكلمات من لغة فى حدود نفس عدد الكلمات فى الجملة الاخرى .. الاهم هو دائماً الوضوح وعدم الغموض ! .

**** النمط التاسع حوارات الاحباط واليأس والحيرة**

اذا كان هناك شعور كبير بالاحباط على المستويات الاجتماعية والسياسية على مستوى الوطن العربى بفعل تداعيات أزمة الخليج التى ماكانت الا تعميقاً لاحباطات اخرى سابقة وموجودة فإن النخبة قد اسهمت بالدرجة الأولى فى تعميق خطاب الاحباط واليأس لدى قطاعات عريضة فى الأمة العربية . فلقد اتسم اداء النخبة العربية بالاستغراق فى وصف الاوضاع المُحبطة حتى في عملية اختيارهم لمنهج تحليل الأوضاع نجد أن الاغلبية منهم قد لجأ إلى انتهاج المنهج « التفكيكي » والتركيز عليه لحد ذاته .. الأمر الذي وصل بالبعض إلى تفكيك كل ماض الامة إلى كتل من المطارحات المشكوك في كل ما تتضمنه وفي

أمور يصعب فيها الحسم الأمر الذي تعرضنا له بقدر من التحليل في الفصل الثاني الخاص بمنهجية تحليل النص وهو الأمر الذي ساهم كثيرًا في وجود فراغ معرفي وروح من الشك فى كثير من الامور على الساحة العربية . ولعل ابسط توضيح لهذا الامر هو عرض نماذج من بنك البيانات الخاص بتفاعلات ازمة الخليج أو الازمة الثقافية المزمنة . ولنبدأ بعينات تجسد مفرادتها تلك الازمة المزمنة التى سبقت تفاعلات ازمة الخليج ١٩٩٠ ولعل اكثر هذه العينات تمثيلاً للاحباط ... أو بمعنى آخر اكثر تعبيراً عن انزلاق اعضاء بارزين من النخبة إلى وصف الاوضاع المحبطة باوصاف ان دلت على شيء فهى تدل على تعميم وانفعالية فى الوصف تزيد من تعميق الاحباط واليأس بدلاً من معالجة الامر بصورة اكثر ايجابية . وهذه العينة تتمثل فى المقولة التالية للدكتور هشام شرابى حين يقول فى كتابه بعنوان «مقدمات لدراسة المجتمع العربى» :

« ان النزعة العدوانية (aggressive impulse) التى يقول فرويد انها تبدأ فى البروز فى الفترة الثانية من تطور الطفل البيولوجى (anal period) أى ابتداء من السنة الثانية **من عمره عندما ينتقل اهتمامه إلى عملية البراز فينظر إلى برازه مثلا كشيء ثمين وهام** ، هذه هى النزعة السائدة التى تطبع الشخصية القضيبية (Phallic personality) التى يصنعها مجتمعنا ، اعتماداً على التربية العائلية وطريقة معاملة الأطفال . ونرى هذه الشخصية القضيبية مجسدة فى أشكال ونسب مختلفة من العدوانية والشراسة . وهى على اختلاف اشكالها تتميز باعتزازها بذاتها وبشعورها انها شيء خطير وانها هدية الآلهة إلى هذا العالم . ويجد صاحبها

لذته فى الحياة فى إبراز الأنا ، فهو شديد الحرص على التأكد من احترام الناس له ، وفى التشديد على منزلته والدفاع عـن سمعته . وهو يجد احترامه لنفسـه فى فـرض نفسـه على الأخـريـن، وفى تحقيرهـم ، خصـوصـاً اذا كانـوا مـن اقـرانـه واخوانه. **انه فى كثير من تصرفاته لايزال طفلاً، يتـأمـل بـرازه كل صبـاح بـاهتمام وعطـف كبيرين».**

(شرابى ١٩٨١ : ٢٤)

اما على صعيد عينات التفاعلات التـى صاحبت أزمة الخليج على المستوى النخبوى والتي تعكس بعمق روح الاحباط واليأس نجد مقال طويل للدكتور حسن حنفى بعنوان «خطاب للاجيال القادمة» بصفحة الحوار القومى بجريدة الاهرام بتـاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩٠ ينتمـى إلى خطاب الحيرة واليـأس والاحباط الذى لا يزال يهيمن على كثير من تفاعلات النخبة إلا أن هذا الخطاب لم يتضمن ما هـو شائع من القـاء اللوم عادة على الأخريـن أو على التنصل من المسئـولية ولكن هـذا المقال قد تضمـن الاعتراف بالاخفاق فى لحظة مـا خاصة إذا كـانت لحظة حـاسمة فى تاريخ الأمـم دون مكابرة وا ستعـلاء كما يحدث فى كثير من تفاعـلاتنا مع الاسف ولقـد تجسد هذا فى مقـولة د . حنفى فى آخر مقـالة حين ذكر: « .. **هل** أكمل جيلنا دورة تاريخية ، هل عدنا بعد محمد على وعبد النـاصر ؟ **هل** نحـن فى مخاض جديـد يتعهده جيـل قادم بعـد ان تهرأ كل شـىء ؟ "**هذا اعتراف للاجيال القادمة واعتذار لها** "... ولقد كان هذا المقال موضـع تأمل العديـد من أعضاء النخبـة ومن أمثلة هـذه التأمـلات ما ذكره الاستـاذ فهمى هـويدى الـذى تعرض (الأهـرام ٨/ ١/ ١٩٩١) لماورد بهذا المقال والمقـولات نخبوية اخرى فى معـرض حديثه عن «**خطاب الخروج من المأزق**» ووصفه قائلاً انه كـان بمثابة «اعتذار عـن الماضى ، ويأس من الحاضر ، واستقـالة من

المستقبل» (يتضمن الملحق نص مقالة الاستاذ فهمى هويدى ص ٢٧٧ ومقال د. حسن حنفى ص ٢٠٨). لقد كان لنمط «الاحباط واليأس» جذور واسباب عديدة بطبيعة الحال ولقد عمقت تفاعلات الغالبية من اعضاء النخبة من تمكن هذا النمط لدى الكثيرين ولقد لاحظ د. عبد المنعم سعيد منذ فترة سبقت تفاعلات ازمة الخليج تأصل ذلك النمط فى تفاعلاتنا فكانت له مقالة هامة فى الاهرام بعنوان : " لماذا لانفوز بكأس العالم" (١٩/١/١٩٩٠) . وبالرغم من أن العنوان قد يبدو وكأنه حديث فى الرياضة وهذا بالطبع مالا يخوض فيه د. سعيد الا إن المقال سياسى واجتماعى فى المقام الأول . ومن الممكن اعتبار هذا المقال كنوع من رد الفعل الايجابي للتصدى لنمط الياس والاحباط وفقدان الثقة بالنفس لدى الكثيرين – من اعضاء النخبة الأمر الذى انعكس بالتالى على غالبيه من الشباب –لقد كانت مقال د . سعيد بمثابة تحفيز للهمم لما يمكن وان تحققه مصر كدولة عريقة لها ثقلها الحضارى والثقافى وما يمكن ان يحققه الوطن العربى ككل .على شرط التخلص من هيمنة نمط اليأس والحيرة والأحباط ويتضمن محلق الدراسة نص مقال د . سعيد ص ٢٣٤ وكذلك نص مقال لكاتب هذه السطور يتصدى لشيوع هذا النمط بعنوان « رؤية اجتماعية وسياسية» للاوضاع الراهنة بمصر (بمجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا (ديسمبر ١٩٨٦) (انظر الملحق ص ٢٢٩).

**** النمط العاشر : " حوارات جدلية الوسائل" (التسحلف):**

وهذا النمط يتجسد فى فقدان الاتساق بين تحقيق الهدف واسلوب واجراءات تحقيقه باسلوب علمى وعملى وموضوعية تتعامل مع الواقع المعقد بطبيعته واولوياته ثقافياً واجتماعياً ودولياً. ولعل احتدام الخطابات المتصارعة من اسلامية إلى علمانية أو أى اسم اخر تعانى من هذا الخطأ الفادح الذى شنج حركة الامة وكبح انطلاقها وجعل الجميع يستهلكون الجهد

الاســاسـى فى مســائل اجرائيــة وخلافيــة والتعامــل باسلــوب «شـخصانــى» وتعبيرية انفعاليــة بدلاً من الاهتمام بالانجــاز لصالح الجميع . ولعــل كل من تفاعلات الازمة الثقافية المزمنة وازمة الخليج ١٩٩٠ قد قذفتنا بعشرات الأمثلة .ففى سياق الازمة الثقافية المزمنة نجد ابسط الامثلة واعمقها تتمثل فى عبودية اجـراءات روتينية كثيرة ننـس معهـا انها ليســت الهدف فى حد ذاتـه ولكنهـا الوسيلـة لتحقيق هدف اخـر .... ولعل ممارسات القيـادة العراقية اثنــاء ازمة الخليـج توضـح انها قد حـاولت اللعـب على تناقـض الخطابــات المتصارعـة والتعامــل مع دوامات الوســائل الجدلية بطريقة اطــالت من امد الازمــة وكان الهدف من ذلــك هو محاولــة استقطاب اكبر تــأييد لموقــف العراق مــن ناحيـة ومحاولة لتمييع الموقف حتى يرجع التحالف عن عزمه في طرد العراق وتـحرير الكويــت ولقد تجسد نمــط تغلب جدليــة الوسائل على تحقيـق الهدف بصــورة جلية فى تفاعلات الاربع اشـهر الاولى من الازمة من **خلال ذلك الكم الهائل من المبادرات العربية المختلفة** لحل الازمة دون توحيد الجهـد مما ادى إلى فقدان القدرة على ايجاد حل تحت المظلة العربية .

ومن صــور هذا النمط ما اسميـه باستراتيجيات التسـحلـف والمقصود بها فقدان القدرة على ترتيب أولويــات الحوار وفقدان الأحساس بالندية والاسراع بطلب التــأجيل أو الانسحـاب بخصوص اشكــالية ما تكون مــوضع الجدل أو طلب تأجيل الأمور دون البت فيها إلى أن تحل بقدرة قادر أو لاتـحل نهائيا ومن المقالات التى نستشف منهــا هذا النمط مقال لمرسى عطا الله بعنــوان « سياسة الهروب من المواجهة ليست فى مصلحة العرب ، وفيما يلى نص المقال :

على هامش مؤتمرى موسكو ونيويورك :
سياسة الهروب فى المواجهة ليست فى مصلحة العرب !

رغم أن مؤتمر موسكو للمفاوضــات متعــددة الأطراف قد انتهى من حيث بدأ دون أن يتعرض المشاركون فيه لاية منــاقشات بشـأن أى من القضـايا التى

استهدف المؤتمر بحثها فإن حدة الجدل حول جدوى المشاركة أو المقاطعة مازالت دائرة على أشدها فى عدد من الصحف العربية .

وقبل أن اتعرض لعناصر الجدل الدائر أود أن أشير إلى أن الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بعد حول مخاطر المشاركة العربية فى مؤتمر موسكو قبل أن يحدث أى تقدم ملموس فى مفاوضات السلام الثنائية بين العرب وإسرائيل فى واشنطن قد فاتتهم حقيقة أساسية يصعب الهروب منها ، هى أننا جزء من عالم واسع تجرى الأن محاولات غير عادية لاعادة تنظيمه وفق المتغيرات الجديد بعد أن سقطت كل الايديولوجيات والمعسكرات التى كانت تقسمه مناصفة بين القوتين العظميين .

لقد فات على الذين يملأون الصفحات بمقالات وكتابات أن مؤتمر موسكو ليس سوى اطار فرعى يستهدف ترتيب نظام أقليمى جديد فى الشرق الأوسط ترتيب نظام أقليمى جديد فى الشرق الأوسط يتجاوز حدود حل المشكلة الفلسطينية عل أساس مبدأ الأرض مقابل السلام وينتقل إلى شكل جديد من أشكال التعاون الأقليمى بين مختلف دول المنطقة سواء كانت عربية أو غير عربية ، وأن هذا الأطار الفرعى جزء من أطار شامل ظهرت ملامحه بوضوح فى مؤتمر قمة نيويورك لرؤساء الدول الأعضاء فى مجلس الأمن الذى يستهدف أقامة شكل جديد يقترب من حلم « الحكومة العالمية » التى ينبغى أن تتحمل مسئولية حماية الأمن والسلام العالمى بشكل عام .

وإذن فإن محاولة الهروب من الواقع الدولى الجديد ليست سلوكا ايجابيا مهما كانت الأسباب ومهما كانت الدوافع والمبررات .

إن الذين شاركوا فى مؤتمر موسكو من الجانب العربى لم يرتكبوا جرما فى حق أمتهم كما يزعم بعض المتشنجين الذين يكررون الخطأ التاريخى نفسه والذى وقعت فيه غالبية الدول العربية عندما رفضت مبدأ المفاوضات مع أسرائيل وقررت مقاطعة مصر ، ثم ها هم اليوم يحلمون بتحقيق نصف ما

حققته مصر بخطوتها الرائدة من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع .

والذين عايروا مصر بقبول التفاوض مع أسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل يلهثون اليوم من أجل تطويع موقف الرفض الأسرائيلى للتفاوض معهم ، ويلحون بكل السبل والوسائل على واشنطن أن تلعب أى دور مؤثر فى المفاوضات لأن حلم الشريك الكامل بات حلما مستحيلا.

بل أن الذين هاجموا مصر بضراورة لأنها قبلت ـ فى أطار اتفاقية السلام مع إسرائيل ـ التوقيع على أطار للحكم الذاتى للفلسطينيين لمدة ٥ أعوام فقط ، يريدون الأن أن يسمعوا ولو لمرة واحدة أن أسرائيل تقبل بحكم ذاتى مفتوح الأجل!

لقد كنت أفهم أن يقول المعارضون لمؤتمر موسكو أنهم يؤيدون المشاركة من مبدأ الفهم الصحيح للواقع الدولى الجديد ومن أرضية الرغبة فى عدم مواصلة السباحة فى بحر الفرص الضائعة ، مع التأكيد على أن المشاركة لا تعنى التراجع عن التمسك بحقوق ومبادئ ثابتة تحكم أساسيات الموقف العربى وأهمها :

١ ـــ أن القبول بالمشاركة فى المفاوضات متعددة الأطراف يمثل دليلا جديد على حسن النية من جانب العرب فى ارساء سلام حقيقى ، ولكن العرب غير مستعدين للالتزام بأى اتفاق تعاقدى حول التعاون الأقليمى مستقبلا قبل أن يتم أقرار التسوية السلمية المنشودة على أساس من الشرعية الدولية ممثلا فى قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٢ ـ إن من بين أهم الموضوعات المطروحة على مائدة مفاوضات مؤتمر موسكو موضوع « الرقابة على السلاح » ، وهو موضوع يستطيع الجانب العربى ـ من خلال المشاركة وليس المقاطعة ـ أن يستثمره لمصلحته استثمارا جيدا ، خصوصا إنه لم يعد سرا أن إسرائيل تمتلك سلاحا ، نوويا وأنها مازالت ـ حتى الأن ـــ ترفض التفتيش الدولى على مفاعلاتها النووية ولم توقع حتى

الآن على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ، ومن ثم فإن احدى أهم أوراق الضغط العربية فى المفاوضات متعددة الأطراف هى ضرورة قبول إسرائيل بنزع سلاحها النووى تحت أشراف دولى حتى يمكن التفاوض بشأن الالغاء المتبادل للأسلحة الكيمائية التقليدية تحت رقابة دولية .

٣ ـ أن العرب ـ بالمشاركة وليس بالمقاطعة ـ يمكنهم أن يستقطبوا مزيدا من الضغط الدولى لمصلحة هدف الأسراع بمفاوضات السلام التى تسعى إسرائيل بكل الوسائل لاطالة أمدها ، وأن ذلك يكون أول اختبار حقيقى للنظام العالمى الجديد بعد حرب الخليج فى مدى المصداقية للتعامل مع مختلف القضايا الأقليمية بميزان واحد يستند إلى الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة يستند إلى الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة وبالتحديد فى المادة ٤٣ التى تتعهد بموجبها الدول الأعضاء بتقديم القوى المسلحة والدعم والتسهيلات لمجلس الأمن من أجل حماية الأمن والسلام .

ولسنا مقطوعى الألسنة ولا عديمى الحجة لكى نفرح بالهروب من ساحة المواجهة فى ظل عالم جديد يتجه إلى حقبة من « الدبلوماسية الوقائية » كبديل لحقبة « الدبلوماسية العلاجية التى كانت نتاجا طبيعيا لسنوات الاستقطاب والحرب الباردة قبل أعلان شهادة الوفاة للاتحاد السوفيتى .

وكفانا أربعون عاما من الجدل العقيم !

**** النمط الحادى العاشر : حوارات "الاستغراق فى المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة" .**

«صناعة كبرى ..... ملاعب خضرا

تماثيل رخام على الترعة واوبرا

فى كل قرية عربية

دى ماهيش امانى وكلام اغانى

ده بر تانى .. ده برتانى! .»

كلامات للشاعر والمفكر الراحل صلاح جاهين تغنى بها الراحل عبد الحليم حافظ .. «ده بر تانى» هذا تعبير دقيق فى سياق حوارنا الان ... انه بالفعل "برتانى" .. ولكننا لم نصل إليه بسبب الاستغراق فى الحلم دون الأخذ بتلابيب الامور والنظرة العملية للواقع المعاش والتصرف من منطلق فن الممكن لتحقيق مايمكن تحقيقه. ان هذا النمط يتجسد فيما قاله رافائيل باتى برغم التحفظ على الكثير مما ورد فى كتابه بعنوان «العقل العربى» واسلوب معالجته مادة الكتاب :

« ان العقل العربى يعطى وعن قصد ، وزن اعظم للرغبات والامانى التى يود العربى أن يحققها عن ذلك الوزن الذى يعطيه للواقع الفعلى والموضوعى للامور»

(باتى (Patai) : ١٩٨٣ : ١٥٦)

ويتجسد هذا النمط ايضاً فيما اورده السيد ياسين فى مقاله بمجلة المستقبل العربى (١٩٩١) بعنوان «التحليل الثقافى لازمة الخليج» حينما تعامل مع ما اسماه "**بالخطاب المثالى**" الذى ركز فيه على الوزن التأثيرى الكبير للشعارات على وعى الشارع العربى والاسلامى وهذا ما تجلى من خلال تأييد «القطاع الاكبر من الجماهير العربية للشعارات التى رفعها صدام حسين اثناء أزمة وحرب الخليج : لقد ذكر السيد ياسين «اهمية دراسة وتحليل السلوك الجماهيرى العربى اثناء الحرب ، وعلى وجه الخصوص بحث ظاهرة التأييد الجماهيرى الواسع المدى للخطاب السياسى للرئيس صدام حسين وخصوصاً جماهير الاردن والجماهير الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة، وفى الجزائر والمغرب وتونس والسودان واليمن ، وبعض قطاعات الجماهير فى مصر وسوريا. واضاف قائلاً. « ان دراسة هذا السلوك الجماهيرى كشفت عن توحد الجماهير مع الشعارات التى رفعها الرئيس صدام حسين فى خطابه، بغض

النظر عـن حديثـه فى رفعها ، أو عملـه الحقيقى لتحقيقهـا . وبغض النظـر عن تناقض ذلك الخطـاب وضعفه البنيوى وركاكه اسلوبه وبـدائية افكاره . ولقد عزى السيـد يسـين هذا الأمـر إلى الوضـع النفسي للجماهير التى اختلـط عليها الحقيقة بالوهم . ان امر الاستغراق فى الاحلام المثالية دون مواكبة ذلك بالفعل قد تأصـل بسبب ممارسات كلاميـة كان الغرض منها التعبئة السيـاسية من خلال الاعـلام والعملية التعليمية فى انحـاء الوطن العـربى ولفترة طويلـة من الزمان. ولعل ما احدثته أزمة الخليج يدق على الاجراس لكى نتخلى اساساً عن مثل هذه الممارسات .

**** النمط الثـانى عشر حوارات.الاطلاقيـة فى القبول والرفـض وحتى فى " الحل الوسط " :**

عندما نتنـاول بالتحليل موضـوع الحوار مع الآخر، فـإن الأمر فى واقعه يتعلـق ببعديـن رئيسيين للتحليـل. البعد الأول ويتعلـق بتحليـل التفاعـلات الحواريـة داخل محيطنـا الثقافى. والبعـد الثانـى ويتعلق بتحليـل التفاعـلات الحوارية بيننا وبين ذلك الآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا . ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبـول المطلق أو الرفض المطلق» بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، والسبيـل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التى تؤكد على الرفض المطلق كان تبنى البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطين أو التوفيقيين » وهؤلاء قـد أنقسموا إلى فئتين الأولى تمثل هؤلاء الـذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعـة العلاقات والتداخلات في عالم اليـوم والذى لانملك أن نعيش بمعزل عن تفـاعلاته ونجحوا في احراز أهدافهـم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت تبعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الأخر على حساب هذه القيم الاصيلة. أما الفئـة الثانية من الوسطيين فهى تلك الفئة التى تتفـاوض مع الأخر من منطلـق الاستعداد للتنازل عن أمـور تتعلق

بنظام القيم الثقافية الأصيلة وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الاطلاقية ايضـاً، وهذه الفئة هى التـى جعلت لتعبير «الحل الوسط» مـدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعنى التهاون والتنـازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشريـة، وهذا المعنى هو الـذى يهيمن على إدارك قطاع كبير من جماهير الشـارع العربى والإسـلامى ومايلقى بـالضوء على هذا الأمـر ما ذكره باحث اللغويات الاجتماعى بروس فريزر Bruce Fraser (1987) في بحثة الذى تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "Compromise" ولقد أورد البـاحث عدة أمثلـة منها مثل مـن الشارع الاسلامـى في ايران حين ذهـب مبعـوث الامـم المتحـدة إلى إيران بشـأن التفـاوض في أزمـة الـرهـائن الامريكيين الشهيرة، ويـذكر البـاحث أنـه بمجرد أن ردد المبعـوث تعبير «حل وسط» وأعلـن أنه جاء للوصـول إلى «حل وسط» فما كـان من الجماهير إلا أن رشقت سيارته بالحجارة .

فاذا ماحـاولنا الان النظر إلى ما طـرحته تفاعلات أزمـة الخليج من أنماط الاطلاقية لنجد أن جزء كبيراً من بيانات تفاعلات الأزمة يجسد هذا النمط وقد لاحظه ايضاً السيـد يسن في مقالة بعنـوان "المثقفون العرب في مواجهـة أزمة الخليج" (الاهرام ٨/٣/١٩٩١). حين ذكر النقاط التاليـة عن سمات خطاب المثقفين العرب في الأزمة :

– «انطلق معظم خطاب المثقفين العرب مـن مسلمة مبناها أنك **ما أن تكون مـع العراق على طـول الخط، أو مع الكـويت على طـول الخط** ، ومثل ذلك تبسيطاً مخُلاً لـرؤية الواقع، ذلـك أن الأزمة اثارت قضـايا سياسية وفكـرية وإسـتراتيجية معقدة. مـن الصعب للغاية حصرهـا في خانة «الابيض» أو خـانة «الأسـود» وبـالتالى حرم هـؤلاء المثقفون انفسهم مـن التحليل النقدى لـلأزمة والذى من شأنه أن يبرز سلبيات وإيجابيات سلوك كل طرف من الأزمة».

وإذا عُدنا بالأمثلـة إلى أحداث قريبة في الواقع الثقـافى المصرى تتعلق بنمط

القبول المطلــق والرفض المطلــق لوجدنا مــادة خصبة في التفاعــلات الحوارية الخاصـة «بقضيــة الغزو الثقافى»، وسنجد أن كــل هذه التفاعــلات تندرج تحت إطار أحد المواقف التــى يجسدها نمط القبول المطلق أو الــرفض المطلق أو نمط «الحل الوســط» . وهنا تندرج مقولــة وزير الثقافة المصرى أ . فــاروق حسنى الذى قال بالنص :

«**إن التخــوف من الغــزو الفكــرى والثقــافى هو تخوف بــلا أســاس، لامخاطر من أى لون مــن الغزو الفكرى، ويامرحبا بــالغزو الفكرى فى كل وقت وفى كل مكان**». ولقد كان لهذه المقولة رد فعــل لدى الكثيرين من اعضاء النخبة المصرية : الامر الذى دار بشأنه حورات على صفحات الجرائد استمرت لفترة لابأس بها . وما أود أن ألقى بــالضوء عليه هنا هو نمط الاطــلاقية الذى يتجلى فى معظم تفاعــلاتنا الإجتماعية الراهنــة. ولعل أعمالنا الفنية تعكـس هذا الامر ايضاً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فــإن المسلسلات أو الأفلام التى يُطلق عليها «سيــاسية» لم تكن فى واقعها إلا قبــول مطلق لعهد عبدالنــاصر أو رفض مطلق لهذا العهد ونفس الشىء ينطبق على عهد الســادات، كذلك فإن ما يقتحم إذاننا من أغانى هابطة بهذا الكم الضــخم ماهو إلا صــورة من صور نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق لقيم ثقافية معينة.

إننا إذا مــا حاولنا تــوسيع نطــاق تأمل مــواقف «العقل العــربى» عمــوماً بخصوص التفاعلات الإطلاقية مع الاخر لوجب علينا تأمل أهم مقولات المفكر المغربــى د.محمدعابــد الجابرى وهى مقــوله رئيسيــة اكدها فى كتــابيه الأول والثانى عن العقل العربى . يقول د. الجابرى .

«أن الذات العربية الــراهنة تفتقد استقلالها
لأنها تستمــــد فعــاليتهــا ودرود فعلهــا مــن
مــرجعيتين اثنتين متنـــافستين ومتعــارضتين،

وهما معاً منفصلتان عن الذات العربية أعنى أنهما تنتميان إلى عالمين لايعبران تعبيراً مطابقاً عن عالم العرب اليوم، إحداهما تنتمى إلى الماضى لعربى الإسلامى والثانية تنتمى إلى الحاضر والمستقبل الأوروبى. إن تحكم هاتين المرجعتين، المرجعية التراثية العربية الإسلامية والمرجعية المعاصرة الأوروبية، في الذات العربية، في توجه تفكيرها ورؤاها، هو ما نعنية بافتقادها إلى «الاستقلال التاريخى التام»، على صعيد الوعى والفكر كما على صعيد السلوك والفعل. وذلك إلى درجة أننا أصبحنا نحن العرب اليوم لا نستطيع، إلا نادراً، التفكير في أية قضية من قضايانا إلا من داخل إحدى المرجعتين المذكورتين، وفي كلتا الحالتين يكون فكرنا في واد وواقعنا في واد آخر، وبالتالى تغدو «الذات» الذاتَ كفكر وكفاعليةٍ وسلوك، موزعة بين فكر مغترب في الماضى أو عند الغير وبين سجن مظلم هو سجن الواقع الذى لا ينيرة فكر ولا يحكمة عقل. وإذن «فسبيل الاستقلال التاريخى للذات العربية هو التحرر من النموذجين معاً – أعنى المرجعتين – التحرر من سلطتهما «السلفية» سلطتهما «المرجعية»، ذلك ما أكدناه في خاتمة «الخطاب العربى المعاصر» ونؤكدة هنا من جديد.

(الجابرى ٨٥:٥٦٧)

إن ما يتحدث عنه ويؤكده د.الجابرى بصورة جلية هو «التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين» «السلفى» و«الاوروبى» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخى التام للذات العربية وهذه المقولة مقولة هامة تعبر عن الامل فى التجرد والموضوعية وعدم سجن الذات فى نموذج بعينة . وهذا مفهوم .. إلا ان هذه المقولة تحمل فى طياتها ايضاً ظلالاً قوية لنمط الاستغراق فى المثالية التى تبتعد بنا عن الواقع المعاش وتجسد مفهوم «الاطلاقية» ، حيث أن التحرر التام من أى نموذج أو فكرة أمر طوباوى أكثر منه أمر علمى يشهد على عدم حدوثه وقائع التفاعلات الحوارية العلمية ، ووقائع التاريخ .

إن مقولة د.الجابرى بخصوص أمر الاستقلال التاريخى للذات العربية في عالم تتشابك مصالحة وتحركاته يدعونا إلى تأمل مقولة عالم السياسة المعروف كارل دويتش حينما يتعرض للواقع الأمريكى الذى ينبغى وأن نتأملة كمجردخبرة إنسانية انبثقت من خلال التفاعل فى اطار سلطات نماذج مختلفة تمثلت فى مهاجرين من انحاء العالم . فبعيداً عن هاجس التبعية نستشهد بهذه المقولة لكارل دويتش الذي يقول . «إن الاستقلال شيء نسبى، فنحن الأمريكيون نعتمد على العالم الأخر بطريقة كبيرة والجميع يعلم ان العلم والتكنولوجيا والطب هى موضوعات «دولية» ولكن القليل هم الذين تأملوا ... وماذا يعنى هذا؟ .. إن الأمر يعنى وببساطة إنه لايوجد شعب في العالم قد وصل إلى ماوصل إليه من تقدم تكنولوجى ورخاء، دون الإستعانة بالعالم الخارجى وإسهاماته، ويضيف قائلاً ... إن عالم الطبيعة كارلوت يذكرنا بأن هناك ثلاثة إكتشافات إمريكية من الـ ١٢ إكتشاف الرئيسية التى سمحت بإنتاج الطاقة الذرية ... إننا نفخر بأننا نشكل ١/١٨ من سكان العالم وبإننا قد أسهمنا بالربع في هذا الأمر... ولكن هذا أيضاً يجعلنا نتأمل الحقيقة القائلة بأن الامر قد جاء من بلاد العالم الآخرى (دويتش ١٩٦٦) .

إن أمر الإستقلال التاريخى التام» في عالم اليوم هو بمثابة استمرار «الحلم

العربـى» المجرد والـراهن والـذى يخرج عن نطـاق نواميـس أحلام البشريـة المختلفـة في عالم اليـوم وخـاصة الحلمين، « اليـابـانـى» و«الألمانى»...فهـذه «الأحلام» الأخيرة تحولت إلى واقع بينما كان الشعبين الالمانـى واليابانى تحت تأثير هيمنـة سلطة نماذج المنتصرين بطـريقة أو بـأخرى . كذلـك فإن تجارب دول مثـل ماليـزيـا وكـوريا والهنـد .. تـؤكـد أن هذه الشعـوب لم تنشغـل بالإستغـراق الفلسفى المجـرد والإطلاقية المثـالية وإنما انـدمجت مع الـواقع والتجربة العلمية المعاشة بكل تعقيداتها فلقد تفهمت هذه الثقافات واستوعبت جيداً قـواعد اللعبة الـدولية وايقنت إن ملاعـب التحرك قد اتسعـت وإن هناك حيثيات قد أصبحت حقيقة واقعة على السـاحة، ومنها حيثية "الاختراق" فلقد اصبح عالم اليوم على اتساعاه وتفـاوته لايخلو من عمليات الاختراق المتبادل» (Interpentration) إن هذه الثقافـات لم تتخل عن المفاهيم الرئيسيـة التى تمثل قوامها الحضارى .. ولم تنشغل بما قد يسمى «بالإستقلال التاريخى التام» أو المطلق لذاتها» . وبالتالى تتعامل مع ذلك الاختراق الذى تتعرض له بايجابية بعد ان اصبحت تسير على طريق امتلاك مقـومات الاختراق المضـاد ، ان لم يكن ذلك الاختراق المضاد قد اصبح حقيقة فى اسواق اوروبا وامريكا .

**** النمط الثالث عشر :حوارات تبديل المواقف بسرعة وإنفعالية حادة :**

لاشك ان هناك أمثلة من التفاعـلات الحوارية الإجتماعية اليومية في العالم العربى التى توضح بجلاء نمط تبديل المواقف من موقف إلى أخر وربما يكون نقيضـه الحاد وفي سرعة غـريبـة وبإنفعـالية . ولاشـك أن حجـم التفاعـلات السياسيـة خاصة اثنـاء أزمة الخليج لها الحجـم الأوفر في هذا الصـدد . ولقد لاحظ السيد يسن في مقاله «المثقفون العـرب في مواجهة أزمة الخليج» (الاهرام ٨/٣/١٩٩١) . مايوحى بتأصل هذه السمة فى خطاب المثقفين حين ذكر :

- وسمة أخرى تتمثل في التبعية المطلقة لبعض المثقفين لمواقف السلطة، سواء كانت السلطة العراقية، أم السلطة الكويتية أم السلطة السعودية (وينطبق ذلك على تبعية بعضهم للسلطة المصرية أو السورية) **وخطورة هذا الموقف أن يتحول المثقف إلى مجرد مبرر لمواقف السلطة، وهو لذلك مستعد لتغيير موقفه إذا ماغيرت السلطة موقفها.** فالمثقفون الذين ايدوا العراق في غزوه للكويت ثم في ضمها بعد ذلك للعراق وابتدعوا النظريات المختلفة لتبرير هذا الضم. سواء في حديثهم عن أولوية الوحدة العربية ولو تم تحقيها بالقوة العسكرية، أو في تعرضهم لهشاشة الدولة الكويتية، أو في اشارتهم لقضية الحق التاريخى، هم أنفسهم الذين ايدوا العراق في مبادرته السليمة، والتى جوهرها الإنسحاب من الكويت، ولدى هؤلاء البعض موقف السلطة- أيا كان ومهما تغير- هو الصحيح» (أى مهما تطلب الأمر من تبديل للمواقف).

ومن عينات البيانات التى تلقى بالضوء على نمط « تبديل المواقف » كنمط متكرر فى تفاعلات النخبة نجد مقال فيليب جلاب بالاهرام بتاريخ ١٩٩١/٣/١٤ بعنوان «عن الحرب والغزو والتواطؤ» والذى يتحاور فيه مع د.فؤاد زكريا بخصوص تفاعلات أزمة الخليج وما تمخض عنها ويركز في مقولته على ما يلقى بالضوء على هذا النمط.ويتضمن ملحق الدراسة نص هذا المقال (ص ٢٥٩).

وإذا كانت هذه العينات تمثل التفاعلات السياسية الخاصة بهذا النمط فأود أن ألفت نظر القارئ إلى مضمون عينة من بنك بيانات هذه الدراسة تجسد مدى تأصل هذا النمط السلبي من التفاعل في مجتمعنا.. وهو ما أورده ـ وبطرافة عميقة ـ محسن محمد في جريدة الأخبار بعنوان «**متى نلعن الجوهرى**»حيث يقول :

متى نلعن الجوهرى ؟

دخلنا التصفيات النهائية لكأس العالم في روما فأعلنا على رءوس الاشهاد أن الفضل لا للاعبين بل لمدرب الفريق الكابتن محمود الجوهرى ونشرنا العرائض والقصائد في مدحه وإعتبرناه منقذ الكرة المصرية الذى سيجعلنا نفوز ببطولة الكأس . وهزمتنا انجلترا في الكأس بهدف يتيم فأخذ اللاعبون من أعضاء الفريق الذين حرمهم الجوهرى من الإشتراك في المباراة يقسمون ويؤكدون أن العلاقات الشخصية السيئة بينهم وبين الجوهرى هى التى أملت عليه ابعادهم !

وتطوعت أجهزة رقابية، لانعرف إلى من تنتمى، تتهم الجوهرى بأنه افرط في إستخدام المال العام، وإن مصروفات الفريق كانت أكثر مما ينبغى في دولة نامية.

ولم يرسل الجوهرى إلى روما فريق التصفيق للفريق المصرى، ولكن هذا لم يمنعنا

مـن إتهام الجوهرى بـأنــه كـان يحتاج إلى مـن يهتـف لـه ولفـريقـه في رومـا لتشـجيعهـم على الهزيمة!

وعنـدمـا لم نحقـق نصرا في اثينـا امسكنـا بخناق الجوهـرى في اثينا وأخـذنا نلـومه بـأثر رجعى وعزلناه من تدريب الفريق.

بإختصار «بهدلناه»!

وجـاءت الـدورة الافـريقيـة لنهـزم في التصفيـات الأولى في كـرة القـدم. وكـان مـن الطبيعى أن نلقى اللـوم هذه المرة على إتحاد كرة القدم الذى سبق له إتهام الجوهرى والتشهير به فاصدرنا قراراً بحل الاتحاد.

وتذكرنا فجأة الجوهـرى المظلوم. وتذكرنا ايضـا اننا لم نمنحه وساما على جهده في وصول فريقنـا إلى كأس العالم. حـدث ذلك كلـه قبل ان تنتهى الدورة الافريقية لتعـرف افريقيا كلها ان الحسم والحزم طـابع حياتنـا الكرويـة قبل أى شـىء اخر في الحياة!

ومن المؤكد أننا سننتصر في مباريات قادمة. وسنهزم في مباريات أخرى.

وسيتذكر بعضنا ان الجوهرى هو المسئول. وسنلعنه مرة أخرى. وربما نسحب منه الوسام وربما نقدمه إلى المدعى الإشتراكى!

..... مبروك مؤقتاً للجوهرى حتى يجىء الوقت المناسب لنلعنه.

النمط الرابع عشر : حوارات "التحفيز الانفعالى" :

يعد هذا النمط شكل من أشكال الإنفعـالية الحادة التى تبتعد عن الاسلوب الهادئ في الحوار وهو شـىءمفتقد فى كثير من تفاعـلاتنا فإذا كان هـذا الامر متوقع الحدوث من قبل العامة التـى تحتاج إلى جهد لمعالجة هذه السلبية إلا أن هذا الأمر لايكون محتملاً إذا كان هـو أسلوب من يفترض فيهم أنهم أعضـاء في النخبة العربية والأمثلة كثيرة بغض النظر عن طبيعة الموضـوع .

ولعل في مقـال بقلم الاستـاذ المستشار محمـد أبو علـم ما يـوضـح ذلـك (الاخبار ٢٠/٢/١٩٩١) والمقال بعنوان «**جهنم بعده لـن تطلب المزيد !!**» ويتحدث الكاتب عن صدام حسين .. بلغـة توضـحها المقتطفات التالية " **اقتلوه ولاترحموه**... اذبحوه واشربوا من دمه " .... «**اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بماضية** ..... فسـوف يرقـص العالم كلـه لمقتلـه» ... " اقتلوا صـدام واسحلوه ولاتـرحموه ... " «أما صدام مسحـولاً في الشوارع فسوف تـرقص البشرية كلهـا فرحـاً به ...» «أضربـوه الان قبل غـد.... اضربوا هـذا الوحـش المجنون الذى فقـد عقله **ويلتف حولـه شرزمة من الجبناء والمنـاجيس .... لاتتوقفوا عن قتله في شهر شعبان وشهـر رمضـان فإن ذبح صدام واجب حتى في الأشهر الحرام**».... (انظر إلى النص الكامـل للمقال بالملحق ص ٢٤٣ هذا الذى يبدو وإنه يمثل قطاع لابأس به لتفاعلات البعض من اعضـاء النخبة . التى انساقت لهاوية نعمة الالفاظ الحادة والتحفيز الانفعالى .

النمـط الخامـس عشر حـوارات : الاذعـان واستراتيجيـات «الدونية» :

ويتجسد نمـط الاذعان والاستجداء العاطفـي من خلال توظيـف ما اسميه " باستراتيجيات الدونية فى الحواروالمقصود بذلك هو اظهار طرف من اطراف الحوار للمتحاور معه دونيته أو قلة حيلته وعدم توافر الندية

تجاه . وأهم استراتيجيات الدوينة في الحوار هي :

(أ) المبالغة فى استخدام القاب التخاطب .

(ب) الاستغراق فى الاستشهاد ببعض الامثلة التى تجسد نمط الاذعان والاستجداء العاطفي .

(أ) المبالغة فى استخدام القاب التخاطب :

في ثقافتنا العديد من القاب التخاطب الاجتماعية التى يطلقها اطراف الحوار على بعضهم البعض أو على من هم اعلى سلطة ومن امثلة ذلك «سمو الامير وجلالة الملك ... وفخامة الرئيس ، (والركن المهيب والقائد الميمون) وفضيلة الشيخ، وسماحة البابا ومعالى الباشا، وحضرة الافندى، وسعادة البيك ، .. إلى اخره .. هذا غير مايرد فى العامية من كم هائل آخر من القاب التخاطب . ان هذه التعبيرات فى اساسها هى تعبيرات ايجابية تدل على احترام الاخر فى المقام الاول ولكن المشكلة هى الاسهاب فى استخدام مجموعة من هذه الالقاب فى كبسولة واحدة لمخاطبة السلطة الاعلى فى احيان كثيرة مع خضوع فى نغمة الصوت بصورة مبالغ فيها الامر الذى يمثل صورة من صور الاذعان التام وتهيب السلطة سواء السلطة السياسية أو سلطة السياق والمقصود هنا هو المبالغة فى استخدام القاب التخاطب لمن له سلطة فى سياق ما .. كسياق حوار الطالب للأستاذ والمذيع أو الصحفى ومن يستضيفه فى حوار حيث يؤكد طرف ما الدونية تجاه الطرف الاخر ولايكون هناك ادنى مبرر لذلك . لقد شاهدت عينات من هذه النوعية من الحوارات التى لاينتج عنها بطبيعة الحال الاحترام المتكافىء بين اطراف الحوار بسبب مبالغة احد الاطراف فى تأكيد دونيته للطرف الاخر من خلال توظيف استرتيجيات الدونية فى الحوار سواء كانت من خلال توظيف القاب التخاطب أو غير ذلك من استرتيجيات الدونية الامر الذى يؤدى فى النهاية إلى جور على مفهوم عزة

النفس ومفهوم المساواة والتكافؤ فى الحوار كمبدأ هام فى عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة وفى الحوار عبر الثقافات بكل تأكيد .

(ب) الاستغراق فى الاستشهاد ببعض الامثلة العامية :

ولعل فى العديد من الامثلة الشعبية مايلقى بالضوء على صورة أخرى من صور الاذعان وهنا اود ان استشهد بالمقولة التالية للاستاذ محمد ابراهيم ابسنة فى كتابه « **فلسفة المثل الشعبى**» والتى كانت تقديما لبعض الامثلة من هذه النوعية . يقول الاستاذ أبو سنة :

> بعد اجتماع كل ظروف القهر الماضية بالاضافة إلى وجود الاستعمار فى المراحل المتأخرة من تاريخنا ، وأخص المراحل الحديثة لأنه كان الاستعمار الذى ركز اهتمامه حول اقتلاع ثقتنا من أنفسنا ومازلنا نعانى أزمة الثقة هذه حتى الأن بين شتى مستويات الثقافة والمجتمع ، فالاستعمار قد قام بمزاولة عمله التخريبى فى جبهتين : الجبهة الأولى هى تحطيم اقتصادنا أيام اسماعيل وخنق الروح الثورية أيام عرابى وتفتيت كل المحاولات للنهوض بأية امكانيات ما لخلق وضع آخر . والجبهة الثانية هى ضغط الروح المعنوية وتقويمها بالمفاهيم الرجعية وتأسيس وتشجيع المؤسسات الرجعية المنهزمة . والحقيقة أن انتشار هذا التخريب المعنوى فى صفوفنا وثقافتنا ومدارسنا بحيث انعكس فى كل مناحى حياتنا ليبسر علينا فهم ظهور الروح الانهزامية . وأحب أن نكون واقعيين ونقبل الأحكام التى يصدرها التاريخ كما أنى لا أريد لمعنى الاطلاق ان يحيط بهذه الكلمة «الانهزامية»، فالفتور الذى يعترى نضال الشعوب لايمكن ان يستمر ، لأن التاريخ فى زحفه المرير على سواعد

الجموع الكادحة لا يؤمن بالجمود والتوقف .

وكان لانتشار هذه الروح داخل فلسفة شعبنا أثر فعال فى خلق وجهة نظر غير سليمة أوحت دائما بأحكام سلبية ورجعية ومتسامحة ، ونحن لاندهش كثيرا اذا كان مثلنا الشعبى لم يرتفع إلى مستوى المقاومة الحقيقية الا فى مراحل حديثة جدا من تاريخنا ، ذلك لأن الأدب المكتوب نفسه كان يعانى هبوطا ومرضا وسطحية لازمته إلى مطالع القرن العشرين ، ولذا اذا وضعنا أذهاننا واعية تحت ظروف القهر الماضية لانجد غرابة عندما نسمع مثلا :

- « اللى يجوز أمى أقوله ياعمى » ، « ارقص للقرد فى دولته»، « أقل عيشه أحسن من الموت ».

« اللى ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون » ، « ان انهدم بيت أخوك خدلك منه قالب » ، « ان كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى »، « اللى يبص لفوق توجعه رقبته »، ولكن يقاوم ايضا فى روعة نادرة :

« اللى مايقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار » .

(ابرهيم أبو سنة ١٩٦٨ : ١٨ ، ١٩)

وعن « خطاب الاذعان» نستشهد هنا بمقولة د. شرابى الذى يصف الانسان العربى

« بأنه ينزع دائماً إلى الاعتقاد بالاستمرارية الطبيعية والمجتمع ولا يؤمن بقدرة الانسان على تحقيق التحولات فى واقعة وبيئته الاجتماعية ، كذلك فإن الانسان العربى فى صميمه انسان عاطفى مستسلم للطبيعة والسلطة الخارجية ولايرغب بمقاومتها وهو لذلك سلبى وخنوع للسلطة السياسية

والسلطة الابوية ويـؤمن بالمعجزات وغير قادر على التصدى لمشكـلاته بمنهج عقلانى ».

(شرابى ١٩٨١ : ١٢٨)

ورغم العمومية الاطلاقية التى اتســم بها اسلوب د. شرابى فى هذه المقولة والتى نختلف معه بشأنها إلا إن مايتحدث عنـه يمثل قطاع له وجوده الحقيقى على ساحة تفاعلاتنا الاجتماعية والسياسية .

واذا انتقلنا الان إلى عينــات تفاعلات مـابعد ازمة الخليــج ١٩٩٠ الحديثة للغاية لـوجدنا ما يلقى بـالضوء على " نمط الاذعان وتهيـب السلطة " فى مقال للاستاذ وجيه أبو ذكرى بجـريدة الاخبار ١٣/١٢/١٩٩١ بعنوان «إلى زعيم العالم الجديد : رفقـاً برعاياك !! ولاننـا نعرف ان وجيه أبو ذكـرى من الكُتاب الذين يتسمـون بالجرأة وعدم المهادنة فى المطـالبة بالحقوق فهـو اول من اثار قضية النعـوش المصرية الطـائرة التى كـانت تحوى جثـث العاملين المصريين بالعـراق والتى كانت تصـل فى «صمت رهيب» فى وقـت كانت فيه العـلاقة بين الحكومتين المصريـة والعراقية فى أحسن حـالاتها وهو الذى تصدى للمطـالبة بحقوق المصريين فى دول الخليج وهــو الذى انتقد بموضوعية عـدة ممارسات للحكومـة المصرية .. مـن هنا وفى ظل هـذا السياق الاشمـل وبعد قـراءة المقال المشار إليـه اعلاه نلاحظ ان المرامــى الاقناعية للكـاتب ترجح نغمـة التهكم إلى ماوصـل إليه حـال خطاب الاذعـان فى الوطن العـربى مـن ناحيـة والتصدى باسلوب حـاول الكاتب ان يكون فيه ســاخراً لاساءة استخدام سلطـة «زعامة العالم الجديد » من قبل الولايات المتحدة مـن ناحية أخرى .والمقال يمثل واحداً من المقالات المصرية التى شاركـت فى محاولة امتصاص أى رد فعل متهور من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ضد ليبيا ولقد اورد الكاتب فى هذا المقال حشد مكثف مـن مفردات واستراتيجيات الاذعان والـدونيةوالتي تجسدت المبـالغة فيها استخدام القاب التخـاطب من ناحية مثل « زعيــم العالم الجديد » ، «زعيم

هذا العالم بلا منازع ولا منافس ولا اعتراض » مع تكرار ملحوظ لهذه الالقاب . كذلك استخدم الكاتب اساليب « التصغير المعنوي » من ناحية أخرى مثل «رفقًا برعاياك .. » ، « إن ليبيا العظمى .. دولة صغيرة » .. ولقد زاد من تعظيم توظيف استراتيجيات الدونية استخدام التعظيم المعنوي للطرف المخاطب وهو الرئيس بوش الذي وُصف بأنه « رجل مؤمن ومثقف ودقيق » هذا بالاضافة إلى تقرير مصادر قوة الطرف المتحاور معه (بوش) مثل « اراك تسعد بالركوع والسجود لك وامامك من رعاياك في محرابك .. فكم أنت سعيد بأن سفاح بغداد يقف ساجدًا امامك كما الارنب ورئيس روسيا يقدم لك تقريرًا عن تحركاته ، وتطلب من اليابانيين اعتذاراً عن بيرك هاربر ، ويسعدك تصريحات العقيد القذافي للأستاذ أبراهيم نافع حيث أشاد بك ورغم ذلك لا تصفح ولا ترضى » وفيما يلي نص المقال .

إلى زعيم العالم الجديد :

رفقا برعاياك !!

إلى الرئيس الامريكي جورج بوش :

مما لاشك فيه أنك اصبحت زعيم هذا الكوكب، بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتى ، وتحوله إلى دول ودويلات ، وعلى سكان هذا الكوكب ان يعلموا انه لايوجد محاور ، ولا خنادق، بل اصبحت شعوب هذا العالم تحت قيادة مايسمى بالعالم الجديد أى عالم بقيادة الولايات المتحدة ، والتى انت رئيسها ، إذن .. فانت زعيم هذا العالم الجديد بلا منازع ولامنافس ولا اعتراض !!

و« الزعيم » يختلف كثيرا عن «الديكتاتور»..
فالأول يعمل لتسود العدالة منطقة نفوذه ،
ويعطى كل لذى حق حقه ، والثاني يعمل وفقا
لهواه وعواطفه ، فيسود الظلم منطقة نفوذه
ويتصوره عدلا ، ويعطى من لا حق له ، ويأخذ
الحق من صاحب الحق .

* * *

الرئيس جورج بوش .

لقد جاءتك فرصة تاريخية ، فرصة أن
ترسى قواعد العدل فى هذا المجتمع الجديد ، وأن
تسمو بسلوكك فوق الجراح ، و«تصفيه
الحساب» ونبش الماضى ، فأنت زعيم عالم
تصفه بأنه جديد .. وأقول زعيما وليس
ديكتاتورا.

نعم .. ولكن للأسف الشديد ، فإنك تنبش فى
الماضى ، وتعمل على تصفية حسابات قديمة ،
وتتصرف فى هذه القضية بالذات كديكتاتور
للعالم « الجديد » .

مثلا .. مسألة أزمة الطائرة الأمريكية ..
والتهديد بضرب ليبيا على اعتبار أنها مسئولة
عن تفجير الطائرتين المدنيتين الفرنسية
والأمريكية .

وفي البـدايـة لا أعتقـد أن هنـاك ــ على هذا الكوكب – انسـانا عاقلا يقر تفجير طائرة مدنية ، بـداخلهـا اطفال وشيـوخ ، ونسـاء ورجـال لم يـرتكبوا جـريمـة ، فيلقـون مصرعهم فى عمـل ارهابى خسيس ووضيع وحقير . ولايقدم عليه إلا ارهابـى مجنون لا أحد على الاطلاق يقـر هذا العمل الارهابى القذر .

ولكن..

هل لديك مايؤكـد أن ليبيا هى المتورطة ؟ فى هذا العمـل الخسيس ، وانتهـت إلى أن ليبيا هـى المتورطـة ؟ .. واذا كان الامر كـذلك ، فـأى ليبيا التـى تورطـت ؟ .. ليبيا المعـارضة ؟ .. أم ليبيـا الشعب؟.. أم ليبيـا النظام ؟ .. أم مسئـول داخل النظام ؟ ..

واعتقد – **يازعيم العالم الجديد** – لم تصل بعد إلى اجـابة على أى سؤال من هـذه الاسئلة .. **اذن يازعيم العالم الجديد** – اذا أقدمـت – على أى خطوة تجاه ليبيـا دون الاجابـة على الاسئلة السابقة ، فـانك بذلك تكن قـد ظلمت ، وتحولت من زعيم إلى ديكتاتور لهذا العالم الجديد .

ان كاتـب هذه السطـور ، كان لـديه عشرات الملاحظـات على السياســة الليبيـة ، وظلت هـذه الملاحظـات كعقيدة راسخـة فى الـوجدان ومـن الصعب ان تخرج من وجدانى ، ولكن العواطف

الخاصة شيء ، وماتدبره الولايات المتحدة ضد الشعب الليبى شيئا آخر .

الرئيس الأمريكى بوش .

فى حديثه للأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير « الأهرام » قال العقيد معمر القذافى كلاما جديدا ، كلاما لم يقله من قبل ، قال :

**** قلت علنا من قبل ان بوش شخصية ، وأعتقد انه رجل مثقف ، وهو مجرد ولايعانى من عقدة ما ، بوش خال من العقد، وشخص مجرد فى الحقيقة ، وسياسى محنك .. ان بوش رجل دقيق ولايعمل شيئا دون دراسة ويعرف نتائجها أولا .**

**** بيكر شخصية متزنة حقيقة** وأنا مطمئن على وزارة الخارجية الامريكية يقودها شخص عاقل حقيقة ، وشخص متزن ويعجبنى انه من وزراء الخارجية المتازين **ويليق ان يكون وزير خارجية لامريكا حقيقة.**

**** وقال العقيد القذافى عن الجماهيرية الليبية الشعبية الديمقراطية العظمى أن ليبيا دولة صغيرة وأمريكا دولة كبرى لانعاديها ولاينبغى أن تفاخر الولايات المتحدة بمعاداة دولة صغيرة مثل ليبيا .**

الرئيس الامريكى جورج بوش **زعيم العالم الجديد** ، أعلم انك **رجل مؤمن ، وانك ترفض ان يركع احد لغير الله** ، ولكنى اراك تسعد بالركوع والسجود لك وامامك من رعاياك فى محرابك ، فكم انت سعيد بان سفاح بغداد يقف

ساجدا امامك كما الارنب، ورئيس روسيا يقدم
لك تقريـرا عن تحركاته ، وتطلب مـن اليابانيين
اعتذارا عـن بيرل هاربـر ، ويسعدك تصريحات
العقيد القذافى للاستاذ ابراهيـم نافع حيث اشاد
بك ورغم ذلك لاتصفح ولاترضى !!!

اقول لك – مستر بوش – رفقا برعاياك !!

**** النمط السادس عشر :حوارات الاستبداد والتسلط**

وهـذا النمط هـو نمط «لاحـوارى» اساسـاً بمعنـى انه نمـط يتبناه ذلـك المتحـاور المقرر لـلامـور بتعسف وبـدون نقـاش وتجاذب لاطراف الحديـث بخصوص امر ما . ويـرتبط هذا النمط بإساءة استخدام سلطة مـابصفة عامة ويرتبط كذلك بتركيبة الشخصية الاستبـدادية المهيمنة على كثير من تفاعلاتنا والتى يكون حوارها أو عدمـه اما تعبيراً مقتضباً مجسداً لاستغلالها لسلطات حقيقية ممنوحة لها بحكم الوظيفة أو السياق أو يكون حوارها مجرد انعكاس لذلك الارث الموروث نتيجـة تأصل ظاهرة الاستبـداد فى الحوار والتى عمقتها حقبة غياب الديمقـراطية مع وجود نظام تعليم تلقينى جامـد كان اثره الاعظم هـو تلقين وشحـن اعداد كبيرة مـن العقـول ، التـى لم تتحرك خـارج نطـاق منظومـاته ، بمقـولات تصنيفية جامـدة اتسمت بالهجـاء الاجوف واطـلاقية ينقصها التناسق والاتساق ووحدة الفكر . وامثلـة النتائج الوخيمة لهيمنة هذا النمط على تفـاعلات ازمة الخليـج واضـحة .. فهيمنـة نمط الاستبداد هـذا من الأسباب الـرئيسية التى أدت إلى كـارثة الخليج .. فهذا الغـزو العراقى لـدولة عـربية أخـرى مـاكـان يجرؤ أن يفكر فى القيـام بـه سـوى نظام استبـدادى ديكتاتورى . ولقد هيمن هذا النمط الاستبـدادى على تفاعلات الطرف العـراقى اثناء ادارتـه للازمـة وكان السبب الـرئيسى فى فشل كـل المحاولات لاقنـاعه بالتراجع حتى مع حفظ ماء الوجه الذى كان مكفولاً له عند بداية الازمة ، الامر الذى كـان بلا شـك ممكنا وكان مـن شأنه ان يحافـظ على قوة العـراق وقوة

الكويت كرصيد كبير للقوة العربية . ومــا اكثر الامثلة التى لاتزال تنهمر علينا من الواقع التفاعلي العربى .

لقد كــان لطغيان نمط الاستبداد والتسلــط أثره البالــغ بطبيعة الحال على تعميق انماط حوارية اخرى مصاحبة له أولها نمط **الاذعان للسلطة بانواعها** وهو النمط الذى تعرضنــا له (النمط الخامس عشر) ونمط **التصنيف المتسرع للنصوص وللمتحاور** الاخر ايآ كان . ويرتبــط بنمط الاستبداد نمط إحتكار الحقيقة فمنــا من يحتكــر العلم والمعرفــة ومنا من يحتكــر القوميــة والصمود والتصدى ومنا مــن يحتكر الاسلام لقد تنــاول كاتب هذه السطــور هذا النمط بالتحليل في سياقين رئيسيين ، الأول هو سياق المفــاوضـات السياسية الدولية [من منظــورى النُظم وشخصيــات الفاعليــة السياسيين] والتــي كان العــرب اطرافا بها في أطروحته للدكتوراة (حســن ـ وجيه ١٩٨٩ انظر المراجع باللغة الانجليــزية) أمــا السيــاق الثاني فهــو في اطــار التحــاور بخصوص العمليــة التعليمية انظــر لنص مقــال « ديمقراطيــة التعليم ولغــة الحوار » لكاتــب هذه السطــور في ملحق هــذه الــدراســة ص ٢٢٥(الأهرام الاقتصــادي ٤ / ١١ / ١٩٩١) . ان امر دراســة تنوعــات واشكال نمــط الاستبداد / التسلــط.. هذا النمــط «الاب» لــلانماط التــى تشكــل اكثـــر سلبيــات التفــاوض الاجتماعــى والسياســى فى المجتمع العــربى لا يــزال بحاجــة إلى دراسة خــاصة متعمقــة سيكون لـها سياق تفصيلى آخر .

**** النمط السابع عشر : حوارات «الغفران العام»**

المقصود بهذا النمــط هو كل هذه التفــاعلات التى نرى مــن خلالها تقصـير واخطاء جسيمة بــل وجرائم – لايمكــن السكوت عنهــا فى أى مجتمع تســوده القــوانين – تمر دون حساب أو اكتراث ونــرى هــذه النوعيــة مــن التفاعــلات تتجسد فى كافة اوجه حياتنا الاجتماعيــة والسياسية الامر الذى لايزال يسبب الاستياء والاحباط لــدى الكثيرين . واود أن استشــهد فى هذا السيــاق بمقالتين

من بنـك بيانات هـذه الدراسة . وهاتـان المقالتان تلقيـان بالضوء على تـأصل ورسوخ هـذا النمط . المقالـة الاولى تجسد بعض تفاعـلاتنا اثناء ازمـة الخليج للأستاذة سناء ابو الفتح بعنـوان « أزمة وتعدى » بجريدة الاخبار ٢١ / ١ / ١٩٩١ (انظـر النـص الكامـل للمقال بملحـق الدراسـة ص ٢٤٦) والثانيـة للأستاذ رجب البنا بعنوان «عـرب ١٩٩٢» وتجسد طبيعة هذا النمط الذى زاد تأصلـه فى تفاعلات مـا بعد الازمة . وفيما يلى نص مقـالة الاستاذ رجـب البنا (الأهرام ٢٢ / ١٢ / ٩١) والتـي تتضمن نقدًا لهيمنـة ما اسمينـاه بحوارات «الغفران العام » والتي تسود التفاعلات العـربية حيث توحى الانظمة الحاكمة بان كافـة الأمور ـ رغم المصائب والكـوارث المتوالية ـ على مـا يرام والحمد لله بفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي !!

عرب ١٩٩٢

آخر قرار اصدره الرئيس العراقـى صدام حسين يقضى باعتبار مسابقات كرة القدم بين أندية العراق هذا العام بطولة ذات طابع قومى ، واطلاق اسم «ام المعارك » عليها ، وأقـامتها سنويا تخليـدا لذكرى حرب الخليـج ، وتخصيص ١٥٠ ألف دينار عـراقى للفريق الفائز بـالبطولة فيها .. وقد حـرصت وكالات الأنباء على أبراز تصريح نشرتـه صحيفة « البعث » الناطقة باسـم حزب البعث الحاكـم قال فيـه عدى ابـن الرئيـس صدام ورئيـس المجلس الأعلى للشبـاب والرياضة هنـاك بأنه قد تقرر بناء ستاد جـديد فى بغداد يتسع لمائة وخمسين ألف مشاهد ..!

لم تبـد الوكـالات اهتمامها بهذا الخبر كنـوع مـن التسلية أو التسريـة على القراء، ولكنها اختارت بعناية نموذجا يمثل التفكير القائم الان بعد كل ما جرى من حرب ودمار وما تتناقله البعثات الرسمية والتقارير من جوع يقتل الرجال والأطفال ونقص فى الأدوية الضرورية بينما الحاكم مازال يفكر بنفس الطريقة

التى كان يفكر بها قبل وقوع الكارثة وكأن شيئا لم يحدث ، ليس لأنه يعيش فى غيبوبـة ، ولكن لانه يـريد أن يفرض على شعبـه استمرار الغيبوبـة ، ولعل فى الخبر ما يكفى لبناء تصور عن حالـة العرب عام ١٩٩٢ الذى يوشك على المجئ على أنه لم يكـون فيه جـديد ، فى ظـل الفلسفة السـائدة الآن فى العالم العـربي القائمة على تجاهل الواقع والتعامل مع الوهم ، فكل شىء يسير فى تصور أكثر النظـم الحاكمة على مـا يرام بحمـد الله ، وبفضل القيـادة الرشيـدة فى كل بلـد عربي.!

لقد تعجل المحللون ـ حتى قبل اندلاع عاصفة الصحراء ـ فتصوروا أن هذه الأزمة التى اهتزت لها الكرة الأرضية وتداعت آثارها على قارات العالم ومراكز القوة فيها وتحركت فيهـا جيوش من كل فج عميق ، واطلقـت متفجرات تفوق ضعف ما اطلق فى الحرب العـالمية الثانية) . سوف تغير حالة التـدهور العربى القائمـة وتدفـع إلى تغييرات أساسية داخـل كل دولة تحقـق فيها ديمقـراطية حقيقية (بعد أن ظهر أى مـدى يمكن أن تدفع نظم الحكم الفـردية شعوبها إلى الخراب) . كما تصوروا أن نظاما عـربيا جديدا سوف يولـد من المأساة ، وأن جامعة عربية جديدة سوف تظهر إلى الوجود ، وأن فكرا سياسيا واستراتيجيا جديدا سوف يسود العالم العربى يعطـى لهذا العالم الضائع كيانا فيه قدر من التماسك والقوة الفاعلة فيه ، ومن يتخلف عـن هذه اللحظة الفاصلة فلن يكون له نصيب بعد ذلك أبدا ..

لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وإنما حدث العكس ، فما كادت تنتمى عاصفة الصحراء حتـى أغلقت كـل دولة أبـوابها على نفسها ـــ أو كادت ـــ وظنت أنها أصبحت فى مأمـن . وزال شعور الخطر دون زوال دواعي، وسـاد شعور بأن الارتباط بالنظام الدولى الجديد يعنـى الاستسلام له كما يبدو الآن ، والتعامل معه مـن منطلق العـرفان والتفويـض ، دون تفكير دور يمكن أن يلعبـه العالم العربـى فى هذا النظام الـدولى الجديد الـذى لم يتم تشكيله بعـد، وإنما ظهرت

بداياته ، ومازال فى مرحلة التكوين ، بما فيها من انتهاء وجود الاتحاد السوفيتى بصورته القديمة ، وظهور أوربا الموحدة ١٩٩٢ ، وصعود اليابان من حالة الاكتفاء بالقوة الاقتصادية لتخطو نحو القوة السياسية ، بل والعسكرية ، وعلى المستوى الأقليمى تتحرك أيران وتركيا لاكتساب مواقع قوة جديدة سوف تكون مؤثرة ، وبشكل مباشر ، على العالم العربى ، وحالة غياب الوعى والتماسك فى العالم العربى تعطيهما فرصة نادرة لا تتكرر كثيرا .

قيل قبل اندلاع حرب الخليج أن دور الثروة العربية سوف يختلف ، فتتجه الأموال العربية إلى تنمية المنطقة العربية وتطويرها ، ومساعدتها على تجاوز الأزمات التى تطحنها ثم لكى تصبح بعد ذلك قوة اقتصادية معقولة ، وتتغلب على مشكلتى التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، وإن الأموال العربية سوف تتجه إلى حيث تتوافر فرص الاستثمار (المواد الأولية ـ الخبرة الفنية ـ العمالة المدربة ـ السوق) ومن خلال هذا التكامل سيصبح للعالم العربى كلمة ووزن ودور فى شئونه .

كل شىء توقعناه ـ وتمنيناه ـ حدث عكسه .. لأن العقلية العربية لم تتغير ، ولم تتغير عادات ومناهج التفكير ، ولا تغيرات القيادات أو حتى مساعديها ومستشاريها ـ ولا تغيرت وسائل مواجهة ومعالجة الموقف ، كل شىء بقى على حاله ، والأسوأ من ذلك ـ كما رصد الدكتور مصطفى الفقى فى محاضراته الأخيرة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ أن حرب الخليج نتج عنها انقسام فوق ما كان قائما من انقسامات .. انقسام بين التيار الإسلامى فى العالم العربى بين مؤيد لصدام حسين ومعارض له ومن يؤمن بامكان الحل الوسط.. وانقسام فى العلاقات الثنائية بين دول الخليج حول ترتيبات الأمن فيها وهل تشارك فيها إيران أم لا ، وإلى أى مدى تترك للولايات المتحدة؟ ووصل الانقسام حتى بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البلد العربى الواحد .

فإذا أضفنا إلى ذلك أثار أزمة الخليج على الشعوب العربية ـ اقتصاديا

وسياسيا وسيكولوجيا ، وآثار اختفاء قوة عسكرية عربية واثره فى موازين القوى الأقليمية . مهما يقال ـــ فقد كانت قوة العراق العسكرية توضع ضمن حسابت المنطقة وتوازناتها . و لم يعد أمام عرب ١٩٩٢ إلا أن يتمسكوا بطوق النجاة الاخير قبل أن يجرفهم الطوفان ، وطوق النجاة الأن ـــ على حد تعبير الدكتور مصطفى الفقى ـ هو « علاج متميز » لا يعتمد على الشعارات ، لأن الجماهير العربية لم تعد تؤمن بجدوى الشعارات ، ولكن لابد من جراحة ناجحة، لانتزاع المرارة التى ترسبت فى أعماق الشعوب العربية بعد أن كانت تقتصر على الحكام العرب فقط ، ولتكن البداية بإقامة حوار بين الجماهير العربية للخروج من الأزمات الراهنة واستعادة الثقة العربية ـــ العربية المفقودة.

واضيف : لابد أيضا من « عمل » سريع لاستعادة الثقة بالنفس المفقودة . أقول « عمل » لان استعادة الثقة لن تتم بمزيد من الكلام .!

فإن لم يفعل العرب ، ما تفرضه عليهم ضرورات هذه اللحظة التاريخية ، فليتبوأوا مقعدهم المناسب ، بين شراذم وبقايا البشر . وإن كان الأمل مازال قائما فى ألا يكون هذا هو المصير ، وإلا يكون عرب ١٩٩٢ هم عرب ١٩٩١ وعرب ١٩٩٠ .. الخ ! □

رجب البنا

الأهرام ٢٢ / ١٢ / ١٩٩١

**** النمط الثامن عشر : حوارات « صور كبش الفداء »**

المقصود بهذا النمط هو لجوء المتحاورين في قضية ما إلى قصر اشكالية ما أو محنة كبيرة على تصرفات وافعال شخص ما بعينة دون النظر إلى جذور الأشكالية أو النظر بشمولية للابعاد والأسباب الأخرى التي عادة لا تكون «شخصية كبش الفداء » هي السبب في وجودها أو استفحالها فقط . ويرتبط نمط هذه الحوارات بعدة أنماط سلبية أخرى كالتي سبقت الاشارة اليها وعلى

الأخص النمط رقم (١٧) الغفران العام / عدم الاكتراث) . فعدم الاكتراث هنا يكمن في استسهال أطراف الحوار في تحديد السبب في شخص ما بعينه . ولقد اتسمت نسبة كبيرة من تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠ بقصر كل محنة الخليج على تصرفات « صدام حسين » فعزت كل مصائب الأمة إلى هذا الشخص بعينه «فهو سبب كل المشاكل » ولم تحاول كثير من هذه المقولات النظر لهذا الشخص على أنه مجرد حالة « تألق غير عادى » لنمط الاستبداد الذي ينبغي وأن تُغالج كل صور وجوده المتعددة في مجتمعنا العربي بدلاً من انتهاج أسلوب «كبش الفداء بصوره المختلفة . وأود أن أشير هنا إلى مقال هام للكاتب الأستاذ أنيس منصور يلقي بالضوء على نمط حوارات « كبش الفداء » . وينتمى هذا المقال إلى تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة في مجتمعنا العربي . وفيما يلي نص هذا المقال.

لابد أن نشعر بالخجل ونحن نشير باصابع اليدين والرجلين نتهم وزير الرى المهندس عصام راضي بحجة أنه المسئول الأوحد عن انهيار جسر وغرق قرية ولم يمت احد .. لأنه هو الذي اقام الجسر بأظافره ، والذي نفخ في منسوب الماء فارتفع . ومن المؤكد أن هذه الكارثة سوف تتكرر غدا وبعد غد !

ماذا حدث لأي مسئول في مصر عندما انفجرت مواسير المياه في شوارع العاصمة وطفحت المجاري وتحولت الشوارع تحت أقدام السياح وفي أنوفهم إلى برك ومستنقعات .. ماذا أصاب أي مسئول عندما دخلت الكوليرا مصر وخرجت وكذلك الايدز والكبد الوبائي والحمى الشوكية .. وماذا أصاب أي مسئول عندما خرجت القطارات عن قضبانها واحترقت العنابر والمحاكم.. وماذا حدث لأي مسئول عندما اغتيل المحجوب ومن قبله السادات ومن قبله عشرات من الكبار والصغار .. وعندما انهارت العمارت .. وعندما انقطع التيار الكهربائي ألف مرة.. وارتفعت الأسعار واختفت السلع وظهرت السموم في السردين والزيت ..

وماذا اصاب أي إنسان بعد هـرب أصحاب شركات توظيف الأموال ؟

وماذا حدث لأي مسئول في مصر مـدنيين وعسكريين عندما انهزمت مصر سنة ١٩٦٧ ؟ !

ليس مـا حدث في العـامريـة بالشيء الـذي يجب أن نستهين به لأنـه سوف يتكرر.. ولكن وزير الري عصام راضي مهما كانت قدرته وحتى فصاحته (؟!)، لا يمكن أن يكون مسئولا شخصيا عن مليون كيلو متر من جسور النيل والترع والمصارف والبحيرات .. ولا هـو مسئول وحـده عن مليـار من شجيرات ورد النيل جاءت من السودان تشرب المياه وتخنق الأسماك وتعوق الملاحة : ولا هو مسئول إذا جنحت أحدى السفن السياحية وعليها مائة أمريكي وخمسون من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .. فانخفاض منسوب المياه وظهور الجزر في النيل ليس قرارا شخصيا .. ثم أن النيل ليس حمام سباحة غرقت فيه عصفوره أثناء نوم الخفير .. الوزير !

ما هي حدود مسئولية الوزير ؟ مـا هو الخطأ وما هو الصواب ؟ أن مصعد الوزارة مـن الممكن أن يقع بـالوزير ، وليـس مسئولا .. ومكتبه مـن الممكن أن يحترق وليس مسئولا . أن هذه الحملة الشاذة على الوزير أكبر دليل على تعطش الناس إلى (كبش فداء) لما لا نهاية له من الأخطاء والضيق العام والملل واليأس من أي اصلاح لأى شىء ! (مواقف الأهرام ١٨ / ١٢ / ١٩٩١).

واذ كان كاتب السطـور قد حاول من خلال هذا الفصـل ان يسلط الضوء على انماط الحوار السلبيـة الرئيسيـة فى التفـاعـلات الحوارية على المستـويين الاجتماعى والسياسى فى العالم العربى ، فإن هذه الانماط ذاتها تمثل سلبيات رئيسية بطبيعة الحال فى عملية اقامة وتفنيد الحجج والتى سوف نستعرضها بصورة اكثر تفصيلاً فى الفصل الخامس من هذه الدراسة .



الفصل الخامس
تحليل لملامح اقامة وتفنيد الحجج
وانماط اخرى من " خطايا الحوار التفاوضى " .

يقدم هذا الفصل دراسة للملامح العلمية لاقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض ، ويتبع ذلك امثلة توضيحية من تفاعلات الازمة وما اعقبها تجسد الانماط التفاعلية السلبية السابق ذكرها فى الفصل الرابع بالاضافة إلى عدد آخر من هذه الانماط السلبية التى تمثل انتهاكاً أو خللاً للقواعد العلمية لاقامة وتفنيد الحجج . ونتناول فى هذا الفصل النقاط التالية :

أولاً : علاقة دراسة الملامح العلمية لاقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض بدراسة بنية وتضاريس العقل العربى :

اختار الباحث دراسة ملامح واساليب اقامة الحجج Argument Feature Analysis كأحدى الادوات التحليلية التى تندرج تحت اطار منظور لغويات التفاوض والملائمة لدراسة تفاعلات النخبة حول ازمة الخليج للاسباب التالية:

(أ) ان هناك قدرًا ضخماً من التفاعلات حول الازمة من قبل النخبة يتمثل فى دحض وتفنيد الحجج المختلفة التى آثارتها تفاعلات اطراف ازمة الخليج إلى الحد الذى دفع عدد كبير من اعضاء النخبة إلى أن يتعامل مع تقنيات اقامة الحجج فى كتاباتهم ولكن بالحدس والمنطق البديهى . ولقد انعكس ذلك فى تكرار ضخم لتعبيرات بل وعناوين نسوق هنا بعضها على سبيل المثال انظر الحجج الادرنية (لسلامة أحمد سلامة ١٧ / ٩ / ١٩٩٠) « الحجج العراقية » أو أكاذيب

صدام (د. اسماعيل صبرى ٢٠/٨/١٩٩٠) « خلط الاوراق » (سعيد سنبل ٢٩/١/١٩٩١ ، « لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية » (لزكريا نيل ٨/٩/١٩٩٠) « هل صدام هو الذى ربط الغرب بأسرائيل » (د.عبد الوهاب المسيرى ٢٩/١/١٩٩١) كل هذه المقالات والتى يتضمن ملحق الدراسة لنصوصها (انظر الصفحات ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٥٦) توضح الطبيعة الجدلية التى صاحبت الأزمة الأمر الذى يدعو إلى دراسة ملاح الحجج لتوضيح معالم اقامة وتفنيد الحجج على نحو علمى .

(ب) ان دراسة ملامح الحجج لاعضاء النخبة العربية ليمثل اكثر الطرق العلمية ملائمة للاجابة على بعض الاسئلة الرئيسية لمشروع بحث تحليل مضمون الفكر العربى حول ازمة الخليج والتى طرحها د. سعد الدين ابراهيم والتى تهدف إلى استكشاف «الخلل فى بنية العقل العربى ومقولات الفكر العربى التى افرزها ، شكلاً ومضموناً ومحاولة تبين ملامح الشخصية العربية والسلوك العربى النخبوى والشعبى على السواء . فدراسة ملامح الحجج . تقدم لنا صورة لاساليب التفكير المنتهجة من قبل النخبة(Reasoning styles) وكذلك توضح بطبيعتها حجم أو قدر «الخلل» فى عملية اقامة الحجج "Fallacies" واتساقها فى سياق مقولة أو مقولات معينة لكاتب أو متحاور ما .

(جـ) ان اقامة الحجج والهدف من إقامة حجة ما فى سياق جدلى كسياق الازمة يمثل محاولة الكاتب أو المتحدث ان يستقطب الاخرين لوجهة نظره وكذلك هى محاولة لصياغة الرأى العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأى العام أو الاثنين معاً نحو اتجاه ما . ومن ثم فإن عملية تحليل ملامح الحجج تساعد على التعرف على الاساليب المختلفة الخاصة لصياغة الرأى العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأى العام أو الاثنين معاً نحو اتجاه ما . وهذا موضع دراسة تفصيلية قادمة لكاتب هذه السطور .

ثانياً : مدخل عام للمفاهيم العلمية الخاصة بتحليل عناصر اقامة وتفنيد الحجج :

أولاً المفاهيم :

* ماهى الحُجة ؟ وماهى عناصرها ؟

يقسم علماء اللغويات الاجتماعية المطارحات "Discourse" إلى أربعة انواع رئيسية من حيث اساليب التناول وهى :

(أ) **السرد**(Narration) : وتتمثل فى سرد احداث بترتيب متتالى من نقطة إلى أخرى وتكون نية الكاتب الاساسية هنا هى اخبار القارئ **بماذا** حدث .

(ب) **الوصف** Description : وهو محاولة الكاتب ترك انطباع مالدى القارئ تجاه شيئًا ما أو شخص ما أو مكان ما وبالتالى فاسلوب التناول هنا يتضمن اخبار القارئ أو المستمع بتفاصيل مايحدث به بطريقة اما ذاتية Subjective أو موضوعية Objective .

(جـ) **الشرح والتحليل** Exposition وهو محاولة شرح مفهوم ما أو تحديد تعريفه أو شرح عملية ذات طابع ذهنى أو فيزيقى وكذلك محاولة التعريف بالفرق بين شيئين ، أو شخصيتين أو مؤسستين وأوجه التشابه أو الاختلاف بينهما .

(د) **الحجج** Argumentation : ويختلف اسلوب التناول هنا عن الانواع الثلاثة المذكورة فبينما تتداخل هذه التصنيفات بطبيعة الحال الا ان الحجة تكون واضحة ومتميزة عندما يحاول الكاتب طرح مقولة يحاول أن يظهر تفوقها على مقولات اخرى ويحاول فى نفس الوقت اقناع الاخرين بها فى محاولة منه لتغيير نظرتهم لموضوع ما يكون محل جدل . وبمعنى اخر اذا كان الهدف من الثلاثة انواع الاولى هو عرض مجموعة من الاختيارات فان الحجة تهدف الى حث المتلقى لها على تبنى اختياراً واحدًا فقط .

وتتكون الحجة من ثلاثة عناصر رئيسية وثـلاثة عناصر فرعية وهذه العناصر هى :

(أ) « لب المقـولة الرئيسيـة « أو الادعاء» "Claim"ويعبر هذا العنصر عن الموقف الرئيسى الذى يتخذه كاتب أو متحدث ما فى سياق جدلى .واحياناً أخرى تسمـى المقولـة الرئيسيـة «بالخلاصـة» "Conclusion" ويـرتبط « بـالمقولـة الرئيسية» عنصر الدحض أو التفنيد المسبق"Rebuttal" وهذا العنصر يتجسد فى كافة التعبيرات أو المقولات التى توضـح حـرص الكاتب على ان تتضمن مقولته الرئيسية العنـاصر التى تدحض مقدمـاً هجوم أو اعتراضات متوقعـة من قبل الآخرين على «مقولتـه الرئيسية » .**وهذا العنُصر يستخـدم فى المقالات ذات الدقة العالية والتى تتسم بالنهج العلمى والموضوعى .**

(ب) « الارضية التى تستند اليها المقـولة الرئيسية »(Grounds) ويسميها البعض الاخر من علماء اللغـويات «البيانات» Data ومن شأن هـذا المكون أن يدعـم المقولـة الرئيسيـة (أو الادعاء). والاتيـان الجيد بهذا العنصر فى مقـولة الكاتب بمثابة قـوله (نعم هناك مايدعم المقولـة الرئيسية أو الادعاء» فى حجتى بخصوص الأمر) .

وهناك ثـلاثة انـواع من «البيانـات» أو «الارضيات» التى تـدعم «المقـولة الرئيسية» وهى :

* الدليل (Evidence) مثل الاحصـائيات
* القيم (Values) دعم المقولة من منطلق امثلة ذات قيمة اجتماعية أو دينية متفق عليها .
* المعقولية (Credibility) دعم المقولة بـالاستشـهاد بمقولات اشـخاص أو مصادر لها معقوليتها.

(جـ) «عنصر الاتســاق والربط» بين «البيـانات» Data والمقولة الرئيسية Claim وهو مايسمى بالـ(Warrant)

ولقد اطلق خبراء اللغويـات الاجتماعى كلمة Warrant على هذا العنصر من الحجة لانه بمثابة اعطاء «رخصة» أو » تصريح » للقفزة العقلية (Mental Leap) من الادعاء للبيانات والعكس .

– وقد يتم حذف «عنصر الاتسـاق والربط» Warrantمن الحجـة أو يترك لاستنتاج المتلقى (القارئ أو المستمع) . وهذا يتوقف على نوع الجمهور المتلقي للحجـة إذاً فهذا العنصر هـو الذى يكشـف إلى ابعد حـد عن رؤيـة الكاتـب أو المتحدث «للقـارئ أو المستمع .. مـن حيث تقبلهـم «للمقولـة الرئيسيـة» التى يطرحهـا أو تحفزهم بالاعتراض على تلـك المقولة . اذاً فحذف هـذا العنصر من الحجة من قبـل الكاتب يدل على شـعوره بـالامان مع المتلقين لمقولتـه الرئيسية ومشاركتهـم الرأى فيما يتعلـق بها كمن يتحـدث إلى اعضاء في حـزب واحد . ويعتبر وجود هـذا المكون ضرورى جداً فى حالـة السياقات الجدالية وفي حـالة التعامـل مع جمهور لايتفـق اساساً مـع المقولة الـرئيسية المطروحـة فى حجة جدالية مـا . كذلك يرتبط بهذا المكـون الرئيسى عنصر فرعـى اخر وهو عنصر «التدعيم» (Backing) أى لتدعيم عنصر «الاتساق والربط» (warrant) ويستخدم اذا دعت الحاجـة إلى ذلك حسب سياق الموضـوع ومعطياته وطبيعـة الجمهور الذى يتحدث له الكاتب فى المقام الاول .

اما العنصر الفـرعى الاخير للحجة فهـو «العنصر الذى يعكس مـدى قوة موقف الكاتب من القضية المطروحة .. اى حجم ميله وتحيزه لموقف ما وهذا ما سمى بـ «بعنصر شدة التعبير» أو (qualifier) وهذا العنصر يهدف لمقياس مدى الانفعالية التـى تظهر من معنى المقال أو بمعنـى أخر حجم التحيز لعـاطفة ما وبالتالى فان هذا العنصر ممكن تسميتـه بمقياس درجة التحيز» . وهذا العنصر يتمثل فى ورود عبارات مثل : «مما لاشك فيه أن موقف س هو الموقف الصحيح تماماً الذى يجب ان نتبنـاه » وهو مايعبر عن الانحياز غير المتحفـظ لموقف ما. وفى بعـض الحالات قد يسبـب موقـف الانحياز التـام ان يستخدم كـاتب مـا

تعبيرات التهديد والوعيد والاهانة لمن يخالفه . وهذا الامر يمثل خللاً واضحاً فى اقامة الحجج أم المستوى الاصوب فهو الطرح الموضوعى الذى يكشف عن موضوعية الكاتب وعادة مايصاحب ذلك الطرح تعبيرات واساليب تجعل هناك مسافة بين الحدث وتفسيره بحيث يستطيع القارئ أو المتلقى الحصول على تقييم موضوعى وعادة مايتمثل هذا الاسلوب فى تعبيرات مثل «هناك عدة احتمالات نرى أهمية التعرف على معطيات كل منها» أو «من المحتمل» أو «من الجائز» ..« الخ **والخلاصة هى عدم استخدام اى من هذه التعبيرات التى توحى بإحتكار الحقيقية وتقرير الامور بحدة وذاتية فى سياق حدث أو موضوع هو جدالى بطبيعته.**

*** الخلل فى الحجج (FALLACIES)**

– هناك عدة امثلة تعكس وجود خلل فى بناء الحجة ولقد استعان خبراء علم اللغويات الاجتماعى بتعبيرات من علم المنطق (Formal Logic)واستخدموها للتدليل على وجود انتهاكات للقواعد السليمة لبناء الحجج أو ما أسموه بنقاط الخلل أو (Fallacies) وهى كالآتى :

*** الخلل الناتج عن استخدام عنصر «الربط والاتساق» (Warrant)**

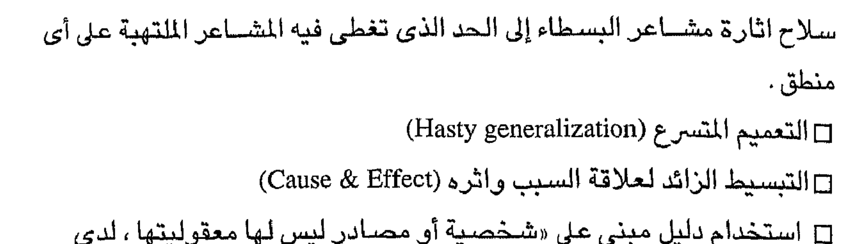
Fallacies of warrants

ويندرج تحت هذا النوع من الخلل الانماط التالية :

□ «هذا الامر ليس بالشرط نتيجة لذاك»

(Non Sequitur)

أو كما يقال بالانجليزية (It does not follow) ويرتبط هذا النوع من الخلل بنمط آخر يرمى إلى «التهييج العاطفى المتعمد» حين يستخدم الكاتب أو المتحدث



سلاح اثارة مشــاعر البسطاء إلى الحد الذى تغطى فيه المشــاعر الملتهبة على أى منطق .

□ التعميم المتسرع (Hasty generalization)

□ التبسيط الزائد لعلاقة السبب واثره (Cause & Effect)

□ استخدام دليل مبنى على «شخصية أو مصادر ليس لها معقوليتها ، لدى المتلقين

* الخلل الناتج عن استخدام «عنصر الدحض والتنفيذ المسبق» (Rebuttal) وقياس موقف الكاتب(qualifier)

ويتجسد هذا الخلل فى عدم حرص الكاتب على تجنب الوقوع فى خطأ اتاحة الكثير من الاعتراضات والنقد المتـوقع لمقولته واخفاقه فى حماية حدود حجته من خلال وعيه الكامل بالموقـف وردود الافعال المحتملة وقطع الطريق عليها . وكذلك يتجسـد الخلل فى اندفاعه نحـو تبنى موقف بصورة اطـلاقية لاتعطى الانطباع بالموضوعية .

□ الخلل الـذى قد ينتج عنـد تقديم الكـاتب «لمقـولته الرئيسيـة» ويتجسد فى الانماط التالية :

* «الاثبـات مـن خـــلال التكـــرار» أو الـدوران فـــى حلقـة دائريـة» ، فـبدلامـــن تـقديم دليـــل واضـح لدعـــم المقولـة الرئيسيـة ، تـقدم المقولـة الرئيسيـة عـلى كـــونهـا الاثبـــات ذاتـة مـــن خلال كلمات مرادفة وتكـرار فـقط .

* «تجاهـل السؤال الـرئيسـى الذى تطـرحـه قـضية مـا(Ignoring the qusetion) : والمقصود بذلك هو اخفاق طرف من الأطراف في استيعاب وتحديد ما هـو السؤال الرئيسي الذي تطـرحه قضية ما امـا عمدًا أو سهوًا والتعامل مع اسئلة فرعية .

* «نقل عبء الاثبات على الاخرين»

Shifting the burden

أى نقل عـبء اثبات المقـولة الرئيسيـة فى الحجة على الاخـرين ، أى كما فى القول «لقد تمكنت قواتنا من اسقـاط خمسين طائرة للعدو ونتحدى كل هؤلاء الذين يزعمون أن طائراتهم قد عادت سالمة . أو كما في قول أحد المسئولين : «أن الاجابة على هذا التساؤل قد اجاب عليها سيادة الرئيس منذ فترة طويلة ـ وعل المستمع أوا لمتلقى البحث عن هذه الاجابة في خضـم تصريحات عديدة !

□ خلل الايحاءات الناتجة من ثنائية المعانى

Equivocation

ويتجسد الخلـل هنا اذا مابنيـت حجة مـا على معنى مفهوم واحـد يحتمل وجود معنيين واضحين له وأُخذ على كونه يعنى معنى واحد فقط دون النظر إلى احتمال قصد المعنى الآخر كما سنـوضح فى تحليل العينات فى الجزء الثانى من هذا الفصل .

□ الخلل الناتج عن التشهير بشخص مادون التعامل الموضوعى مع مايُطرحه من مـواقف أو مقولات . (لمزيد مـن التفاصيل بخصوص عنـاصر الحُجج انظر على سبيل المثال)Dubois وآخرون ١٩٨١ ـ ورايك Rieke وسييرلوز Sillara ١٩٨٤.

ثالثاً : أنماط أخـرى تجسد خطايا الحوار وتحليل لاوجه الخلـل فى اقامة وتفنيد الحجج :

** النمط التاسع عشر :حوارات الحُجَج الافقية» "Parataxis"

هناك نـوعان رئيسيان مـن اساليب اقامـة الحجج – الأول هو مـايسمى بالحُجة الافقيـة أى بتكرار العبارات بهدف التعبئة وهذا يأتـى عادة فى المواقف الحماسية واللحظات الدرامية وهى الأشـهر استـخـداماً فى اساليب الاقناع التى

تستخدم فى التفاعلات العربية الا انها ذات صبغة عالمية ايضا فلقد استخدمها تشرشل فى خطاب الحرب ضد الالمان . اما الحُجة الرأسية أو (syllogism) فهى تتسم بتسليط الضوء علي المقولة الرئيسية للطرح المكتوب أو المسموع فى بداية الطرح ومايأتى بعد ذلك يكون بمثابة تركيز ودعم للنقطة الرئيسية من خلال ادلة كالتى اشرنا إليها فى الجزء الاول من هذا الفصل وتتسم هذه النوعية من اقامة الحُجج بخلوها من التكرار كأسلوب للاقناع .. أي عكس الحجة الافقية التى تتسم بالتكرار واستخدام الموسيقى اللغوية . وامر الموسيقى اللغوية يختلف من ثقافة إلى ثقافة ومن فرد إلى أخر ولكن للموسيقى اللغوية وقع خاص لدى المستمع العربى كما نلاحظ ذلك جميعاً وعلى مستوى النخبة والعامة .. انظر إلى عناوين المقالات والابحاث الحديثة جداً عن الازمة لتجد الاتى «حرب الكلمات وكلمات الحرب » لمراد الدسوقى الاهرام ١٦/ ١١/ ١٩٩٠ و«أعلام الازمة وازمة الاعلام» (سيف الدين عبد الفتاح «بحث فى ندوة حتى لاتنشب حرب عربية جديدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ديسمبر ١٩٩١).. خطاب الازمة وازمة الخطاب (للسيد يسن ١٩٨٦) « وحرب اللاحرب للطفى الخولى ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٠» "وانكسار الثورة وانتصار الثروة « لكاتب عربى اخر . ان امر استخدام لغة المؤثرات الموسيقية فى تفاعلات النخبة له جذور ضاربة فى تاريخ الكتابة الموسيقية العربية . على سبيل المثال لا الحصر تتأصل الموسيقى فى عناوين قديمة لابن خلدون مثل : «الشفاء السائل فى تهذيب المسائل» . وامر الموسيقى فى اللغة امر بديع بلا شك خاصة اذا انسجمت الموسيقى مع اسلوب التفكير والموضوعية ولكن خطورة هذا الامر تكمن فقط فى هؤلاء خاصة اذا كانوا من السياسيين مثل صدام حسين الذين يكون شاغلهم الاكبر هو الموسيقى اللغوية فيبدءون تناول فكرة لمجرد الموسيقى اساساً أى موسيقى الكلام وليس لمجرد تناول كافة ابعاد الفكرة باسلوب علمى وبعقلية السياسى المحنك .

لقد تناول سرد التفاصيل المتعلقة بهذين النوعين الرئيسيين لاقامة الحجج بعض الباحثين من علم اللغويات الاجتماعية مثل باربرا كوشBarbra Koch (١٩٨٣) وبربارجونستون(١٩٨٥) Johnstone حيث قامت هذه الباحثة بتحليل عينات من كتابات بعض الادباء العرب مثل طه حسين على وجه الخصوص وكذلك كتابات الانشاء للطلاب العرب الذين يدرسون الانجليزية وذهبت للقول بأن الحُجة الافقية هى خاصية من خصائص اللغة العربية وهى وسيلة الاقناع التى ينتهجها المتحاورون العرب وان الحجة الرأسية هى فى واقعها تمثل النمط الغربى فى عملية اقامة الحجج وهو ماعرف بالنمط الارسطوطى (السولوجيزمى) Syllogism. ولقد فند كاتب هذه السطور هذه المقولات بشىءمن التفصيل (انظر حسن وجيه ١٩٨٩) . ولكن ما أود أن اسلط الضوء عليه هنا هو ان كل من نوعى الحجة الافقية والحجة الرأسية لهما جذورهم فى الفكر العربى قديمه وحديثه وان ذهاب بعض الباحثين إلى قصر الحجة الافقية على العرب على كونها طريقتهم فى الاقناع (على اساس ان ذلك من خصائص اللغة العربية من منطلق تأييدهم لفكرة ان اللغة هى التى تحدد الانماط الفكرية لمجموعة ثقافية) ما هو الا نوع من التبسيط الزائد الذى ينقصه الدقة العلمية فلقد ثبت ان كل من الفكر واللغة يتداخلان وان الفكر قد يؤثر على استخدام اللغة أو العكس والامر منوط بعوامل متعددة أكثر تعقيدًا بالفرد ذاته وتكوينه وتعليمه ومدركاته ...

ولكن الحقيقة التى لاشك اننى قد توصلت إليها من خلال تحليل كم هائل من البيانات المتعلقة بالازمة وغير سياقات الازمة تشير إلى شيوع الحجة الافقية كنمط اقناع رئيسى ولكن ليس مرجع الامر لطبيعة اللغة العربية كما وصفه بعض الباحثين الغربيين بل يرجع اساساً لفقدان اختيارات أدوات الحوار المناسبة وهو امر يتعلق بفراغ فى البنية التعليمية فى الوطن العربى وكذلك غياب الديمقراطية حيث يسود استخدام الحجة الافقية بغرض التعبئة

اساساً وبغرض قمع شيوع التفكير المنطقى في احيان كثيرة . إن شيوع اساءة استخدام الحجج الافقية فى سياقات الحوار التى لايتطلب السياق استخدامها ربما يكون هو السبب الذى دفع باحث مثل جون لافين John Laffin (1975) إلى أن يقول « ان علينا عندما نتعامل أو نتحدث مع العربى بالصبر ، علينا ان نستمع ، وعقب ان ينتهى من كلامه علينا ان نعيد تركيب ماقاله لنستطيع ان نفهم ماذا قال» . ورغم أن هذه المقولة بها مابها من تعميم غير جائز علمياً الا انه مع الاسف هناك وجود لعدد كبير من المقولات التى تنطبق عليها مقولة لافين . لقد اتسم الخطاب العراقى الرسمى بشيوع «اساءة استخدام كل خصائص الحجة الافقية» حيث لايصعب على المراقب ان يجد كم هائل من الاطناب والتكرار اللاموضوعى والاعتماد على موسيقى اللغة اساساً دون التعمق الكافى فى سياقات مايحدث مع التركيز العالى على النغمة الانفعالية والقفز من موضوع إلى موضوع دون ترابط منطقى يعالج السبب واثره، الامر الذى جسد بدوره النمط التالى فى تفاعلاتنا :

**** النمط العشرون :حوارات «خلط الأوراق» :**

لاشك أن هذا التعبير «خلط الاوراق» كان من أكثر تعبيرات تفاعلات الازمة شيوعاً وكان قبل الازمة ولايزال من بعدها من الانماط السلبية فى تفاعلاتنا. والاشكالية من ناحية تناول الامر علمياً هنا أن يقوم أحد المتحاورين باختيار لُب مقولته الرئيسية أو «الادعاء» "Claim"دون النظر إلى السياق الاشمل لهذه المقولة وبالتالى يفتقد اختيار " الادعاء القوى ويفتقد كذلك تقديم «التنفيذ المنطقى والمُسبق لما قد يتوقعه من هجوم"Rebuttal"وبالتالى تتسم حُجته بالخلل حيث يفتقد الكاتب الذى تخلو حُجته من عنصر الدحض والتفنيد المسبق لمعالجة السبب واثره وبالتالى تكون حجته نوع من التبسيط الزائد للامور . ولقد تجسد نمط خلط الاوراق والذى صاحبه انماط « التأطير والمؤامرة » فى

تصارع عدة مقولات رئيسية تتجاهل السياق الاشمل والترتيبى للاحداث وهى :

(١) خلط قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الاجنبية على الاراضى المقدسة .

(٢) خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين . وفى بعض الاحيان الاخرى خلط قضية العدوان على الكويت بقضية تحرير فلسطين .

أما فيما يتعلق بالنقطة الاولى نستعرض من بيانات « تصارع الحجج » مقالتين الاولى لسعيد سنبل والثانية للاستاذ خالد محمد خالد وفيما يلى نص مقال سعيد سنبل بعنوان "خلط الاوراق" (الاخبار ٢٩/١/١٩٩١) .

خلط الأوراق !!

تشهد الساحة العربية ، في هذه الأيام ، محاولات يائسة لخط الأوراق ، وتزييف الحقائق، وقلب الأوضاع ، وتصوير الأمور على غير حقيقتها .

والذين تعودوا ، واحترفوا خلط الأوراق ، يحاولون هذه الأيام تبرئة صدام حسين من جريمة الدمار والخراب التي لحقت بالعراق ، وجيش العراق ، وشعب العراق !!

* * *

إنهم يتباكون اليوم ، على القوة العسكرية العراقية ، التي يجري تحطيمها وتدميرها .. ويذرفون الدمع على العراق الذي كان سندا للأمة العربية ، فأصبح معرضا للتفكيك والبعثرة !

وهم يصرخون الآن بأعلى الصوت : إنها

مؤامرة أمريكية صهيونية ، لإخراج العراق من الساحة العربية ، وبذلك تخلو الساحة أمام إسرائيل ، فتنفذ مخططاتها ، وتحقق احلامها ، وتتمكن من إقامة دولة إسرائيل الكبرى م النيل إلى الفرات !

* * *

ومع الافتراض ، أو ومع التسليم بصحة هذه الأقوال .. يبقى السؤال : متى جاءت القوات الأمريكية إلى المنطقة ؟ وكيف جاءت ؟

هل جاءت قبل غزو الكويت ؟ هل جاءت بناء على دعوة من إسرائيل ؟

اليس احتلال العراق للكويت ، وغزوة واغتصابه ، وتشريد أهله وسكانه ، هو الذي جاء بالأمريكيين ، وجاء بقوات الحلفاء إلى المنطقة ؟!

إذن .. إذا كانت هناك مؤامرة ، كما يردد من يجيدون خلط الأوراق .. فإن احتلال الكويت هو أول خيط من خيوط المؤامرة !

* * *

ونفترض أن أمريكا تواطأت مع إسرائيل لتحطيم القوة العسكرية للعراق .. ألم يتنبه صدام إلى هذه المؤامرة ؟ ألم يحذره كل الزعماء المخلصين وفي مقدمتهم الرئيس حسني مبارك من تدمير بلاده ، وتدمير جيشه ؟

لقد حرص صدام بإصرار غريب على خوض الحرب .. ومعنى هذا أنه أصر على تحطيم جيشه، وتدمير بلا ده !

* * *

إن المسئول الأول عن تدمير الجيش العراقي ، هو صدام حسين .. ويشاركه المسئولية ، الذين

سارعـوا إلى بغداد ، ووقفوا ويقـولوا لـه بأعلى الصوت : انسحـب من الكويت .. حتـى لا تحطم جيشك ، وتدمر بلادك .

ولكنهم لـلأسف ، لم يفعلـوا .. شجعوه على الخطأ..وجاءوا اليوم يتبـاكون..وغدا يحاسبهم التاريخ .

اما المقالة الثانيـة عن نفس القضية فهى للاستاذ خالـد محمد خالد والذى اتسم بحـدة الاصطدام والمباشرة الشـديدة مـع هؤلاء الذيـن يخلطون أوراق قضية غـزو الكويـت بقضية وجـود القوات الاجنبيـة على الاراضـى المقـدسة ويتجاهلون السبب الرئيسى فى وجود القوات الاجنبية وكان هذا المقال بعنوان **«ليست المشكلة فى وجـود القوات الدولية بل الكـارثة فى غيابها»** (الأخبار ١٢/٨/ ١٩٩٠) وفيما يلى هذا الجزء من المقال :

ليست المشكلة فى وجود القوات الدولية .. بل الكارثة فى غيابها

كنت أستطيع أن اختار لهذا المقال عنوانـا أكثر دبلوماسية ، ولاينقصه التنكر وراء واحد من الأقنعة التى تغطى اليوم وجوه الذين يخفون فى أنفسهم ما الله مبديه ..

كنت أستطيـع ذلك ، حتى أقطـع – على الأقل – الطـريق على المهرجين والمشعوذين الذين سينادون حمقاهم قائلين :

انظروا .. ها هو ذا يرحـب بالاستعمار الأجنبى !! وها هو ذا لايرى بأسـا فى جيوش الكفر التى زحفت على بلادنـا .. بل يرى الكارثة ماثلة فيما لو أنهم تقاعدوا عن المجىء.. !!

أجل كنت أستطيع .. ولكن ماذا سيكون الفارق بينى وبينهم أنئذ ؟؟

كان الكـذابون والمضللـون سيزيـدون بى واحـدا . يضاف

إليهم ويأخذ مكـانه الهابط بينهم..وكنت سأكون هـاربا جديدا من مواجهة الحقيقة . ومناصرة الحق!

ومن أجـل ذلك اخترت الـرضوخ للصـدق يارجـال .. أثرت القول بأن الكارثة ليست فى وجود القوات الدولية - وعلى رأسها امريكا - بل الكارثة فى غيابها عن الميدان !!

ودعـونى بـادئ ذى بـدء أرسل التحيـة مضـاعفة لأولئـك الجنود البواسل ، الذين يواجهون خطر الموت فى أقسى صوره ، وأشدها نذالة ونكرا .. !!

اما بخصـوص خلط قضية العـدوان على الكويت بـالعدوان على فلسطين فنستشهـد بمقال الاستـاذ سلامـة أحمد سلامـة بعنوان «حجج اردنية» حيث يتناول الحُجج الاردنية كما جاءت على لسان المسئولين بالاردن فى نـدوة قدمتهـا احدى شبكـات الاذاعة الامريكية . وفيما يلى نصل المقال :

حجج أردنية

« فى ندوة قـدمتها احـدى شبكات الاذاعـة الامريكيـة سئل رئيس تحرير احدى الصحف الاردنية عـن الجانب الذى تؤيده صحيفته فى النزاع الناشب فى منطقة الخليج .. مع الكويت ام مع العراق ؟

وكانت اجابة الصحفى الادرنى بـالغة الغرابة .. فقد أكد أن الاغلبية الكبرى من الرأى العام فى الاردن تؤيد العراق وتقف إلى جانبـه .. لأن العالم العربى سئـم استمرار الظلم الواقـع عليه ، وضاق بـانحياز امريكـا الواضـح لاسرائيل ، ولم يسترح كثيراً للحماس والسرعة والاندفاع الذى ابدتـه امريكا وهى تسعى إلى تنفيذ قرارات مجلس الامن والامم المتحدة ضد العراق .. فترسل الاسـاطيل والجيـوش والطـائرات ، بينما تقـف موقـف عـدم

الاكتراث والتهاون مــن نفس القــرارات التى اصــدرها مجلــس الامن ضـــد اسرائيل منذ عشرات السنين .. مع أن الاحتــلال هو الاحتلال والضم هو الضم ... **اما وجه الغرابة فى هذه الحجج التى نسمــع شيئا قريبــاً منها فى بعض الــدوائر الحزبية فى مصر ، فهى انها لم تــوضح نــوع العلاقــة التى تــربط بين العدوان على الكويت والعدوان على فلسطين ، ولم تجب على السؤال الملح وهــو : وماذنب الكويــت فى كل هذا ؟** ولابد أن نعترف بان هذه الحجــج التى تساق بشكل أو بــأخر على ألسنة المسئولين وغير المسئولين فى الــدول العربية التى اتخذت مــوقفاً متخاذلاً مــن ادانة الغــزو العراقــى للكويــت ، قد تلقــى هوى فى نفوس قطــاعا واسعــة من عــامة النــاس فى بعض انحــاء العالم العربــى ، تعانــى من مــرارة الاهمال والقمع والفقــر ، وتختلط عليها المفــاهيم .. فلا تفرق بين استيــلاء حاكم عربــى على دولة عربية مجاوره شقيقة ، مدفوعاً بعوامل الجشع والطمع واحلام العظمة ، وبين اغتصــاب اسرائيل لحقوق الشعــب الفلسطينى ، مــدعــومــة بقــوى عالميــة كبرى وفى ظــل صراعــات تــاريخيــة وحضــارية بين قــوميتين ، لايتحكم فيهــا فــرد واحد أو دولــة واحدة .

غير أن خطــورة مثل هــذه الحجج التــى تبرر فى الوعــى الشعبى العام استيلاء دولة عربية على دولة عربية أخرى ، هى أنها تبرر فى نفس الوقــت استيلاء اسرائيل على فلسطين وتجعل العجز عن مقاومة الغصب الاسرائيلى مبرراً للاستسلام لكل أشكال الغصب والعدوان .

وحين قال الشــاعر العربى القــديم وظلم ذوى القربــى أشد مرارة .. فقد كان يعنى بــذلك ، أن الذى لايجزع ولايضيق بظلم ذوى قرباه ، لــن يكون أكثر جزعــاً وضيقاً بظلم الآخريــن له .. لأنه سوف يفقــد القدرة على مقاومة الظلم .. وقــد بلغت شعوب

عربيــة كثيرة مرحلة العجز عـن مقاومة الظلم الـداخلى ، فكيف يتسنى لها أن تقاوم الظلم الخارجى ؟ وخير مثال لذلك مايحدث لشعب العراق نفسه .

سلامة أحمد سلامة

(الاهرام١٧/ ٩/ ١٩٩٠)

**** النمط الحادي والعشرون : حوارات «سلطة النص»**

لاحظ العـديد من خبراء علـم اللغويـات والاجتماع والادب والفلسفة على مستوى العالم العربى أن الثقافة العربية هى ثقافة "نصية" انظر سيزا قاسم ١٩٨٨ وحسـن حنفـى (١٩٨٨) ونصر ابوزيـد (١٩٩١) . أمـا على مسـتـوى البـاحثين من غير العـرب فقـد لاحظ شيـف Chafe (١٩٨٢) وتنين Tannen (١٩٨٦) وغيرهم أن الثقافتين الايـرانية والتركية هما أيضاً ثقـافات « نصية » والمقصود بتعبير الثقـافة النصية هو أن يكـون هناك نص رئيسى هـو «النص الام» المولد لعدد لاحصر لـه من الظواهر النصية (سيـزا قاسم ١٩٨٨ : ٣٢) . ومن واقـع الثقافـة العربيـة نجد أن القرآن الكـريم هـو ذلك النـص المحوري الاساسى الذى يمثل « سلطـة توجيه وتقنين وتشريع » (حنفى ١٩٨٨ : ١٢) . ويقول د. حسـن حنفى فى هذا الصـدد "ان النص يظهر كسلطـة فى النصوص الدينيـة اكثر منه فى النصـوص الادبية أو التاريخيـة أو القانونيـة . وتقتضى النصوص الدينيـة والقانونية الطاعـة اكثر مما تقتضيه النصـوص التاريخية والادبيـة بطبيعة الحال ، لـذلـك تستعمل النصـوص كشـواهد فى الخطـاب فى المجتمعـات النصية التـى لايـزال النص يمثـل فيهـا سلطـة : (حسن حنفـى : ١٢:١٩٨٨).

وبتحليل تفـاعلاتنا الاجتماعية اليـومية نجد عشرات الامثلة التـى تجسد نمط « سوء استخـدام سلطة النص » حيث يتجسد ذلك فى هـذا الكم الكبير من

شركات توظيف الاموال التى انتهزت فرصة تأثير سلطة النص القرانى على جموع المودعين واساءات استخدام هذه السلطة بما قامت به من عمليات نصب وسرقة وهروب رؤسائها من البلاد كما ثبت ذلك فى العديد من التحقيقات. ولم تكن تفاعلات الازمة التى جسدت نمط « سوء استخدام سلطة النص » جديدة على الواقع العربى فلقد استحضر الخطاب الرسمى العراقى كما ضخماً من النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وإلى الحد الذى جعل صدام حسين يؤكد على الانتساب إلى الدوحة المحمدية القريشية وان الله سبحانه وتعالى قد جعله منوطاً باداء دور قيادى خاصاً لمحاربة الفساد واقرار العدل ومن هنا استحضر شعارات الجهاد والدفاع عن المقدسات ومنازلة الحق ... «وليخسأ الخاسئون» ذلك التعبير الذى لازم نهاية أى بيان من البيانات العسكرية وغير العسكرية التى وردت بالخطاب الرسمى العراقى . ولقد استمر الخطاب العراقى على هذا النحو حتى عندما بدأ النظام يفكر فى الانسحاب فلم يجعل المفاوض العراقى القرار على انه قد جاء من شخص الرئيس صدام بل انه جاء من خلال قصة اوردها الرئيس العراقى عن «الحلم الذى يظهر فيه النبى صلى الله عليه وسلم لصدام حسين ليخبره بأن صواريخه غير موجهة إلى المكان الصحيح" . وكان هذا متضمنا فى منشورات وزعتها القيادة العراقية على افراد القوات فى العراق والكويت الامر الذى تم تفسيره حينذاك على أنه نوع من التمهيد النفسى لاحتمال انسحاب العراق من الكويت (برغتبه).

ولكن الذى يلفت النظر بصورة أكبر هو كيف أن هذه الجماهير قد خُدعت «بإساءة استخدام سلطة النص" وبأكذوبة الجهاد الاسلامى ومنازلة الكفار التى رفعها صدام حسين وبعدم جواز الاستعانة بهم من قبل المسلمين . ان هذه الظاهرة لاتزال بحاجة إلى دراسة أخرى فالامر الذى شاع بين جماهير الشارع العربى والاسلامى حينذاك ان ماضى صدام العلمانى وجرائمه ليست

شرطاً فى اثبات انه لايجسد صورة البطل الـذى يدافع عن الحق وينازل الباطل وانه مسلم مـؤمن حقاً . ودليلهم هو ما كـان يتخذه من مواقف اثنـاء تفاعلات الازمة إلى الحد الـذى شبه بـه فى ايران على وجه الخصـوص بأنـه «خالـد بن الوليد» الذى كان من المشركين واصبح سيف الله المسلول ، ويقول الكثيرون .. « انه تاب فلما لانصدقه وانه من المنافى لتعـاليم الاسلام أن نكّذب مايقوله أحد خاصة بشأن التوبه فالله وحده هو الاعلم بالسرائر . الامر الذى لايختلف عليه أى مسلم . ويذهب البعض الاخر إلى أنه حتى اذا كان صدام جائراً وظالماً وليس «بخالد ابـن الوليد » فشره أهون من الكفـار الذين جاءوا إلى الاراضـى العربية وبالتـالى وجب الجهـاد ضدهـم . ولقد فند الاستـاذ فهمى هـويدى فى مقـاله «خطاب فى الكفـر والظلم بتـاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٩١» هـذين المفهـومين (الكفر والظلم) من الناحية الاسلامية (انظر إلى النـص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢٦٥). ان مانخلـص إليه هو ان اساءة استخـدام سلطة النص فى الثقـافة العربية الاســلامية لايزال من الانماط ذات الـوقع التأثيرى الكبير على جماهير الشارع العـربى والاسلامى . وهـذا ما أكدته تفـاعلات ازمة الخليج وكـذلك العديـد من تفاعـلات الازمة الثقافيـة المزمنة .. الامر الـذى يستلزم مزيـد من التأمل والتدبر لواقع اشكالى جم خطير .

**** النمط الثـاني والعشرون حوارات «التبسيط الـزائد لعلاقـة السبب واثره»**

ويرتبـط هذا النوع مـن الخلل فى اقامة الحجـج والذى اشرنا إليـه بايجاز سابقاً عند تقديم العناصر العلمية للحجج بالجزء الاول من هذا الفصل بمفهوم ذاتية المتحاور الذى لايستحضر القدر الكافى مـن التجرد الموضوعى للحكم على الامور بالقدر المطلوب مـن الدقة بل يترك لحيز الذاتية الموجود بـداخل كل منا المجال الاكبر لتفسير الحدث ولقد وقـع عدد كبير من اعضاء النخبـة العربية فى هذا المطب وهناك امثلة كثيرة فى بنك البيانات الخاص بهذه الدراسة التى تسلط

الضوء على هذا النمط ومن الامثلة الدالة مقال كتبه المفكر العربى د. محمد عابد الجابرى اثناء فترة الازمة فى جريدة الاتحاد الاشتراكى المغربية بتاريخ ٢٧/١/١٩٩١ بعنوان «**كلام ... الأن فقط أصبح له معنى ..**» ! وفيما يلى تحليل لهذا المقال الذى سوف نتناوله من منظورين الأول هو تحليل لمسار الموضوعات به لتحديد المقولة الرئيسية والثانى هو توضيح لملامح الخلل فى اقامة الحجة به .

أولاً : تحليل الموضوعات بالمقال وتحديد المقولة الرئيسية (Claim) :

يوضح الجدول التالى (رقم ٢) مسار موضوعات المقال : (انظر إلى النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢١٧).

الموضوع (١)	« مقدمة لتعريف التاريخ طبقًا لوجهة نظر الكاتب بهدف تقديم لحظة التفاعلات الحية في أزمة الخليج»
الموضوع (٢)	« اللحظة التاريخية الحية لتفاعلات الأزمة قد بدأت في ٢٥ يونيو ١٩٩٠ أي قبل دخول القوات العراقية الكويت بخسمة أشهر وهي ندوة أقيمت في بغداد لاحياء ذكرى مشيل عفلق مؤسس حزب البعث الاشتراكي الحاكم في العراق »
الموضوع (٣)	« موجز لخطبة مسئول عراقي في الندوة وكلامه عن المشروع القومي العربي التحرري » .
الموضوع (٤)	« نص كلام المسئول بخصوص : ـ العلاقة مع الغرب . وعلاقة العراق مع الدول العربية وعلاقة العرب الأخرين بالغرب . ـ تقييم لمرحلة ١٩٦٧ . ـ ممارسات الغرب داخل المنطقة .

الموضوع (٥)	مضمون الحوار بين الحاضرين والمسئول العراقي: ـ « تـذكر الكاتـب لمقولتين عـراقيتين الأولى أن العراق سيحرق نصـف إسرائيـل في حـالـة أى اعتـداء لها على المزدوج الكيمائي. والمقولة الثـانية (أن فلسطين اتية أن شاء الله) » . ـ تعقيب من الكاتب على المقولتين : ـ تناول قضية الديمقراطية .
الموضوع (٦)	تفسير الكـاتـب لحدث غـزو العراق للكـويـت بنـاء على معطيات الموضـوعات السـابقه الـذكر خـاصًا في أطـار تصريح المسئول العراقي وتصريح صدام في ٢٥ يونيو . (أن فلسطين آتية أن شاء الله) .
الموضوع (٧)	وهي آخر فقرة في المقال نصها كالآتي : المقولة الرئيسيـة الآن ، والآن فقط ، بعد اندلاع الحرب اخذت أعطي لكلام المسئول العراقي كـامل معناه .. لقد أصبحت أرى فيـه الآن كلاما جديـدًا بل مفتاحـا لاعادة كتابـة تاريخ المسلسـل الذي أدى إلى مـا جرى ويجرى الآن (فلنرجـع القهقري) أذن ، بعد أن وضعنـا ارجلنا على موقـع يمكننا من قراءة الأمـور الماضية والحوادث «الغابرة» قراءة أخرى .. قراءة تعطي معنى آخر لدخول القـوات العراقيـة للكويـت . إذ يبدو الآن أن العـراق لم يدخل الكويت من أجل ثرواتها بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عـربي .. جديـد هـو الذي شرحـه المسئول العراقي .

ثانيا : ملامح الخلل فى اقامة الحجة :

١ـ نمط «هـذا الامر ليس بالشرط نتيجـة لذاك والتبسيط الزائد لعـلاقة السبب واثره :

ويتجسد هذا النمط فى أن الكاتب قد ربط فى ادعائه دخول القوات العراقية للكويت بالاتى :

(أ) تدشين العمل فى مشروع تحررى عربى جديد .

(ب) مايفيد ان غزو الكويت خطوة لتحرير فلسطين .

وهنا نقـول بأن هـذا الادعاء يفتقـد اذن لوجـود عنصر الدحـض المسبق Rebuttalالذى تحدثنا عنه سابقاً والذى يتمثل فى الآتى :

ان الكاتب لم يتعرض فى مثل هذه القضية الجدلية إلى قضية غزو بلد عربى لبلد عـربى آخر وهـو جوهر الامـر فى سياق الحديث عـن المشاريع القـومية العربية واقتضب الامر كله بالكلمات التالية :

اذ يبدو ان العراق لم يـدخل الكويت مـن أجل ثروتها بل مـن أجل تدشين العمل فى مشروع تحررى عربى جديد هو الذى شرحه المسئول العراقى .

(جـ) تأطير الحدث :

نجد ان «نمـط تأطير الحدث» فى شكل ما دون الآخـر (النمط الثانـى الذى تحدثنا عنـه) فى الفصل الـرابع يتجسد فى اسلـوب الجابرى الـذى قدم تفسـير الاحداث من خـلال سياق **تاريخى** طويـل كما يتضح ذلك مـن نص مقـالته بمحلق الـدراسة الا انه فى سرده للتاريـخ قد تجاهل السؤال الخاص بمطـامع العراق التاريخية لتكويـن امبراطورية عراقية من ناحية وهـو ما اعلنه العراق صراحة من أن الكويت جزء منه وهو «المحافظة رقم ١٩» فلماذا يكون المشروع «تحررى عربى» كما يقول الجابرى ولايكون «توسعى قطرى!!» كذلك تجاهل الكـاتـب فى تفسيره لموضوع «فلسطين الاتيـة ان شـاء اللـه» **تاريخ** الصراع

العربـى الاسرائيلى القريب ... حيث ان هـذا التاريخ القـريب يثبت عدم جـدية العراق فى التصـدى لاسرائيل سوى بـالعبارات والكلام الطنـان فقط فالـواقع يقـول بأنـه عندمـا ضربت اسرائيـل المفـاعل النـووى العراق بتحـدى سـافـر واستفزازى لم يتحرك للعراق حينذاك ساكنا .. ألم يرى الكاتب لهذا الحدث هو الاخر «معنى» ! ان هذه النقـاط توضح ان الكاتب قد أسقـط من عناصر حجته عنصر الاتساق والربطWarrant وهو ماعرفناه على كونه رخصة للقفزة العقلية (Mental Leap)من الادعاء للبيانات أو العكس .

٢ـ معقولية أو مصداقية من نستشهد بهم فى سياق حجة ما .

من عنـاصر الخلل فى اقامـة حجة جدلية ان يستشهـد متحاور ما بمقـولة شخصية غير ذات مصـداقية للطـرفين المتجادلين . وهذا مـافعله الكـاتب حين استشهد بمقولة « المسئول العراقى »كما ورد في الادعاء الرئيس بالمقال .

كذلـك من امثلة تفـاعلات الخليـج التى اوضحت بما لا يـدع مجال للشك هيمنة نمط « التبسيط الزائد للسبب واثـره » « وان هذا الامر ليس شرط لذاك» ماذكره الملك حسين عن ان موقف مصر مـن الازمة كان من منطلق الانتقام من العراق لموقفها فى اخراج مصر من الجامعة العربية عقب عقد اتفاقيات السـلام . الامر الذى أن دل عن شىء فهو يدل عن تجاهل ملك الاردن ميكانزمات فى غاية التعقيد ليس لها علاقة بمفهوم «الانتقام الضيق» ويكفى حجم الرسائل العلنية وغير العلنية للـرئيس مبارك التـى اذا ماقـرأت الان بموضـوعيـة أوضحت أن مصر قد ارسلت كـافة الرسائل الواضـحة للغـاية التى كانت تعكـس حرصـها الكبير والبين على احتواء الازمة والحفاظ على قوة العراق لصـالح الامة العربية وكذلـك تحرير الكويـت ، إن هناك رسالة بلغـت ٥٦ صـفحة بعث بها الـرئيس مبارك للرئيس صدام ينبه فيها إلى العوامـل المعقدة التى تحيط بالموقف والتى كان ينبغى وان يتعامل معها الرئيس العراقى بمسئولية وجدية ومنطق .

**** النمط الثالث والعشرون : « حوارات خلل الايحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى» "Equivocation" :**

ويتمثل هذا الامر فى أن تستند حجة متحاور ما على معنى واحد لمفهوم أو مصطلح قد يحمل استخدامه معنى مختلف بين اعضاء المجموعة الثقافية الواحدة أو من مجموعة ثقافية لاخرى وما أكثر الامثلة التى تحدث فى تفاعلاتنا اليومية فى العالم العربى والتى توضح اختلاف معنى كلمة ما بين الجماعات أو البلدان العربية .

كذلك هناك مفهوم معروف فى كل لغات العالم مفاده ان الكلمات القديمة تكتسب معانى مختلفة وجديدة فى احيان كثيرة ، فعلى صعيد التفاعلات فى المجتمع المصرى نجد كلمات «باشا» «وبيك» أو «أفندى» على سبيل المثال كانت تعنى لقب اجتماعى له معناه المحدد قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٨٢ واصبحت لاتعنى نفس الشيء عقب الثورة ثم اكتسبت معنى جديدا فى المجتمع يتسم احيانا «بالافراط فى اطلاق هذه الالقاب فى التفاعلات الاجتماعية بهدف الاحترام المفرط للبعض واحياناً أخرى على سبيل التهكم ومن أشهر هذه المعانى التى استجدت على هذه الكلمات والتى تفيد التهكم ماذكره الرئيس السادات فى احد احاديثه حين كان يهاجم بعض الكتاب الذين كانوا ينتقدونه حين قال بعد ان اسماهم «بالافنديات» إن البلد مش عايزة الافنديات دول «وانهم لايفقهوا شيئًا» الخ واصبح تعبير « الافنديات» منذ ذلك الحين يعنى نوع من التهكم من البعض وهناك عشرات من الامثلة الاخرى والمراد قوله هنا أن هناك بعض المفاهيم التى كان لها معنى فى اللغة القديمة قد اصبح لها معنى اخر فى الاستخدام الحديث للغة ومن هنا نسلط الضوء على كلمة "**الصليبيين**" فالكلمة كان لها معنى واضح فى اثناء فترة الحملات الصليبية على المنطقة العربية .. وإلى الان لاتزال هذه الكلمة لها وقع الحملة الصليبية ولكن بقدر ضعيف ، فالمعنى الان فى مجتمع اللغة الانجليزية وعلي وجه الخصوص فى المجتمع الامريكى يعنى أى مهمة يقوم بها شخص ما وليس الامر الأن بمعنى «حملة صليبية» بدرجة المعنى القديم للكلمة .ففى المجتمع الامريكى كنا نسمع مسيحى يقول لغير مسيحى "Good luck in your crusade"

والترجمة هى « اتمنى لك حظاً موفقاً فيما تريد عمله» أو فى «حملتك» أو فى «مساعاك» .. ومن هنا فإن بيان الاخوان المسلمين فى الاردن عندما أخذ هذه الكلمة التى وردت فى النيوزويك (بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٩٠) لوصف الحملة الامريكية فى الخليج على كونها الدليل الدامغ على ان مايحدث فى الخليج هو حرب صليبية بحته من منطلق المعنى القديم لكلمة Crusade يعتبر امراً غير دقيق من وجهة نظر تجنب عوامل الخلل فى الحجج .. وهذا لايمنع ان يعتقد الاخوان بالاردن أو أى انسان أخر ان امر الحملات الصليبية لم ينته بعد . فهناك من الادلة الواضحة الاخرى على ان هذه الحملات لم تنتهى ضد العرب والمسلمين ويكفى ظهور جماعات المسيحيين الصهاينة التى تنادى إلى الان بهدم المسجد الاقصى واقامة المعبد اليهودى والادلة على هذه المقولة معلنه وواضحه عند هؤلاء الصهاينة المسيحيين (انظر لمقال كاتب هذه السطور بخصوص هذا الامر فى سياق الحديث عن ديناميكيات الصراع العربى الاسرائيلى (حسن وجيه ١٩٨٧). ولكن ما أود أن أقوله انه فى سياق اقامة الحجج ينبغى وان يتسم الدليل بالدقة حتى تكون الحجة سليمة دون خلل وهذا نوع من الامانة فاذا كانت كلمة "Crusade"قد استخدمت لوصف الحملة الامريكية بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٩٠ فإن ذات نفس الكلمة قد استخدمت فى مجلة التايم بنفس التاريخ (٢٠ اغسطس ١٩٩٠) لوصف غزو العراق للكويت على كونه «حملة صدام» Sadam's Crusade (*) وكذلك وصف صدام على انه Crusader (**) فهل نقول هنا ان المعنى هو ان صدام «صليبى» !! المعنى هو «انه رجل ذو يقين ما» أو « قائد حملة يقينية ما » .

(*) نص الجمل كما رد في مجلة التايم الأمريكية

(١) " Sadam's Crusade will not succeed "

(**) أي أن حملة صدام لن تنجح

(٢) U.S has the capcity to master the international effort to stop a vain a moral cursader like saldam

والمعنى هو أن للولايات المتحدة القدرة على ان تحشد الجهد الدولي المطلوب لوقف هذا / ذلك المحتال عديم الخلق « الصليبي !! » عند حده .

والمثال التالى يوضح تحليل كامل لعناصر الحجة مع تسليط الضوء على مصادر الخلل بها وملامح لبعض خطايا الحوار التفاوضى التى تعرضنا لها .

أولاً :نص العينة :

اخوان الأردن

بدأت الحرب الصليبية الثامنة

أصدر الأخوان المسلمون بالأردن بيانًا ملتهبًا ، قالوا فيه : لقد جاء يوم الحساب يا بوش ويا بيكر ويا ميجور ، وصنع الله لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب ، ومهرت في النزال وجاء يوم أعز فيه الله الإسلام ورفع فيه راية التوحيد وقد وشحها شعار « الله أكبر » ..

وأكد البيان أن الأمريكان قد أعلنوا عن بداية الحرب الصليبية الثامنة كما جاء في النيوزويك قبل أسبوعين ، وحشد الصليبيون واليهود جنودهم وبوارجهم ، وجاءت جميع أجناسهم من ثماني وعشرين دولة ..

وأشار بيان الأخوان المسلمين بالأردن ، إلى أن الحرب لم تبدأ منذ الثاني من أغسطس الماضي ، ولكنها بدأت منذ سنوات للحيلولة دون اقامة النظام الإسلامي العالمي .

وقال البيان : لقد تعرضت أمتنا لمظالم الأمم الغربية جميعها، وبيننا وبينها ثارات وثارات ، وأني لنا بالاحاطة بها وهي في بلادها ؟! فكان قدر الله أن يجعلها علي صعيد واحد ، على أرضنا المباركة الطهور « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»..

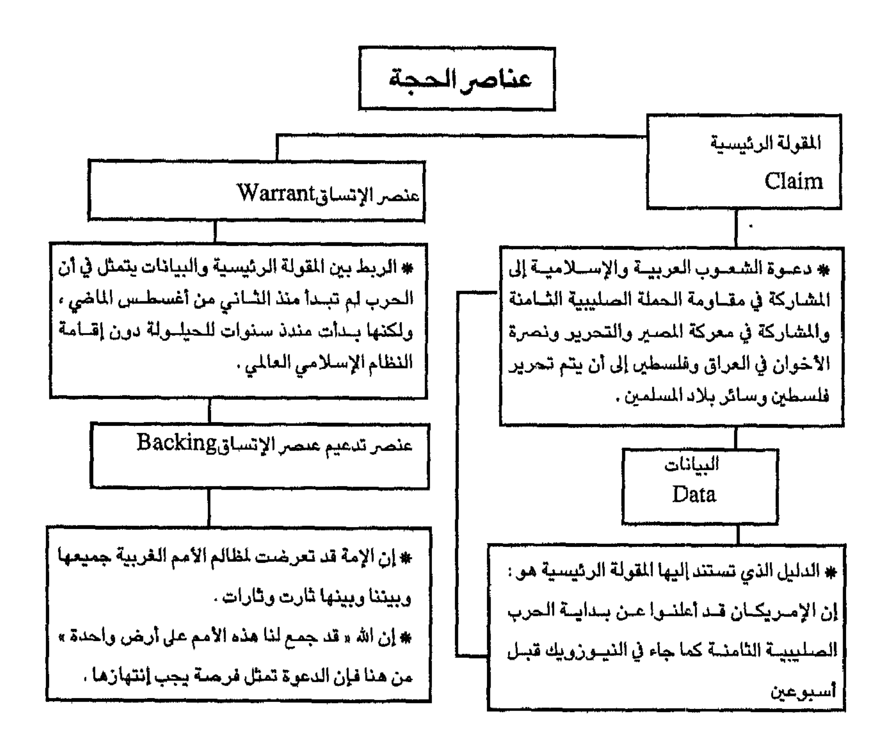
ودعا البيان الشعوب العربية والإسلامية إلى المشاركة في معركة المصير والتحرير ، ونصرة أخوانهم في العراق وفي

فلسطين، حتى يأذن الله بنصره وتحرير الأرض المقدسة المباركة في فلسطين وسائر بلاد المسلمين ..

جريدة الشعب ٢٢ / ١ / ١٩٩١

ثانيا : تحليل عناصر الحجة الرئيسية بالعينة:انظر الشكل التالى (رقم٢)

تحليل الحجة إلى عناصرها الأساسية والفرعية



مصادر الخلل في الحجة وملامح اشكاليات الحوار التفاوضي العربي

(١) إن عنصر الدحض والتفنيد المسبق (Rebuttal) يفتقد إلى التعقل كصفة اسلامية اساسية دعى الله المسلمين إليها بحيث ان عليهم ان يتوخوا الحذر عند الحديث عن معركة مقبلة لم تبدأ بعد .. «لقد جاء يوم الحساب يابوش ويابيكر وياميجور وصنع الله لكم من إقداره أمة تمرست في الحرب ومهرت في النزال.. وجاء يوم اعز فية الله الاسلام...) (سلبية نمط «تضخم الاحساس بالذات» [النمط رقم (٢)]

(٢) اتسمت عناصر الحجة المختلفة بنمط التهييج والاسترسال العاطفى وإساءة إستخدام سلطة النص وذلك بالاستشهاد بنص من نصوص الجهاد دون الاخذ باسبابه بحذر وتعقل ومقدرة" . كذلك اتسمت المقولة بالتركيز على الموسيقى اللغوية في بناء النص لاثارة مشاعر وعواطف الشارع العربى والاسلامى وتعبئتها دون امعان النظر فى خطورة الموقف وحيثياته الدقيقة . وهذه الخصائص تضعف من معقولية وموضوعية مقدم الحجة(Qualifier).

(٣) خلل التبسيط الزائد بين السبب واثره وتجاهل السؤال الرئيسى حيث أن سبب الحرب ليس دينياً وإنما هو إحتلال العراق للكويت. الذى انتهزه بطبيعة الحال اعداء العرب والمسلمين للحصول على اقصى حد من هدم قوة العرب والمسلمين نظراً للريبه والشك التى ينظر بها الغرب للاسلام وللعرب والتى دعمها تصرفات مثل ما اقدم عليه صدام العراق من مقولات تحدى جوفاء وعداء كلامي.

(٤) خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى Equivocation†وهو ما قصدنا الحديث عنه ويتمثل هنا في الإعتماد على المعنى القديم لكلمة "Crusade"(الحملة الصليبية) والذى ورد بالفعل استخدامه في مجلة النيوزويك كدليل يدعم المقولة الرئسية دون الوعي – عمدًا أو سهوًا بمعنى الكملة الانجليزية التي تعنى في الوقت الراهن معنى «حملة» «أو مهمة» لتحقيق هدف يقينى «والدليل على ذلك أن نفس الكلمة قد أستخدمت لوصف عدوان صدام على الكويت (Sadams Crusade) وكذلك وصفه بأنه "Crusader"

**** النمط الرابع والعشرون : حوارات « غيبوبة الماضي »**

ان الحنين للماضى وللذكريات وللتاريخ شىء ايجابى بطبيعته اذا ما أحُسن توظيفه بل ان من مصادر قوة هذه الامة انها فى لحظات تاريخية تستلهم القوة والعزم من الماضى . ولكن سلبية هذا الامر ان يتحول إلى غيوبة نعيش فيها وننسى الاخذ باسباب التغيير أو اعادة ماكان مجيداً فى تاريخنا العريق خاصة وان شواهد العصر تؤكد على وجود تعقيدات لم يشهد التاريخ الانسانى مثيلاً لها فى تفاعلات عالم اليوم والمستقبل .وعلى النقيض من التقوقع فى اطار الماضى الذى يفترض فهم دروسه نجد نمط نسيان دروس الماضى وبسرعة غريبة فى احيان كثيرة حتى لو كان لها اسباب أهمهما عدم الأخذ بتلابيب الأمور فى مواجهة عدو شرس كما حدث فى معركة ١٩٦٧ والتى سيطرت فيها اللغة الجوفاء فقط ،فى الوقت التى اثبتت فيه الاحداث انه يمكن هزيمه العدو وتلقينه اقصى الدروس كما حدث فى حرب رمضان السادس من اكتوبر ١٩٧٣. ولكن كان الشرط الا نلجأ إلى حرب الكلام الاجوف ومعارك النزال من خلال محطات الارسال القوية التى رسخت نمط «تضخم الاحساس بالذات » إلى الحد الذى استخف بكل العقول وادى إلى تغييب العقل العربى .. لم يستفد العراق من هذا الماضى وجسد اسوأ انماط تفاعلاتنا وتسبب فى نكسة اعمق واخطر من نكسة ١٩٦٧ . كذلك نسى من أيدوا العراق فور الغزو أن القضية لم تعد قضية غزو بلد عربى لبلد عربى أخر واصبحت القضية قضية وجود أجنبى لدى هؤلاء . وربما كان من احدث الامثلة التى جسدت نمط «غيبوبة» الماضى وسرعة نسيان دروسه هو اداء نفس الاطراف العربية التى أيدت العراق فى غزوه للكويت عند تفاعلها مع احداث الانقلاب الشهيرفي موسكو والذى وقعت احداثه فى «النصف الثانى لهذا العام (١٩٩١) وهنا استشهد بمقال موجز كنت قد كتبته عن هذا الموضوع ونشر فى الاهرام بتاريخ

١٩٩١/٩/٣ يستعرض هذا المقال نمط «غيبوبة الحنين للماضي» وكذلك مجموعة أخرى من الانماط السلبية التى استعراضنها فى هذه الدراسة وتجسدت جميعها فى رد فعل هذه الاطراف العربية وفيما يلى نص المقالة :

« احداث موسكو وانماط من التفاوض فى العالم العربى»

كأى حدث تتفاعل معه الاطراف العربية على الساحة الدولية يلاحظ المراقب وجود تباين وتناقض واضحين بين مواقف الاطراف العربية المختلفة تجاه هذا البحث أو ذاك .وبالنظر إلى احداث موسكو نجد ان هذا التباين والتناقض يماثلان ذلك الذى حدث ابان ازمة الخليج وغيرها من الاحداث الاخرى .. يرجع ذلك فى عموميته إلى مجموعتين من العوامل : المجموعة الاولى تتمثل فى تباين فى الادراك لتحركات الفاعلين المشتركين فى المبارة الدولية وقواعد اللعبة بالمعطيات الموضوعية المحددة لناتج أى مباراة على الساحة الدولية .. والمجموعة الثانية تتمثل فى سلبيات الحوار التفاوضى اليومى فى العالم العربى على المستويين الاجتماعى والسياسى وبالطبع تتداخل العوامل فى المجموعتين فى تحديد ناتج الاداء .. الذى يظهر فى النهاية بشكل متناقض لايخدم بطبيعة الحال صورة العرب فى عالم اليوم .

لقد كان موقف مصر من احداث موسكو يعكس اهتمامها فى المقام الاول بالشرعية وعدم التدخل فى شئون الآخرين من ناحية ولكنه ايضا قد عكس ذلك النمط التفاوضى الذى اكتسبه المفاوض المصرى بحكم الخبرة المصرية والدور المصرى على الساحة الدولية وهو «حسن الاستماع والترقب» ثم اتخاذ القرار السليم .. فأننا اذا ما أردنا تحليل رد فعل بعض الاطراف العربية بتأييد الانقلاب بموضوعية دون الهجوم على هذه الاطراف لوجدنا أن هذه الاطراف تتمنى وجود الاتحاد السوفيتى كقوة عالمية رئيسية كما كان العهد به حتى لو كانت قوة عسكرية ديكتاتورية فقط .. ان المفاوض العربى البراجماتى قد لايعارض ذلك الامر فالاتحاد السوفيتى القوى يعيد التوازن

فى عــلاقــات الشرق والغــرب وهذا شـــىء بـديهى ولكــن هــذه الاطراف قد نسيـت أو تناست أن القوة الاقتصـــادية هى العماد الرئيســى للقوة المسلحة كذلــك .. من الانماط المرتبطة بـاحداث موسكو على صـعيـد التفاعلات العربية هو ان الاطـراف العربية التى ايدت الانقلاب تعانى مـن نمط « غيوبة الحنين للماضى ايا كان ، وعبــودية هذا الماضــى لما له مــن صور قديمــة لم يعد لها وجود حقيقى فى عالم اليوم .. «فهـذه الاطراف العربية تتصور ان جورباتشوف قد هدم ذلـك الصنم الذى ظل يعبده الكثيرون وهو بذلك قد كفر وانه هو الذى اذل الاتحاد السوفيتى وليست القيم الشيوعية والاحلام والوهمية التى قامت عليها .. بل ذهب الكثيرون إلى توظيف اسوأ مافى الانماط التفاوضية العربية وهو نمط المؤامرة الكبرى وان المؤامرة العالمية التى استهدفت الاتحاد السوفيتى هى نفس المؤامرة التــى استهدفت وتستهدف العالم العربــى .. ولكن الطـريف فى احداث مـوسكو انها قـد اثبتت ان هيمنة نمـط المؤامرة ليـس على الصعيد العـربى فقــط .. ولكنه انعكس بوضوح شديد فى مقولات العـديد من القادة السوفيت . والــواضــح الان وجود هيمنــة لنمــط المؤامـرة فى العديـد مـن التفاعلات على الصـعيدين العربى والسوفيتى والامر يحتاج إلى دراسة متعمقة ولكن ربما تكمن الارضية المشتركة لهذه النوعية من التفاعــلات فى انها نابعة من العـديد من العرب والعـديد من السوفيت الذين يمثلون فى واقع الامر حضارات قديمة وعظيمة الا انها تعانــى الان حالات من التـدهور الحاد والعجـز الكـبير الـذى عــادة مايصـل بـالانســان إلى لوم الاخـر دون محاولـة التحـرك الايجابــى لاحباط ماقـد يحاك من مؤامــرات فى هدوء وفعالية .

(د. حسن وجيه الاهرام ١٩٩١/٩/٣)

** النمط الخامس والعشرون : «القوالب الذهنية المتفجرة » « والقوالب الذهنية الاستاتيكية » (المعدة مُسبقًا) :

"Explosive Schematic Agenda "
Static / preset schematic Agenda

١ ـ المقصود « بالقوالب الذهنية « الاستاتيكية »

هو أن يكون لدى متحاور ما قائمة موضوعات مُعدة سابقًا قبل الدخول فى عملية التحاور والتفاعل الحقيقى وهنا يعيب المتحاور توظيفة لهذه الأجندة أو قائمة الموضوعات دون النظر والتعمق فيما يطرحه الطرف الأخر للحوار أثناء عملية التفاعل وهنا يبدو ذلك المتحاور كمن يحفظ طريقة للعبة الشطرنج (مثلاً خطة نابليون) دون أن يرى تحركات وافعـال الطرف الأخر الأمر الذى يؤدى فى نهاية الأمر إلى فشل « الخطة » . فهنا يتضح للمستمع أو المراقب للحوار بأن هناك طرف « يكـر الأجندة » ويتعامل مع الحوار بعيدًا عن مستجداته ومتغيرات السياق .الأمر الذى يجعله يفقد معقولية وقدرته على الفوز أو حتى التعادل ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن العديد من المفاوضين الذين قاموا بتمثيل قضايانا فى الخارج يوظفون هذه الاستراتيجية التى تمثل نمطًا سيئًا للغاية فى تفاعلاتنا وبعضنا البعض وفى تفاعلاتنا مع المفاوضين من الثقافات الأخرى ..

وإذا ما نظرنا إلى بنك بيانات أزمة الخليج لوجدنا أن العراق قد قام بتوظيف استراتيجيات « القوالب الذهنية / قائمة الموضوعات الاستاتيكية » أي الموضوعات المعُدة سابقًا من قبل القائمين على إدارة الأزمة (المفاوضون) وبالتالى لم يسمح هؤلاء المفاوضين لأنفسهم بأن يعيدوا ترتيب قائمة موضوعاتهم التفاوضية ويستجيبوا بذكاء لمقتضى تلك التفاعلات وبتطوير الأدراك المسبق للأزمة عند بدايتها وما حدث عقب ذلك بالقدر الذى كان يتيح

للعراق والأمة العربية الخروج من تلك الأزمة بأقل خسائر ممكنة.. والمقال التالى بعنوان « المفاوض العربى وإدارة الأزمة الراهنة » لكاتب هذه السطور كان بمثابة محاولة جادة للفت نظر القيادة العراقية فى الا تقع فى براثن ما أصفه فى سياق هذا الكتاب بتوظيف استراتيجيات « القوالب الذهنية الاستكاتيكية » وفيما يلى نص هذ المقال :

المفاوض العربى وإدارة الأزمة الراهنة

إذا كانت عملية التفاوض من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية ، فإن لهذه الأزمة الراهنة بالخليج تعقيدات فريدة من نوعها ، فإذا كانت صفة « المفاوض العربى » فى سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة تتضمن مواجهة مع مفاوضين من غير العرب فإن « المفاوض العربى » أثناء هذه الأزمة يمثل المفاوض العربى فى مواجهة « مفاوض عربى آخر » من ناحية وكلاهما فى مواجهة مفاوضين من غير العرب من الناحية الأخرى .

إذن فإنه يلزم لادارة هذه الأزمة نوعان من ديناميكيات التواصل .. أحدهما يتعلق بخصائص وتعقيدات عمليات التفاوض بين العرب وغير العرب والأخر له خصائص وتعقيدات عمليات التفاوض العربية العربية . فإذا أردنا تسليط الضوء على كيفية الامساك باهم خيوط الخروج من هذه الأزمة بأقل خسائر ممكنة لقلنا أنه يتعين على الجانب العراقى فى إدارته للأزمة أن يعى أن النجاح أو الفشل فى عملية إدارة الأزمات على مستوى العالم اجمع كما يحدد ذلك خبراء وعلماء علم العلاقات الدولية يتوقف على ادراك القيادة للموقف المحيط بها والمتغيرات المؤثرة فيه . كذلك فإن الادراك السياسى الناضج يتمخض عنه ذلك القرار الذى يسمح باستقبال المعلومات الجديدة والطارئة واستيعابها والاستجابة المرنة لها وتطوير الأدراك المسبق للوضع قبل الأزمة وعند بدايتها وما يحدث عقب ذلك من تحركات للأطراف المتفاوضة المختلفة فى اللعبة الدولية.

أن االأمر فى أزمة الخليج الراهنة يوضح أن هناك اجماعا دوليا لم يسبق له مثيل مـن قبل لتنفيـذ اجراءات اقتصـادية وعسكـرية ضـد العراق قـد تصل بالمنطقة كلها إلى حالة من الدمار والانهيار .

إن الطريق مازال مفتوحا أمام العراق ليخرج من هذا المأزق مع الحفاظ على ماء الـوجه . ولقـد أوضح ذلـك الأمر خطـاب الرئيـس مبارك الأخير فى ذروة الأزمة من خلال عرضه لصيغة السلوك الدولى المطلوب من قبل العراق انتهاجه وفى ظـل المظلة العـربيـة . كذلـك أوضـح خطـاب الرئيـس أن مصر فى إدارتها لعمليات المفاوضات العربية العربية قد ادركت أهم مشاكل الاتصال فى الأزمات الدولية . كذلـك كانت هناك الاشارة بقوة إلى وضـع مصر وثقلها عـربيا وعالميا واحترام كيان وتوجيهات الرأى العام المصرى .

إن درجة ضبـط النفس العاليـة التى تبنـاها القائمـون على إدارة الأزمة فى مصر يتيـح الطريـق مـرة أخرى للعـراق للخروج مـن هـذه الأزمة المتفجـرة وبطريقة تحفظ مـاء وجهه وتجنب المنطقة نتائج لا يعلم مـداها إلا الله سبحانه وتعالى .

د . حسن وجيه

الأهرام ١٣ / ٨ / ٩٠

وإذا كانت المقالة السابقة تعنى بإبراز مثال من أمثلة تفاعلات أزمة الخليج التى تلقـى الضوء على هـذه الاستراتيجية السلبيـة فى الحوار فإن كـاتب هـذه السطور قد القـى بالضوء على هذه الظـاهرة ايضًا فى معرض رده على مـزاعم سلمان رشدى فى إطار الجدال الذى دار لفترة طويلة عقب نشر روايته المعروفة بعنوان « الآيـات الشيطانيـة » فلقد كـان الدافـع لكتابـه هذا الـرد فى صحيفة «الهويا» جريـدة جامعة جورجتاون ــ لمنطقة واشنطن العاصمـة . ليس فقط الرد على مـزاعم سلمان رشدى فى حينها ولكـن كان ايضًا من منطلـق محاولة تصحيح رد الفعـل الإسلامى حيث إن المتحـدث الذى كان يمثل وجهـة النظر

الأسلامية فى حواره مع سلمان رشدى فى البرنامج الاخبارى الشهير بالولايات المتحدة Nightline . ABC بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ قد وظف استرتيجيات «القوالب الذهنية الاستاتيكية » حيث اضاع الوقت فيما اعده مسبقًا من أن الرواية ضد الإسلام وضد المسلمين وإن المسلمين غاضبون الخ ولم يلتفت إلى أسلوب سلمان رشدى الذى حاول أن يتحدث عن قضية حرية التعبير فى الثقافة الإسلامية وبالتالى لم يفند ذلك المتحاور حُجج رشدى الواهنة والضعيفة .. الأمر الذى أكسب رشدى مناصرة لا تستند للحق بأى حال . ويتضمن ملحق المقالات بهذه الدراسة ترجمة إلى العربية لمقال كاتب السطور فى هذا الصدد بعنوان « على الغرب إن يحذر الفخ الذى ينصبه رشدى : أطراف الجدال حول «الآيات الشيطانية » تتجاهل أصول الحوار الفكرى الإسلامى » جريدة الهويا ٢٨ / ٢ / ١٩٨٩ . (ص ٢٧٢)

٢ ـ المقصود « بالقوالب الذهنية المتفجرة »

"Explosive Schematic Agenda "

والمقصود أن يكون لدى متحاور ما قائمة موضوعات مُسبقة ويتحين أى فرصة لاطلاقها وأعلام الأخرين والفرق بين هذه الاستراتيجية الحوارية والسابقة « الاستاتيكية » هو أن إداء المتحاور هنا يكون ، أكثر انفعالية إلى الحد الذى يصل به إلى تطويع أو بمعنى أدق « تلفيق » السياق بالطريقة التى تتناسب شكليًا مع عملية اطلاق أو تدشين قائمة الموضوعات أو القوالب الذهنيةفى عملية التفاعل . ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن توظيف هذه الاستراتيجية غالبًا ما يكون من الملامح الرئيسية لخطاب الرفض والتطرف والاطلاقية وما أسماه كاتب السطور بخطاب التناحر D dog Fight discourse وتلك النوعية التى تعانى حالة حادة من الاحباط والاضطهاد أو المؤامرة فى بعض الأحيان وترتبط هذه الصورة ارتباطاً وثيقًا بنمط حوارت التأطير «ا لنمط رقم ٢ والذى تناولناه بالتحليل فى هذا الكتاب .

وإذا كـان المفـاوض العـراقـى فى أزمـة الخليج قـد قـام بتـوظيـف هـذه الاستراتيجية بكثافـة عالية فى تفاعـلات ما قبل وأثناء وبعـد الأزمة إلا أن هذه الظاهرة مع الأسف تتجسد فى كثير من تفـاعلاتنا الاجتماعية والأسوء أنها قد وصلت إلى التفـاعلات الاكـاديمية حيـث تتنوع صـور هذه الاستراتيجيـة من خـلال التصنيـف المتسرع أو المتعسـف للمتحاور الأخـر وللنـص وبتحميـل النصوص ما ليـس بها وبتوظيف استراتيجيات « احتكار الحقيقـة » بصورها المتنوعة مع حدة ملحوظة فى الالفاظ المستحدمة

وللتدليل على الاستراتيجيات المتعددة التى تعكـس صورًا من نمط الأجندة أو القوالب الذهنيـة المتفجرة من خلال تفاعلات الأزمة الثقـافية المزمنة سوف اقدم في هذا الجزء مـن الدراسة تفاعلات حـوارية حقيقية حدثـت مؤخراً بين كـاتب هـذه السطور وأحـد الأخـوة الذيـن يمثلـون قطاعـاً فى واقعنا الثقـاف الاكـاديمي ولقـد بـدأ هذالحوار على صفحـة الفكر الثقـافي بجـريدة الاهـرام والمقالات الخمس التالية تمثل عناصر التحاور وهي كالآتي :

المقال الأول

العقل العربى .... والحوار مع «الاخر» ..

عندما نتنـاول بالتحليل موضـوع الحوار مع الاخر ، فإن الامـر فى واقعه يتعلـق ببعـدين رئيسين للتحليـل . البعـد الاول ويتعلـق بتحليل التفـاعـلات الحواريـة داخل محيطنـا الثقاف . والبعـد الثانـى ويتعلق بتحليـل التفاعـلات الحوارية بيننا وبين ذلك الاخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا . ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبـول المطلق أو الرفض المطلق» بمستوياته وظلاله المتعددة وادواته المختلفة ، ولاسبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الامثلة التى تؤكد على هـذه المقولة فى سياقنا هذا . ولكن ما أود أن القـى بالضوء عليه

هو ان رد الفعل التلقائى لمعالجة نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق كان تبنى البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطيين أو التوفيقيين» وهؤلاء قد انقسموا إلى فئتين : الاولى تمثل هؤلاء الذين ادركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات فى عالم اليوم والذى لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا فى احراز اهدافهم واتسمت تفاعلاتهم فى نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل فى ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الاخر على حساب هذه القيم الاصلية . اما الفئة الثانية من الوسطيين فهى تلك الفئة التى تتفاوض مع الاخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن امور تتعلق بنظام القيم الثقافية الاصيلة . وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الاطلاقية ايضا ، وهذه الفئة هى التى جعلت لتعبير «الحل الوسط» مدلولات سلبية ، بحيث اصبح التعبير يعنى التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية ، وهذا المعنى هو الذى يهيمن على ادراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربى والاسلامى . ومايلقى بالضوء على هذا الامر ماذكره باحث اللغويات الاجتماعى بروس فريزر فى بحثه الذى تناول فيه ادراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "Compromise" . ولقد أورد الباحث عدة امثلة منها مثل من الشارع الاسلامى فى ايران حين ذهب مبعوث الامم المتحدة إلى ايران بشأن التفاوض فى ازمة الرهائن الامريكيين الشهيرة ، ويذكر الباحث انه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير «حل وسط» واعلن انه جاء للوصول إلى «حل وسط» . فما كان من الجماهير الا أن رشقت سيارته بالحجارة .

اننا اذا ماحاولنا اقتفاء مفهوم «الاطلاقية» من منظور نخبوى لتأملنا ايضا مقولات د. محمد عابد الجابرى والذى يعد واحدا من اهم المفكرين العرب المعاصرين ، وهنا نجد ان الجابرى عندما يتحدث عن مفهوم «الاستقلال التاريخى للذات العربية» ، فإنه وبكلماته يتحدث عن « الاستقلال التاريخى التام» كما ورد فى مقولته الرئيسية فى كل من كتابيه «الخطاب العربى المعاصر»

و «تكوين العقل العربى» (انظر المصدر الاخير ص ٥٦٧) ... وان مايؤكده د. الجابرى بصورة جلية هو التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين «السلفى» و «الاوروبى» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخى التام للذات العربية ، وفى طيات هذه المقولة نجد ضلالا قوية لمفهوم «الاطلاقية» والتى تؤكد فى نفس الوقت على هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعاش بكل تعقيداته البالغة والحقيقية . إنه من المتعين علينا ونحن بصدد تقييم تفاعلاتنا مع الاخر وبصدد «نقد العقل العربى» أن ناخذ بعين الاعتبار النقاط التالية :

١ـ ان تبنى امر «الاستقلال التاريخى التام» أو ماشابه ذلك من مقولات اطلاقية فى عالمنا العربى هو بمثابة استمرار «الحلم العربى» المجرد والذى يخرج عن نطاق نواميس» «احلام البشرية المتعددة» مثل «الحلم الامريكى» ، و «الحلم اليابانى» و «الحلم الالمانى» ... فهذه «الاحلام» لم تتصف باستغراق المجرد والاطلاقية وانما واكبها لحظة بلحظة الاخذ بعين الاعتبار ميكانزمات الواقع والتجربة المعاشة بكل تعقيداتها ومكوناتها قبل أى شىء أخر .

٢ـ ان علينا ان ندرك ان ساحة التفاعلات قد إتسعت فى عالم اليوم واصبح من شبه المستحيل الحد من هذه التفاعلات الامر الذى حدا بخبراء العلاقات الدولية إلى تقييم وشرح مفاهيم جديدة مثل «القرية العالمية» "Global Village" ومفهوم الاختراق المتبادل (Interpentration) .. والذى يعنى امكانية عرض المفاهيم الثقافية المتباينة للثقافات المتنافسة على صعيد العالم من خلال قنوات دولية متعددة .

٣ـ ان علينا ان ندرك اصول وقواعد المباريات الدولية على كافة الاصعدة مع التمسك بالقيم الاصلية والايجابية التى تميز ثقافتنا العربية الاسلامية فهذا هو الطريق الذى يحتاجه مسار هذه الامة حتى تتمكن

من التخلى عن موقع المتلقى وتعود إلى ساحة الاسهام فى حضارة عالم الغد ... فالتهاون فى هذه المعطيات قد يمكن الثقافات المتصارعة أو المتنافسة من احداث «إحلال ثقافى» فى منطقتنا .. الامر الذى سوف يعمق من حدة ازمتنا الثقافية .. وهو الامر الذى ينبغى ان ندق له الاجراس .

د. حسن وجيه جامعة الازهر
(الاهرام ٢٥/١٠/١٩٩١)

المقال الثانى

تعليق على مقال «العقل العربى .. والحوار مع الاخر»

تعليق للاهرام :

«ننشر هذا التعليق الجاد (رغم حدته) ليس فقط من باب تاكيد إيماننا بحرية الفكر وحق الجميع فى طرح افكارهم ورؤاهم على الاخرين ، ولكننا ننشره ايضا لتأكيد ضرورة الحوار نفسه وإحتياجنا إليه من أجل بلورة منطلقات فكرية واضحة تؤسس لعصر التنوير الثانى الذى يكافح كل «العقلانيين» فى سبيله .. وغنى عن القول اننا ننشر هذا التعليق رغم إختلافنا مع منطلقاته وتحليله لكثير من النقاط ...» .

مقال كاتب التعليق :

يبدو ان النخبة المنتجة للفكر فى مصر ، وربما فى غيرها ، لاتملك فى مواجهة ازمتها الراهنة إلا أن تقوم – لعهدها على الدوام – بإعادة إنتاج فكرها ، وإجترار نفس خطابها الذى لم تفلح مائتى عام من النهضة المحيطة فى زحزحته والخلاص من هيمنته ، حتى لقد بدأ الخطاب – إذ يعيد إنتاج نفسه بلا كلل – أشبه بعنقاء اسطورية تنبعث ثانية من رماد إحتراقها فى إنكسارات لاتنتهى وهكذا فإنه بالرغم من ان الاهرام يطالعنا كل اسبوع بمفكر مصرى

جديـد ، فإن الجدة عنـد معظم هؤلاء الجدد ، لاكلهـم ، لاتعنى إلا إعـادة إنتاج خطاب نخبتهم وذلك بعـد زركشته بالطبع بالمقولات الاكثر حـداثة المتداولة فى النتاج الاكثر معاصرة للعلوم الانسانية الغربية .

– ضمـن هـذا السيـاق ينـدرج المقـال الـوارد على هـذه الصفحـة يـوم ٢٥/ ١٠/ ١٩٩١ عن «العقل العربى والحوار مع الآخر » للاستاذ حسن وجيه الذى لايفعل شيئا إلا إعـادة إنتاج خطاب النهضة الكلاسيكى » وبلغـة الكاتب نفسـه خطـاب «هؤلاء الـذيـن ادركـوا عـن عمـق حجم وطبيعـة العـلاقـات والتداخلات فى عالم اليوم الذى لانملك أن نعيـش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا فى إحراز اهدافهم وإتسمت تفاعلاتهم فى نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيـل فى ثقافتنـا ، ولم يكـن التفاوض مـع الاخـر على حسـاب هذه القيـم الاصلية» .إنه إذن خطاب النهضة العربية . الذى دشنه الطهطاوى وخير الدين التونسـى فى القرن التـاسع عشر فيعاد إنتـاجه – رغم كـل عجزه وإخفـاقه – بمفردات نهايـات قرننا .. إن الخطاب المؤيـد الذى تستعصى صيغته النظـرية التلفيقية على الانكسـار ، وذلك رغـم كل الانكسارات التـى طالتـه فى الممارسة إبتداء من إنسكار محمد على وإنتهاء بإنكسار عبد الناصر .

والحـق أن المقـال يـاتى تعبيرا نموذجيـاً عــن ثوابت خطـــاب النهـضة الذى تصور التقدم تفاعلا كيميائيا أو حواريا بين الانا والاخر ، وهو تفاعل لم يتحقق قـط لغياب شرطه اللازم . ولكـن خطورة المقال تأتـى من إصراره على وصـم الطموح إلى التحـرر الكـاملة للـذات العـربية مـن أى سلطـة مرجعيـة بالرومانسية والتجريد ، وايضـا مـن الحاجة ، فى هذا الظرف التاريخى الدقيق الذى يتكالب فيه العرب على التفاوض ، على تبرير مفهوم ، الحل الوسط » وهو فى حالنا الراهـن لن يكون «حلا وسطا» – باسم العقـلانية والواقعية وغيرهما من مفـردات قامـوس ايامنـا . ومن هنـا ضرورة تفنيد دعـاوى هذا المقـال – الخطاب .

فأولا : يتحدث المقال عـن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الـذين نجحوا فى إحراز اهدافهم وإتسمـت تفاعلاتهم فى نفس الوقت بعـدم الاخلال بنظام القيم الاصيـل فى ثقافتنـا » . ولا اظن هـذا القول صحيحـا ابدا .. إذ الحق ان معظـم الليبراليين – وهو الاسم المتداول على الوسطيين – قد إنتهوا فى الاغلب إلى الغرق حتى الاذقان فى لجة التراث معبرين من جهة عن أخفاق اطروحاتهم التنويرية ، ومكفريـن عن بداياتهم المفرطة فى إعجـابها بالغـرب من جهة أخـرى . إن من يطالع مجرد عناوين النصوص المتأخرة لفيالق الليبراليين ابتداء من الطهطاوى وحتـى زكى نجيب محمود ومـرورا بطـة حسين والعقاد ليـدرك ان النهايـة التراثية – بل والصوفيـة احيانا – لهؤلاء تمثل ظاهرة تستحـق الدرس . ومن جهة أخرى فان النفـوذ المتعاظم لما يسمى بالتيارات المتطرفـة دينيا التى تظهر عداء لاهوادة فيه لكل ما هو عقلانـى أو تنويرى ليكشف عن زيف الادعاء بان هؤلاء الليبرالين – ذوى الاهداف التنويرية – قد نجحوا فى إحراز من اهدافهم .

وثانيا : يرى الكاتـب فى القول بضرورة «التحرر الكامل للـذات العربية فى السلطـة المرجعيـة للنمـوذجين السفلى والاوروبـى » ظـلالا قـويـة لمفهـوم «الاطلاقيـة» الذى يـؤكد – حسـب قوله – هيمنـة نمط الانعـزال عن الـواقع المعاش. وإستمـرار لما يسمى بـالحلم العـربى المجـرد . على الذات العـربية ان تنخرط – حسب الكـاتب – فى الحوار مع الاخر بـدلا من مداعبه هـذه الاحلام الطوباوية ، والحق ان التحرر الكامل للـذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفـى والاوروبى ، بل ومن سلطة كـل نموذج ، هو الشرط المسبق لكل حوار فدون هذا التحرر لن يكـون التفاعل حوار بل ضياعا . وإذن فإن الحديث عـن الحوار مع الاخر كفرض قابـل للتحقق هكذا مع تغييـب كامل للشروط التى يستحيل دونها هـو الذى يعكس . فى المقابل ، ظلالا قـوية لمفهوم الاطلاقية الذى يتكشـف هنا عـن ضرب من التفكير الاتاريخى يستبدل التاريخ بالنموذج الامريكـى أو اليابانى أو الالمانى ، كما يمثل إستمرارا للـوقع العربى

البائس ، وإلا فهل تملك الذات العربية فى ظل شروط وجودها الراهن من الندية ما يمكنها من ان يكون تفاعلها مع الاخر حوارا لاضياعا ؟

وهكذا فإن الطريق إلى التخلى عن موقع المتلقى والعودة إلى ساحة الاسهام فى عالم الغد – وهو املنا جميعا – لن يكون بمجرد الدعوة الرومانسية إلى الحوار الايجابى مع الاخر ، بل يتأسس جوهريا على ضرورة التحرر من السلطة المرجعية لأى نموذج ، وأعنى ضرورة التحرر من هيمنة «ابستيمولوجية» النموذج التى تغلق امام العقل العربى أى طاقة للابداع ، والتى تمارس ، للأسف ، فعلها فى وعينا على نحو غير مشعور به حتى لو إدعينا أكثر الحالتين حداثة .

على مبروك مدرس مساعد

كلية الأداب ـ جامعة القاهرة

(الأهرام ٨ / ١١ / ١٩٩١)

المقال الثالث

رد على التعليق : العقل العربى والحوار مع الأخر

فى بداية الرد على التعليق الذى ورد بهذه الصفحة بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٩١ اود ان اشكر للكاتب حماسه ومشاركته فى الحوار ولكننى اجد فى تعليقه مايمثل صورة متكررة من صور ذلك «الخطاب» الذى يجسد العديد من سلبيات الحوار التفاوضى على المستوى التقنى وهذه السلبيات تشكل مشكلة اساسية تواجهنا فى تفاعلاتنا اليومية وهذه بعض منها :

١ـ التصنيف المتسرع للنص وللمتحاور الأخر :-

يأتى تعليق الكاتب غنياً بواحدة من سلبيات تفاعلاتنا الحوارية وهى الخاصة بتصنيف أحد المتحاورين للاخر ووضعه في إطار معين بسرعة ملفته

لاتدل على التروى المطلوب في الحوار ليكون موضوعياً.. يقول التعليق :-

«يتحدث المقال عن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا...» ثم يُصنف الكاتب «هؤلاء الوسيطين» على أنهم «الليبرالين»... ويهاجم بعد ذلك جهودهم واجتهادتهم..ويلاحظ هنا ويلاحظ هنا أيضا أن كاتب التعليق يضع رموز « الليبراليين » « والوسطيين » في قالب واحد دون أدراك للفروق بينهم سياسيًا هذا في الوقت الذى لاتمثل كلماتى في المقال «الليبرالين» أو غيرهم على وجه التحديد... ولكن الكلمات تعنى بوضوح «أى متحاور يتفاعل مع الاخر دون أن يتخلى عن ثوابت القيم الاصيلة في ثقافتنا... فربما يكون هذا المتحاور مبعوثا ليس له أى إنتماءات مصنفة سوى حبة لتراب وطنه... وربما يكون مفاوضاً لشركة من شركات الزلط أو الشيكولاته، وربما يكون ممثلاً سياسى في وفد من الوفود .!!.

٢ـ تبرير «الحل الوسط» !!

يقول التعليق .... « ولكن خطورة المقال تأتى من اصراره على وصم الطموح الى التحرر الكامل للذات العربية من أى سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وايضاً من الحاجه، في هذا الظرف التاريخى الدقيق الذى يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم «الحل الوسط» ....الخ» .

وهنا أود أن الفت نظر الكاتب والقارئ الكريم الى أن ما كتبته في مقالى بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٩١ لم يكن أساساً تبريراً لمفهوم «الحل الوسط» وبالطريقة التى عُرضت بالتعليق، بقدر ما كان توصيف موضوعى لما لحق بادراكنا لهذا التعبير .... ثم إنه ولو فُهم على كونه تبريراً «للحل الوسط» الذى لايمثل تهاونًا في القيم الاصيلة والايجابية في ثقافتنا العربية الإسلامية كما ذكرت ذلك بالنص ...فلماذا يحدث كل هذا الانفعال لدى الكثيرين عند مجرد

سماع تعبير «الحل الوسط» والذى يعتبر مفهوم اساسى لحل أى صراع إجتماعى أو سياسي في عالمنا ... فهناك دائماً هامش كبير «للحلول الوسط» ويرتبط استخدام هذا الهامش إيجابياً بالفهم الحقيقى والعلمى لطبيعة وقواعد مباريات الصراع الإجتماعى والسياسى. إن هذا المفهوم ليس أصيلاً فقط في الثقافة الغربية ولكنه مفهوماً أصيلاً- اذا ما أحسن توظيفة بذكاء- في ثقافتنا العربية الإسلامية. ففى صلح الحديبية تخلى الرسول ص عن وصف «الرسول» المنسوب اليه حقا ونزل الى طلب الكفار بمنادته بالاسم المجرد، حيث وجد ص ان هناك هامش من المرونه في التفاوض لن ينتج عن استخدامه أى مساس بالرسالة . وفي أدبيات الحروب الصليبية التى لايزال الغرب يتناولها بالتحليل الدقيق إلى يومنا هذا، نجد العديد من الأمثلة التى تتعلق بالفهم الإيجابى لمفهوم الحل الوسط في عدد من المواقف التى كان الناصر صلاح الدين طرفاً فيها والذى وصف في أدبيات الغرب بكونه المحارب والمفاوض المحنك الذى أتقن ببراعة قواعد إدارة الصراع وهناك كتاب تفصيلى حديث للكاتب (Stanely lane- Pool) بعنوان «صلاح الدين وسقوط مملكة القدس» (١٩٧٨) لمن يريد الإطلاع على تلك التفاصيل ... الاخ كاتب التعليق : لقد كان كلامى دقاً للاجراس بخصوص هذا المفهوم وليس مجرد تبريراً له في هذا الظرف الدقيق !! .

٣- «الاطلاقية» ووقائع التفاعل العلمية :

ينتقد كاتب التعليق ما ذكرته من وجوب التخلى عن «نمط الانعزال عن الواقع المعاش» ويصر على التمسك بمقولة «التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفى والأوروبى، بل ومن سلطة كل نموذج، فهذا هو الشرط المسبق لكل حوار.... فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حوارًا » بل ضياعاً»...

ومرة أخرى إن مثل هذه المقولــة براقة ورمانسية حقاً واختلافنا هنا ينبع من اختــلاف فى اسلوب التفكير اساســاً لأن مثل هذه المقولــة لاترقى للتعــامل الفعلى و الإيجابى مــع حقائق التفاعــل العلمية البحتة التــى يقرها علــم النفس اللغوى والإدراكىPsycho & Cognitive Linguistics... وحتى لايغضب كاتب التعليق مــن إستخدام مفردات العلوم الإجتماعيــه الحديثة) أقول أن مثــل هذه المقولة لاتقرهــا كافة وقائع تاريخ البشر على إمتــداده .. فالحوار دائماً وابداً له منطلقــات مهيمنة عليــه... وتتصارع مثــل هــذه المنطلقات ويمثــل تصارعهــا وحضورهــا الواضــح بداية لاى حــوار ... فالاســلام جاء لاتمام رســائل الله السابقة ولكن ايضاً عبر عن أقــوى صــور الحوار المتصــارع .. لقد جاء الإسلام ليتعامــل مع هيمنة أنماط مــن العقائد الأخــرى السائدة .. والماركسية عنــدما ظهرت إلى حيز الوجود جاءت كفكرة لتتعامل مع هيمنة الرأسمالية، وبعيداً عن العقــائد والايــديــولــوجيات فــإن حــوار علماء الفضــاء بخصــوص المكــوك الفضائى(Space shuttle) قد هيمنــت عليه سلطــة نموذج أو فكــرة الطائرة أو لنقل نموذج الطائرة التى يمكنها أختراق المجال الجوى.. إذاً فمقولة الاستقلال التاريخى التام لأى ذات في العالم أو التخلص مــن هيمنة فكرة أو نموذج سائد كشرط مُسبق لعملية التحاور ماهو الا من قبل المقولات الجوفاء والرومانسية التى لايمكن ممارستها عملياً وغير قــابلة للحدوث الحقيقى من منظور التفكير العلمى للتفاعل.

٤ـ بعض من ملامح الخلل الشائعة فى اقامة وتفنيد الحجج :

هناك اسس علمية مفتقدة للغاية في كثير مــن تفاعلاتنا بخصــوص أسلوب إقامة الحجج وتفنيدهــا، وفي سياق ما أورده كاتب التعليق أود أن اسلط الضــوء على قوله : «إن النفوذ المتعــاظم لما يسمى بالتيارات المتطرفــة دينياً والتى تظهر عداء لاهوادة فيه لكــل ماهو عقلانى أو تنويرى ليكشف عــن زيف الادعاء بأن

هؤلاء الليبراليين – ذوى الاهداف التنويرية – قد نجحوا في أحراز أى من أهدافهم»..

والنقطة التى اتعرض لها هنا تتعلق بخلل تقنى واضح في تفنيد الحجج وهو مايسميه علماء اللغويات الاجتماعية (Non Sequitur) أو ببساطة مايفيد أن «هذا الامر ليس بالشرط دليل على ذاك؟! فتعاظم التطرف له بالتأكيد أسباب أخرى متعددة ولا يعود فقط لإحتمال وجود قصورًا كبيراً أو صغيراً في إجتهادات أعلام التنوير المذكورين ابتداء من الطهطاوى وحتى زكى نجيب محمود ومروراً بطه حسين والعقاد، طبقاً لكاتب التعليق.

٥ـ الاصرار على "التسحلف" و "الانسحاب" :

من أكثر سلبيات تفاعلاتنا سواءً الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا، بدلاً من التفاعل الإيجابى والأخذ بتلابيب الأمور– هذا في الوقت الذى نملك فيه الكثير من مقومات التحرك الواعى رغم كل القصور المنظور فمثل هذا التحرك هو المخرج الوحيد من مهالك الوقوف «محلك سر» فكاتب التعليق ينتقد مقولة :

« على الذات العربية أن تنخرط في الحوار مع الأخر بدلاً من مداعبة الأحلام الطوباوية» ويتسأل «وهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية مايمكنها من أن يكون تفاعلها مع الاخر حواراً لا ضياعاً؟»

إن هذه المقولة تمثل دعوة لتأجيل الأمور في الوقت الذى لانملك ذلك .. فهى بمثابة أن نقول للمتصارع أو المتنافس معنا حضارياً: من فضلك انتظر إلى أن نتحرر من سلطة نموذجك ونموذج س أو ص حتى يكون لنا الاستقلال التام والندية معك؟! الا نعلم بعد أن من بديهيات الحاضر والتاريخ ان الصراع ماض

(*) المقال رقم (٣) هو النسخة الأصلية التي أرسلت لصفحة الفكر بجريدة الأهرام قبل ان يتم اختصارها (بمعرفة كاتب السطور لاعتبارات حيز المساحة ونشرت بتاريخ ٦/١٢/٩١ .

إلى يـوم الـديـن وإنه لايـرحـم " المتـوسلين والمتسحلفين" وإن المتنـافسين والمتصـارعين الذين نواجههم يركبون قطاراً سريعاً يمكنه سحق السلحفاة التى يصر البعـض على ركوب ظهـرها ويـريـدون ان نعبر بها معهم مـن أمام هـذا القطار!! أليس من الأفضل النزول مـن على ظهرها والتحرك بدونها... اليس في هذا فقدان لابسط مبادئ عقلية التحرك بصيغة أكثر فاعلية والتعرف على «فن الممكن»... فحتى إذا لم تكتمل الندية لاسباب هى دائمة غاية في التعقيد ... اليس من الاشرف لنـا دائماً أن نقبل التحدى ونـنـزل إلى سـاحـة التفاعل بـإيجابية .. فحتى إذا خسرنا فستكون خســارتنا أقل فداحة بكل تأكيـد من فداحة الهجاء الاجوف والرمانسـية والطوبـاوية التى غاص فيها العقل العـربى وأغرق بها وفيها أجيال متلاحقة !! .



المقال الرابع
عودة إلى قضية :
العقل العربي والحوار مع الأخر

الحق أن جزء من خطاب النخبة في عالمنا العربي يجتهد في رفع ورقة الحوار مع الأخر ـ المغاير لستر عورة عجزها وإفلاسها في مواجهته ، ولكنها حين تنجر إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة ، فإنها لا تفعل إلا أن تمارس ـ على طريقة أسلافها التكفير وإن بمفردات عصرية ناعمة . ولعله يدهش المرء حقا ذلك التنازل إلى حد التفريط الذي تمارسه النخبة العربية ـ باسم الحوار ـ مع الآخر الخارجي ، والتسلط إلى حد القمع مع مواطنيها في الداخل .

وهي وإن تجملت وأشارت إلى أنها تقصد « المتحاور داخل محيطنا الثقافي وليس المتحاور من خارجه » فإن ـ سياق الخطاب ـ وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب ـ يتكفل بالكشف عن قصدها الأصيل .

وإذ الأمر يتجاوز ما هو شخصي إلى بنية خطاب النخبة بثوابته ومقولاته وحتى بفجواته وتشققاته ولا وعيه المعرفي وبالمسكوت عنه فيه ، فإننا نتجاوز ما هو شخصي في الرد الوارد بهذه الصفحة يوم ٦ / ١٢ / ١٩٩١ على تعليقنا على مقال « العقل العربي والحوار مع الأخر » .. نتجاوز ما هو شخصي ونصر على الحوار ، وقبله لابد من شكر الكاتب لأنه اتاح لنا برده على تعليقنا فرصة التفصيل بعد إيجاز إدعى معه البعض عسرا في الفهم لم نكن على قناعة به إلى أن قرأنا رد الكاتب ، فأيقنا صدق الادعاء .. ومن هنا ضرورة التفصيل حسب ما يقتضيه الحيز .

وأولا : لابد من التنبيه إلى أن أحدا لا يدعو الذات العربية إلى التمترس خلف أسوار عزلتها رافعة لواء الاضراب عن الحوار مع الآخر ، ولكننا فقط ندعوها ـ وبعد قرنين من إدعاء الحوار مع الغرب لم ينتجا إلا الانسكارات المستمرة ، ولم يكرسها إلا المزيد من الاحباط والضياع ـ إلى النظر في جدوى توافر الشروط اللازمة ليكون حوارها مع الغرب مُنتجا على نحو إيجابي لا مُضيعا كما هو الآن. أن إهمال النظر في هذه الشروط اللازمة لإنتاج الحوار قد جعل الذات العربية تحيا خارج التاريخ ، حيث اكتفت بأن ترى في تاريخ الآخر تاريخا لها ، فبدت وكأنها معلقة في الزمان ، لا هي تحيا تاريخها من جهة ولا هي أهل من جهة أخرى لأن تحيا تاريخ الأخر . إذ التاريخ ليس مجرد التزامن مع الآخر في لحظة ما ، بل هو تراكم للخبرة والتطور لا تستطيع الذات العربية ادعاء امتلاكه. إنها عبثا توحد نفسها مع تاريخ الآخر انطلاقا من مجرد التزامن معه في لحظة واحدة . فتسلك مع الحداثة بعقلية (البدوي) الذي يرى فيها متاعا يمكن نقله بالضبط كما تنقل الخيمة في الصحراى من شعب إلى آخر ، وتمارس السياسة بسلوك القبيلة ، إنها إذن تحيا الحداثة بثقافة التخلف وتاريخه . ومن هنا عجزها وإخفاقها الدائمان ، ليس في الأمر إذن دعوة إلى الاضراب عن الحوار ـ كما توهم الكاتب ـ وإنما هو الاصرار على ضرورة توافر شروطه اللازمة وأهمها رد الذات إلى تاريخها ونقد ثقافة التخلف وأدوات إنتاج المعرفة السائدة في حقلها، وتحريرها من هيمنة النماذج الجاهزة التي تعوق قدرتها عن إنتاج معرفة مطابقة ـ لا زائفة ـ بواقعها وتاريخها . وليس في ذلك أبدا أي نوع من « الاستغراق المجيط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا » ، بل هي المصارحة مع الذات التي هي أول الدرب إلى الوعي . وليس فيه أيضا ذلك « الاصرار على ركوب ظهر السلحفاة أمام قطار المتنافسين » بل فيه الخوف من ركوب القطار بمنطق السلحفاة كما نفعل الآن للأسف .

وثانيا : يبقى ، رغم الكاتب ، إن تحرر الذات العربية من السلطة المرجعية

للنموذجين السلفى والأوروبي ـــ بل ومن السلطة المرجعية لكل نمـوذج ـ هو الشرط المسبق لأي حوار » . ومن المفارقات أن هذا هو ما تقره على عكس إدعاء الكاتب حقـائق التفاعل العلمية ووقائع التاريـخ البشري ، ولكن على شرط فهم التحرر في إطار قوانين المنطق الجدلي لا الصـوري . ذلك أنه إذا كان نمط التحرر من الآخر في إطار قوانين المنطق الصوري يعني نفى الآخر واستبعاده ، وهو ما فهمه الكاتب وحاكمنا في ضوئه ، فإن نمطه في إطار قوانين المنطق الجدلي يعني استيعاب الآخر واحتواءه توطئه لتجـاوزه وتخطيه . ضمن هذا السياق تكون الـدعوة إلى ضرورة تحرر الـذات العـربية مـن السلطـة المرجعية للنمـوذجين الأوروبي والسلفـي دعـوة إلى استيعـاب النمـــوذجين واحتـوائهما تـوطئـه لتجاوزهما وتخطيهما ، وذلـك بدلا من تـركهما يمارسان السيطـرة علينا على نحو غير مشعور بـه ، واستيعابنا على نحو لا يبدو لنـا فيه أي أمل في الخلاص من هيمنتهما . إن التحـرر هنا يتحقق عبر الفهم لا عبر النفي .. عبر الاستيعاب لا عبر الاستبعاد .. عبر إنتاج المعرفة العلمية لا عبر الدعاوى الرومانسية .

وأخيرا تبقى الإشارة إلى أن الليبرالية في السياق العربي هي عنوان إصطلح عليه في الفكر العربي الحديث على طريقة ما في التفكير وليس على مجرد الانتماء السياسي ، و هي طريقة في التفكير تنطبق ملامحها تماما التطابق على فكر أولئك الوسطيين أو التوفيقيين ـ وبالأحرى التلفيقيين ـ الذين يتحدث عنهم الكاتب . ومن هنـا فإن ليس ثمة تصنيـف متسرع للنص أو للمتحاور مع الآخـر ـ كما إدعى الكـاتب ـ بـل ثمة قراءة تنشغل جـوهريا بـالأبنية العميقة التـي تنتظم التفكير وتوجه مساره ولا تقف عند حدود المعلن أو المصرح به في النص .

على مبروك كلية الاداب قسم فلسفة
جامعة القاهرة
الأهرام ١٧ / ١ / ٩٢



المقال الخامس

العقل العربي والحوار مع الأخر

في إطار قضية العقل العربي والحوار مع الآخر ، أود أن القي الضوء على قضية عامة وهامة للغاية وهي الخاصة بضرورة الالتزام بقواعد وشروط «التحاور الجدالي» . والدافع لاثارة هذا الموضوع هو تلك الانتهاكات الصارخه الواضحة التي يمارسها الكثيرون في حوارتهم مع الآخرين في واقعنا الثقافي .. ولان هذا الامر له سياق تفصيلي أخر لا يسمح به حيز المساحة هنا ، أود فقط ، أن القى بالضوء على بعض السلبيات التي تشكل انتهاكًا رئيسيًا لهذه «الشروط» . ويمثل التعليقان الذي أرسل بهما الأخ على مبروك بتاريخي (١٨ / ١١ / ٩١)، (١٧ / ١ / ٩٢) إلى هذه الصفحة ـ التي تتبنى مشكورة هذا التحاور ، الذي نرجو أن يكون بناءًا ومثمرًا في النهاية إن شاء الله تعالى ـ .. يمثل التعليقات مادة خصبة لالقاء الضوء على هذه السلبيات الشائعة (الصارخة) وبأمثلة محُددة . فبالاضافة إلى ما أوردناه في تعليقنا بتاريخ ٦ / ١٢ / ٩١ نلقي بالضوء على الآتى .

١ ـ حوارات تحميل النص ما ليس به والاجتراء على اخراج الكلام عن سياقه (في وضح النهار) !!

في اطار تحليلينا لهذه هذه الظاهرة تناولنا وبقدر من التفصيل نمط «التأطير» Framing بنوعية اللاشعوري والمتعمد طبقا لما نبهت إليه العديد من الدراسات في علم اللغويات الاجتماعي على نفس هذه الصفحة بتاريخ ٤ / ١ / ٩١، وكان ذلك في معرض تحليلنا لتفاعلات أزمة الخليج والأزمة الثقافية

المزمنة التي لا نزال نعيش لحظاتها ولكن لدينا الأن ما نضيفه من صور اخرى لهذه الظاهرة وهي جديرة بالدراسة والتأمل ... ولتوضيح ذلك نقول إن لدى الأخ المعلق ما يقوله عن

« محاولة البعض رفع ورقة الحوار مع الأخر المغاير لستر عورة العجز والأفلاس في مواجهة الحوار ذاته ،وعن هؤلاء الذين حين « ينجرون » إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة .. فأنهم لايفعلون شيئًا إلا أي يمارسوا «التكفير » بمفردات ناعمة ... وعن تنازل البعض إلى حد التفريط باسم الحوار مع الأخر الخارجي والتسلط لحد القمع مع المواطنين في الداخل.. » إلى غير ذلك من هذه الممارسات التي أقل ماتوصف به أنها غير اخلاقية ومتدنية ويدينها أي عقل سوي يسعى للتنمية الثقافية الحقيقية فى وطننا العربى .. وعند هذا الحد نقول أنه لمن المرجح اذًا أن الاخ المعلق يريد أن ينتقد كل هذه الصور المتدنية وغير الاخلاقية ، الأمر الذي يْشكر عليه ــ كذلك إذا أوضح المعلق في تعليقه الأخير بعض النقاط التي لم تكن واضحة في تعليقه الأسبق ـ فهذا هو الهدف من التحاور الإيجابي وهذا يُشكر عليه ايضًا .. ولكن أن يربط هذا المعلق بين كل هذه الصور السلبية للغاية وبين ما ورد في مقالي كما هو واضح ومباشر في تعليقه ، فهذا هو ما يجسد بجلاء ظاهرة من أسوء ظواهر التفاعل الشخصاني وهي ظاهرة تحميل النص ما ليس به من قريب أو بعيد والمصحوبة باخراج الكلام عن سياقه بطريقة مُتعسفة ـ.. فهنا يقوم المتحاور ـ كما فعل المعلق ـ بالادعاء (بكل الذاتية) ما يُفيد بأنه قد أحاط نفسه علما بعناصر السياق التي «تثبت » ما ذهب إليه من مقولات « تهجمية» وهنا يمعن هذا المعلق في التمويه على ذلك «الفاول الحوارى » الذي ارتكبه ويذكر شيء علمي نتفق معه فيه جدًا وهو « إن سياق الخطاب ـ وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب ـ يتكفل بالكشف عن القصد الأصيل للكاتب » ... الا إن السياق الذي يتوهمه هذا المعلق ليس باي حال سياق

المقال الذي يُعقب عليه ـ إن السياق الذي يتحدث عنه هذا المعلق ، من المرجح أن يكـون سياق الأجنـدة المسُبقة لـديه والتـي كـان يريـد أن يتحين أي فرصـة لاظهارها أو أطلاقها بأى أسلوب أو طريقـة فى وجه الآخرين وهذا ما يسميه علماء اللغـة النفسيين Psycholinguists (Explosive Schematic Agenda) (القوالـب المتفجرة)حيث يبدو أن هنـاك بالفعل أجنـدة (قائمة بموضـوعات محددة ومسبقة) لنقد أوضـاع معينة لدى هذا المعلـق ،ولكن مع الأسف كانت طريقـة هذا المعلق ومنـذ بدء تفاعلـه في هذا الحوار هي التصنيـف المتسرع بل والمتعسـف (مرة أخرى) وتحميل النص وإخـراج الكلام عن سياقه وبتكثيف للألفـاظ الحادة ... كم كنت اتمنى أن يعـرض الأخ المعلق أى وجهة نظر لـديه بطريقة ايجابية واكاديمية بعيدًا عن هذه الانتهاكات الصارخة لقواعد التحاور الموضـوعـي وبعيـداً عـن سيـــاق «التلفيقيين» ..تلـك الكلمـة التـي دأب على استخدامها الاستاذ المعلق في كل من تعليقيه .

٢ ـ استراتيجيات إحتكار الحقيقة في الحوار :

تعتبر استراتيجيـات احتكـار الحقيقـة في الحوار والتـي يـوظفهـا بعـض المتحاورين من الأسباب الرئيسيـة لهيمنة « الخطاب التناحرى » على مستوى كافة التيـارات في الوطن العربي ويسهـل ، في سياقنا هذا ، على القـارئ المحايد لنص التعليقين لهذا الأخ المعلق أن يجد العـديد من صور هـذه الاستراتيجيات الحوارية ويكفـى من الأمثلة هنـا الاشارة إلى بـادءات الحوار مثل «الحق ان » المتكررة في بـدء إدعاءات هذا المعلـق الرئيسية عنـد تفنيده لموضـوع هـو جدالي بطبيعة .. هذا بالإضـافة إلى تلك المقولات التقريرية للغاية والتي اكدها ودعمها المعلق بتكثيف واضـح للالفاظ الحادة التى لاحظها الجميع وسجلوا اعتراضـهم عليها ، ولا داعي لاعطاء أمثلـة لها هنا ـ ولكن يكفي من خـلال خصوصية هذا السياق أن نشير إلى قضية عامة أخرى وهي أن توظيف أسلوب الالفاظ الحادة في عملية التحاور والتي تحدث كثيرًا في واقعنا الثقافي ،يؤدي إلى هبوط مستوى

الحوار وعدم التركيز الايجابى على المشاكل الحقيقية .. والاشكالية هى انه عندما يبدأ متحاور ما في توظيف هذا الأسلوب يصعب على المتلقى السكوت عليه ، اذ ان المنطق الثقافي السائد ـ مع الأسف ـ هو إن السكوت على الأسلوب الحاد أو تجاهله قد يُفهم في غالبية الأحوال من قبل العقليات التصنيفية المتعسفة والتي عادة ما توظف هذا الأسلوب في حوارها على أنه انتصار لحُجهها التي عادة ما تكون مترهلة وانفعالية . إن ظاهرة شيوع توظيف استراتيجيات احتكار الحقيقة في الحوار بصوره المتعددة قد ترجع إلى ما أفرزه نظام التعليم التلقيني والذي فرض على البعض أن يبدأ التحاور مع الآخرين في قضايا هي جدلية بطبيعتها من منطلق من يقول « إنا أعرف الحقيقة واقرها وعلى المتلقي أن يسمع ويعي »!!

د. حسن وجيه

الأهرام ١٤ / ٢ / ١٩٩٢

خاتمـــــة

ان الهدف من هــذه الدراسة الاولية هو الاسهام فى صيــاغة جديـدة للغة الحوار السياســى والاجتماعي فما احــوجنا إلى ترسيـخ انماط جديـدة فى لغة التخاطب على مستوى الـوطن العربى . لقد كان الهدف الـرئيسى من التعرض بالتحليل لما أسميتـه "بخطايا الحوار التفاوضـــى" أو "بخطاب الفاولات" فى وطننا العربى هــو محاولة الاسهام فى وضع حد لهيمنة هــذا "الخطاب" الذى كان ولايزال من "اعرق" معوقات العمل الجماعــى فضـلاً عن انه كان من أهـم اسباب كوارثنا القومية والتى كانت كارثة خليج ١٩٩٠ أخرها واكثرها فداحة.

إن المعــالجة الجذرية لانماط التفــاعــل السلبية التــى نجـدهــا فى حوارنــا على المستويين الاجتماعــى والسياسى تستلزم التقـويم التقنى من خــلال العملية التعليمية والجهد الاعــلامى معاً . انه وبــالرغم من شيـوع صور هذه الانماط السلبية القــاتمة الا ان ساحة التفــاعلات العربية قــد اظهرت ملامــح واضـحة ايضاً من العقلانية والرشد الامم الـذى يجب الاشارة إليه والدعوة إلى تدعيمه ونحن بصدد ارساء اســس موضوعية للحوار يكون مــن شأنها ضبط المعايير اللازمــة لحوار البناء من الـداخل وادارة الصراع بكفــاءة فى الخارج والله ولى التوفيق وهو سبحانه المستعان .



ملحق الدراسة

« بعض النصوص الكاملة التى تم الاستشهاد بها



خطاب إلى الأجيـال القادمـة
د.حسن حنفى الأهرام ١٩٩٠/١١/٧

لقد اختلط كل شيء بكل شيء وتـداخلت الأوراق. وتبدلت المواقف بحيث أصبح مـن الصعب معـرفة ايـن الصواب وايـن الخطأ. وتعـددت التأويـلات والتفسيرات إلى حد التضارب والتناقض، وكل منها لـه براهينه وإدلته الدامغة وكـأننا عـدنـا إلى عصر الفتنة الكبرى بين على ومعـاويـة وانقسمت الأمـة إلى فريقين. وبرر فقهاء كـل فريق مواقف زعامته وقادتـه بالفتاوى والنصوص، نظر مثقفو كل فريق بالتاريـخ والسياسة واحتارت الأمة ايهما تختار؟ ودخل الأعلام في الساحـة داقا طبول الحرب، وحاشـا الجيوش عليها، عربيـة وأجنبية وكأنه لا خلاص الا بـالقتال وسفك الدماء وأثر فريق ثـالث الصمت لا انتظارا لنتائج الجولة حتـى ينضم إلى الفريق المنتصر فلا يخسر مكاسبـة من الفريقين ولكـن لعدم صـب الزيـت على النار وزيـادة الموقـف اشتعالا، وحقنـا للدمـاء فالفريقان خاسران، المنتصر والمهزوم، فالمنتصر قوات عربية في الظاهر وأجنبية في الحقيقة والمهزوم عرب أيضاً. سفك الفريـق الأول دماء العرب بايدى العرب والأجانب وخسر الفريـق الثانى قوة العرب التى يعـدونها للمواجهة في قضية العرب، في فلسطين.

وتخفيفا لحدة الحاضر، وخفتا لطبـول الحرب، وتجاوزا لاخطاء الماضـى، حقا تـاريخياً لفريق، وبعثـرة لأموال المسلمين من فـريق آخر فأن التـوجه إلى الأجيال القـادمة قد يساعـد على تجاوز عتاب الماضـى وأزمـة الحاضر ويكون السؤال: على أى شيء نربـى الأجيال القادمة بعد أن هدمنا كـل شيء. وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هنـاك قضية يمكن الدفاع عنها؟ ومن ثم استحـالت تربية المواطن، وصعب ايجاد اطار مرجعى يمكن الرجوع إليه أو معيار يمكن القياس

عليه. لقد انهينا كل شيء بأيدينا، وتحطمنا مثل اجيال عديدة، وهززنا قناعات تربينا عليها، وراحت ضحيتها الوف الشهداء مادافعنا عنه في الماضى أصبح موضوع شك وعدم أكتراث مثل الاستقلال الوطنى وعدم أكتراث مثل الاستقلال الوطنى وما حاولنا التخلص منه في الماضى بما في ذلك التخلص من الاستعمار وطرد المحتل الأجنبى أصبح الأن موضع نداء واستجداء. لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب وتحولنا مائة وثمانين درجة، من الشيء إلى نقيضة. انقلب الأيمان كفرا، وتحول الكفر ايمانا، أصبحت الآلهة أصناما وتحولت الأصنام آلهة، وتم مسخ كل شيء.

لقد أمنا بالليبرالية أولاً: وقام في مصر أول برلمان في المنطقة العربية منذ ١٨٧٠. وعرفت مصر ثمت أثر حركة الاصلاح الدينى عند الأفغانى ومحمد عبده، تعدد الأحزاب، والدستور وحرية الصحافة، والفصل بين السلطات وكانت الليبرالية نمطا للتحديث لمجتمعاتنا في التيارات الفكرية الرئيسية الثلاث في الفكر العربى الحديث منذ رواده الأوائل: الاصلاح الدينى عند الأفغانى، والنهضة المصرية عند الطهطاوى، والفكر العلمى العلمانى عند شبلى شميل. وعلى أكتافها قامت ثورة ١٩١٩، وحصلنا على دستور ١٩٢٣. ومن خلالها ازدهرت الحركة الوطنية المصرية، وتمت صياغة مشروعنا القومى الحديث قبل الثورة المصرية: الاستقلال التام ووحدة وادى النيل وقامت المحاولات الأولى للتصنيع، ولتنظيم الزراعة. ووضع المؤسسات، وتأسيس الدولة، وإنشاء الجامعة ، وإرسال البعثات التعليمية، وازدهار الثقافة، ونشأة الحركات الأدبية، وظهور اساطير مصر في الأدب والشعر والفن والفكر والذين تنحسر على اختفائهم الواحد تلو الآخر دون بديل.

ثم قامت الثورة المصرية وإنقلبت مثلنا رأسا على عقب. وتحولنا مائة وثمانين درجة، وهدمنا بأيدينا ما بنيناه بالأمس. فأصبحت الليبرالية العهد البائد، والأحزاب الفاسدة، والصراع على السلطة، والتبعية للغرب، وحادثة ٤ فبراير، وعصر الاقطاع، والتعليم للاقلية، وحكم الباشوات، والتلاعب بالبورصة. فشوهنا الليبرالية في حياتنا، وقضينا على مابنيناه بأنفسنا وكأن الحرية هى المسئولة عن كل ذلك.

وعانينا مـن غيابها ابان الثورة المصرية وبعد أزمـة مارس ١٩٥٤. اهتزت قناعات الجيل الواحد الذى عـاصر الفترتين وهو مازال في قمة العطاء، صدقا أو وصولا، ونشـأ جيل جديد، جيل الثورة، الاشـتراكية لدية بديل عن الحرية.

وصنعنـا نصبـا جديـداً، وأمنـا بمبـادئ الثـورة المصرية، ودافعنـا عـن الاشـتراكيـة والقوميـة وصياغتهـا الأولى في المبادئ الســت. وأيدنـا التأميـم، وفرحنا بالتمصير، وقاومنا الاعتداء الثلاثى، ونظرنا للاشتراكية الديموقراطية التعاونية، وجعلنا الوحدة مع سوريا بداية الوحدة العربية الشاملة. وازدهرت على أيدينا القوميـة العربية، وأصبحت مصر زعيمة العرب، وعبـدالناصر قائداً لنضـالهم، صـلاح الدين يعـاود الظهور ووضـعنـا اسس الاشتراكية العـربية وجعلنـاها التطبيـق العـربـى للاشـتراكيـة حـرصـا على الاشـتراكية العلميـة وتطبيقاتها النـوعية الخاصـة طبقا لظروف كـل مجتمع وطبيعـة كل مـرحلة تاريخية واقمنا مجتمـع الكفاية والعدل الذى تذوب فيـه الفوارق بين الطبقات، ورفعنا شعارات الثورة: العمل واجب، العمل شرف، والعمل حياة، تحـالف قوى الشعب العامل، لا صوت يعلو فوق صـوت المعركة، ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة، وقاومنـا الأحلاف الأجنبية والقواعد العسكرية منـذ حلف بغداد حتى الحلف الاسلامى، وتحرر العرب، وأصبحنا خارج مناطق نفوذ الدول الكبرى. وساهمنا في صياغة وعى عالمى جديد، يعبر عن ثلاثة أرباع سكان الأرض منذ باندونج حتى عدم الانحياز والحيـاد الايجابى، وانتقلنا الى الصناعات الثقيلة، الحديد والصلب، وشيدنـا الصناعات الوطنية، وأنشأنا القطـاع العام، وقررنا الدعم لمحدودى الدخل، وشـارك العمال في الأرباح، وتحددت الأجور وساعات العمـل. أخـذ العمال حقـوقهم وحـددنـا الحد الأعلى لملكيـة الأرض، وشرعنـا للتخطيط الاقتصادى الذى تقوم عليه سياسـات الدولة. وحددنا ايجار المسـاكن، وقررنا مجانية التعليـم واصلحنا الأراضـى، وزاد الدخل القومـى. وأمن نفس الجيل الليبرالى الأول بالمبادئ الاشتراكية الثانية ونشأ جيل جديد، جيل الثورة من خلال منظمة الشباب، على المبادئ الاشـتراكيـة لم يسمع عن الاقطاع ولكنه نعم بمكاسب الثورة.

وفي أوائل السبعينات، وبعد رحيل جمال عبدالناصر انقلبنا على عقبينا مرة

ثانية مائة وثمانين درجة، وهدمنا بأيدينا ما شيدناه بالأمس. أصبحت الاشتراكية اشتراكية الفقر، والتخطيط وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج انغلاق، والقطاع العام سرقة ونهب وتحديد الملكية الزراعية تفتيت الحيازات وقضاء على الزراعة، والاقتصاد للاستيراد، ومجانية التعليم انحدار بالمستوى لا ترفعه الثورة قهر وسجن وتعذيب، والطليعه الثورية حاقدة، والحياد الايجابى تحالف مضمر مع الشيوعية، ورسخنا في جيل السبعينات سياسة الانفتاح الأقتصادى وحماية القطاع الخاص، وقيم الاستهلاك، وسهولة الاستيراد وصعوبة الإنتاج، واصدرنا قانون الاستثمار وإنشاء البنوك الأجنبية وعدنا إلى بورصة الأوراق المالية وأصبح الدولار هو العمله الوطنية، وسعر الصرف في السوق الحرة وتحولت مدخرات مصر من الداخل إلى الخارج، من البنوك الوطنية إلى البنوك الأجنبية، وقفزت الديون من مليار واحد في أوائل السبعينات إلى خمسين ملياراً في أواخر التسعينات ولم تنفع الهبات الشعبية والانتفاضات مثل يناير ١٩٧٧ من التحذير والتذكير. فاهتزت قناعات الثوار. وتحول معظم الضباط الأحرار الى رجال أعمال. لقد انقضى عصر الثورة وتبدلت الأحوال، وأصبح الزمان غير الزمان. انقلب المشروع القومى على عقبية وتحول الى مشروع مضاد، من معاداة الاستعمار إلى مهادنته، ومن الصراع ضد الصهيونية إلى الصلح معها والاعتراف بها، ومن الاشتراكية الى الرأسمالية، ومن القومية العربية إلى العزلة القطرية، ومن عدم الانحياز إلى الانحياز الى الغرب وغالبا ماتم ذلك بنفس الرجال، وبنفس الوجوة حتى لم يعد أحد يصدق أحداً.

وتربت عدة أجيال على الماركسية منذ تعرفنا عليها في أوائل هذا القرن واصبحت جزءاً من الحركة الوطنية المصرية. دخل الماركسيون المصريون السجون والمعتقلات، وساهموا في اندلاع الثورة المصرية، وحلوا الحزب، وانضموا إلى الاتحاد الاشتراكى العربى، وساهموا في تأسيس القطاع العام، ودعم الصحافة ، وتنشيط دور النشر وتخطيط الاقتصاد القومي. وعن طريقهم أزدهرت الأدبيات الاشتراكية والثورية. وكان الاتحاد السوفيتى وقتئذ الدرع الواقى للشعوب المتحررة، وحائطاً منيعا في مواجهة الاستعمار.

يمد الشعوب بالعون المادى والمعنوى، ويساهم في التصنيع، ويحذر من مغبة العدوان الاستعمارى على الشعوب المتحررة.

وبعد ذلك اصاب الماركسيين ما اصاب الثورة المصرية من تحول من النقيض من الخمسينات والستينات الى السبعينات والثمانينات فأصبح البعض منهم جزءاً من هنا التحول، يبرز الشئ ونقيضة. وتحدثنا عن الماركسى المليونير، وفتشنا عمن يقاوم هذا التحول، وما حدث في الداخل حدث في الخارج، بعد البريسترويكا انهارت النظم الاشتراكية في أوروبا الشرقية وإنتهى الاستقطاب، وبدأ الوفاق وتحولت روسيا من الاقتصاد الاشتراكى إلى اقتصاد السوق وبدأ التحول من الإنتاج الى الاستهلاك، واتفق الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على حلول كبرى المشاكل الدولية، الخليج فلسطين ونزع السلاح. وبدأت الهجرات اليهودية السوفيتيه إلى الأراضى المحتلة، واستعانت الدول الاشتراكية بالتكنولوجيا الغربية، واعتمدت على القمح المستورد مثلنا. وتم توحيد المانيا تحت راية الرأسمالية. وتساءل الجيل الحالى : هل الإشتراكية في انهيار ؟ وهل تجدد الرأسمالية نفسها؟ وماذ عن قناعتنا منذ عدة أجيال بالمنهج الجدلى، وبالمادية التاريخية، وبالملكية العامة لوسائل الإنتاج، وبالاقتصاد غير القائم على الربح، وبالصراع بين الطبقات، وبدكتاتورية البروليتاريا، وبالاستعمار أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية، وبالاشتراكية أخر مرحلة من مراحل تطور البشرية؟ وإذا كانت قناعات قدماء الماركسيين من الأجيال الماضية قد اهتزت فانه يصعب الآن تكوين جيل جديد من الماركسيين. فأين النظرية واين الأداء؟

وأخيراً تربى معظمنا على مبادئ الأسلام السياسى وربيت الحركة الاصلاحية من الأفغانى إلى محمد عبده الى رشيد رضا إلى حسن البنا، وعلى يد جماعة الأخوان المسلمين منذ الثلاثينيات وعلى ضفاف القناة، وكان للجماعة جهادها في فلسطين، وفي حرب القناة في ١٩٥١ وفي الصراع ضد الاستعمار والقصر مما كلفها اغتيال زعيمها الامام الشهيد حسن البنا. وكانت الجماعة أحد فرقاء الضباط الأحرار في الثورة المصرية.تعلمنا المبادئ الأولى للعدالة الاجتماعية في الإسلام، وتوزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء، والصراع بين

الاسلام من ناحية والرأسمالية والماركسية من ناحية أخرى، وضرورة التأميم، والملكية العامة، الاستخلاف لوسائل الإنتاج، وحق الحاكم في مصادرة رأس المال المستغل، وأن الملكية وظيفة إجتماعية، تصرف واستثمار واستنفاع، وليس احتكارا أو استغلالا أو إكتنازا، تعلمنا كل ذلك من سيد قطب الأول صاحب «العدالة الاجتماعية في الاسلام » و«معركة الاسلام والرأسمالية » و« السلام العالمى والإسلام ».

وعرفنا أن مصر قلب العروبة ومركز الاسلام، دوائر ثلاث متداخلة من الاخوان قبل، قراءتها في «فلسفة الثورة» لجمال عبدالناصر، واصل «مالك بن نبى» باندونج وعدم الانحياز وتضامن شعوب آسيا وأفريقيا في فكرة الاسيوية الأفريقية حيث يوجد العالم الاسلامى. وكتب مصطفى السباعى في سوريا «الاسلام والاشتراكية» وبعد ازمة مارس ١٩٥٤ والصراع بين الاخوان والثورة تصادمت في قلوبنا وأمامنا شرعيتان، شرعية الثورة وشرعية الاسلام، وهما أولى بالاتفاق. دخل الاخوان السجون، وذاقوا شتى الوان التعذيب، ولاقوا الذل والهوان. فخرج «معالم في الطريق» يكفر المجتمع الجاهلى، ويدعوالى انشاء مجتمع الايمان في صراع حاد بين الجاهلية والاسلام،بين الكفر والايمان، بين حكم الطاغوت وحكم الله وانتشر مفهوم «الحاكمية» لتقويض انظمة الحكم الحالية التى تنقصها الشرعية والتى لم تأت بانتخاب حر أو نتيجة لعقد اجتماعى شفاهى أو مكتوب بين الحاكم والمحكوم فالاسلام لايعترف بشرعية الحكم الوراثى أو الحكم العسكرى، وتوالت اجيال الأخوان بعد أن خرجت من السجون في أوائل السبعينات واستعمالها لتصفية الناصرية. ثم انقلبت على من ساعدها عندما سار أكثر مما يجب في الإنقلاب على مبادىء الثورة المصرية، الاعتراف باسرائيل، والصلح معها، والارتماء في أحضان الغرب، والتبعية لأمريكا واعطائها ٩٩٪ من أوراق القضية، والعزلة عن محيط مصر. فتخلصوا منه. ومازالت الجماعات الاسلامية غاضبة ثائرة تعطى الأولوية للظاهر على الباطن، وللأشكال الخارجية على الأوضاع الاجتماعية واصبح المنتسب الى الجماعات طريد العدالة وخريج السجون، مهدد بالاعتقال بتهمة التطرف والارهاب فضاع منا ما بدأناه وهو الإسلام

السياسى، الاسلام فى مواجهة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية والاقطاع والقهر والاستبداد، والقادر على تحرير فلسطين، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإقرار حريات الناس وامنهم وتوحيد الأمة، وتنمية مواردها، والإعتماد على الذات، والمحافظة على الهوية، وحشد الجماهير.

وتكررت المأسى في جيلنا ولم يتحرك أحد : ضرب المفاعل النووى في العراق، حصار بيروت، الإنتفاضة في فلسطين ثم أزمة الخليج، فلا الليبرالية حمتنا، ولا القومية العربية كأنت أمنا لنا، ولا الماركسية استطاعت حمايتنا، ولا الاسلام السياسى استطاع أمن الديار. فعلى أى شىء نربى الأجيال القادمة؟ لقد تحطم أمامنا كل شئٍ وتهاوت مثلنا حتى كدنا نكفر بكل شىء. نهدم اليوم مانبنية بالأمس حتى لم يعد يبقى لنا شىء. ماذا نقول لاطفالنا؟ الحرية التى اعتلناها بايدينا؟ الاشتراكية التى اجهضناها؟ الماركسية التى نرى حطامها؟ الإسلام الشائع في أجهزة الأعلام الذى يبرر افعال السلاطين، مرة مع الكويت ضد العراق، ومرة مع العراق ضد الكويت، مرة مع إيران ضد العراق، ومرة مع العراق ضد ايران، مرة لا مفاوضة ولاصلح ولا أعتراف باسرائيل، ومرة تأييدا لكامب دافيد اعتمادا على صلح الحديبية؟ أم الاسلام طريد أجهزة الأمن والذى تتعقبة السلطات؟ إلى أى شىء ندعو الناس؟ ماهو اطارنا المرجعى؟ ماهى معايرنا؟ ماهى مقاييسنا؟ ماهى مبادئنا؟ ماهو أساس الحكم على أقوالنا وأفعالنا؟ ماهى مقاييس الصواب ،الخطأ في حياتنا؟ هل ضاع كل شىء هذا هو التحدى الأعظم أمامنا بالنسبة إلى الأجيال القادمة. نورث لهم تركة مثقلة بدأنا واضحين بمشروع قومى الاستقلال الوطنى، التحرر من الاستعمار، بناء الدولة الحديثة، اقامة مجتمع العدل والمساواة، تحقيق الوحدة الشاملة، تنمية الموارد القومية، والدفاع عن الحريات العامة واقامة مجتمعات ديموقراطية وانتهينا إلى عكس ما بدأنا منه، وناضلنا في سبيلة: مزيد من الأراضى المحتلة، ومزيد من تبعية الأوطان وانهيار دولنا الحديثة وتعثر مؤسساتها، وإتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء ومزيد من التبعثر والتشرذم والحروب الطائفية والقبلية والنعرات القطرية، ومزيد من التخلف والاعتماد علي الخارج في الغذاء والعلم والسلاح، وأزمة الحريات ومزيد من القهر

والتسلط والمعتقلات.

هل أكمل جيلنا دورة تاريخية؟ هل عدنا إلى الصفر من جديد كما عدنا بعد محمد على وعبدالناصر؟ هل نحن في مخاض جديد يتعهده جيل قادم بعد ان تهرأ كل شيء؟ هذا اعتراف للاجيال القادمة واعتذار لها. لعلها تكون أسعد حظا منا، وتؤمن بشيء يكون له الدوام .

كلام ... الآن فقط أصبح له معنى ..!
د. محمد عابد الجابرى
جريدة الاتحاد الاشتراكى - المغرب بتاريخ ١٩٩١/١/٢٧

التاريخ صنفان تاريخ ميت فهو تراث، وتاريخ حى وهو حياة الأول يكتب انطلاقا مـن نقطة ما في الماضى في إتجاة الحاضر .. والثـانى يكتب انطلاقـا من الحاضر المعيش في اتجاه الماضــى والمستقبل معا. واللحظـة الراهنة في التـاريخ العربى لحظة حيـة، بل متدفقة مفعمة تفرض نفسهـا كمنطلق للتفكير والكتابة للتخطيط والتطبيق.

بالنسبة لكـاتب هذه السطور تبـدأ هذه اللحظة الحية المتـدفقة في يوم ٢٦ جوان (يونيه) الماضى، أى قبل دخول القـوات العراقية الكويت بشـهر وخمسة أيام كنت في بغـداد، وكانت المناسبة المشـاركة في ندوة فكرية عقـدت بمناسبة مـرور عام على وفـاة المرحوم ميشيـل عفلق مـؤسـس حزب البعـث العربـى الاشتراكى الحاكم في العراق، كما هو معلوم، في يوم ٢٦ من ذلك الشـهر (جوان ١٩٩٠) كنـت من بين المدعـوين إلى حفـل عشاء اقـامه مسـؤول عراقـى كبير لبضـعة أشخـاص من الحاضريـن في الندوة مـن المغرب العـربى ومصر، ودار الكلام خلال العشاء حول واقع الوطـن العربى وطرق تحقيق المشروع القومى العربى في التقدم والوحدة وأدلى لنا المسؤول العراقى الكبير بتحليل للوضع من وجهة نظر القيادة العراقية يمكن تلخيصه في النقط التالية:-

قال وأنا أنقل - تقريباً - نص كلامه (من الذاكرة طبعاً) :

- لقد حاولنـا بعد هزيمة ١٩٦٧ أن ندشـن طريقة جديدة في التعـامل مع الغرب، طريقة قوامها بناء العلاقات بيننا وبينه على نوع من تبادل المصالح مع

حد أدنى من الندية. وقد قطعنا أشـواطا في هذا الاتجاه مع بعض الدول خاصة وسرنا في هـذا الاتجاه بعد حرب أكتوبـر ١٩٧٣، وحاولنا أن نفهم الغـرب أننا لسنا أعداء له «تـاريخيين» بل كل ما نطمح اليه هو ما يحقـق نهضتنا وتقدمنا. ولكننا كنا نصطدم من حين لآخر بسوء نية الغرب إزاءنا بإرادته التعامل معنا من فـوق وكأننا مازلنـا مستعمرين (بالفتـح)، وعندما أخذ العـراق في تشييد بنيات اقتصـادية وعلمية وعسكرية جـديدة ظهرت مخاوف الغرب ومناوراته، بل ومحاربته. وكانـت الولايات المتحدة هى المتزعمـة لهذا الاتجاه إن الولايات المتحدة تريد التحكم المباشر في البترول العـربى تحكما يمكنها من تحرير مقدار الإنتـاج ومقـدار الاسعـار.. وقـد رضخت اقطـار عـربيـة مجاورة لـلإدارة الأمريكيـة، أما نحـن فرفضنـا. وكانـت النتيجة أن أخـذت الولايـات المتحدة تستعمل ضـدنا حكام هـذه الأقطار، فصاروا يسلكـون سياسة خنـق العراق اقتصادياً...

هذا من جهة ومن جهة أخرى تطـرق المسؤول العراقى إلى الوضـع الداخلى الغربى بعد هزيمة ١٩٦٧ فقال : «إن مايميز المرحلة التى أعقبت هزيمة ١٩٦٧ على الصعيد القومى هو ظهور الطائفيـة والتطرف اليسارى والدينى، وإذا كان التطرف اليسارى قـد تراجع الان فإنـه من المؤلم حقا أن نجد القـوى الرجعية التى تسخرها أمـريكا تستعمل الدين ضد حركة التحـرر العربى. إن الحـركات الأصولية الاسـلامية حركات من صميـم الشعب وهى تحمل طاقـات نضـالية هائلـة ولكن الـرجعية المتعـاملة مـع الأستعمار تستغلها وتمدهـا أو بعضـها، بالأموال والتوجيه، وهكذا نرى أنه ليس بعض أحكام العرب وحدهم يخدمون الغرب ومصـالحه بصـورة مباشرة وعلى مستوى ذاتى، بل إننـا نرى كثيرا من الحركات الشعبيـة الإسلاميـة في الوطـن العربـى تخدم من حيث لاتشعر أو لاتعرف نفس المصالح، مصالح الغرب، بـإرتباطها بالقوى الرجعية العميلة في الوطـن العربى المستعملـة لمظلة الاسلام زورا وبهتـانا ونفـاقا، ولذلـك يقول المسؤول العـراقى – فـإن الواجب يقتضـى تصحيح الـوضـع، وذلـك بطـرح قضية التحرر العربى، والإسلامى طـرحا سليماً، بسلوك استراتيجية نضـالية تضـع الجميع أمام اختيار واحد لاغير: إمـا مع الاستعمار والصـهيونية وإمـا

مع التحرر العربى والنهضة العربية.

ولم يضف المسؤول العراقى إلى ذلك شيئاً آخر، بل سكت منتظراً تعقيبنا نحن الحاضرين. تكلم بعض الاخوة ثم أخيراً أخذت الكلمة وبطبيعة الحال فكنا نحن المدعوين نفكر تفكيراً مجرداً.. إن ما سمعناه كان كلاما عاديا جداً، ومجرداً جداً (في ذلك الوقت قبل ازيد من شهر من دخول القوات العراقية للكويت) وكل ما كان قد صدر قبل ذلك من تصريحات من القيادة العراقية، تصريحان : أولهما هو ذلك الذى قال فيه صدام حسين أنه اذا هاجمت اسرائيل منشآتنا الصناعية (كما فعلت عندما هاجمت المفاعل النووى العراقى في أوائل الثمانينات) فإننا سنستعمل المزدوج الكيماوى ونحرق نصف إسرائيل أما التصريح الثانى فهو الذى أدلى به الرئيس صدام حسين في الخطاب الذى القاه علينا نحن الحاضرين في الندوة المذكورة (القاه يوم ٢٥ يونيه/ جوان الماضى) وقد وردت فيه عبارة دالة هى بالحرف الواحد : «فلسطين اتية إن شاء الله».

وبطبيعة الحال، فلم يكن هذا التصريحان المقتضبان يكفيان لجعل الواحد منا – نحن المستمعين لكلام المسؤول العراقى في حفل العشاء المذكور، يعطى «الكلام العربى» معنى جديداً، وأبعاداً حقيقية، ولذلك كان تعقيب الزملاء – على تحليل المسؤول العراقى– من نوع ذلك «الكلام العربى» المجرد، الهارب من نفسه وواقعه، الذى ألفناه . أما أنا فقد أردت أن أضفى بعض «الجدية» على الموضوع وبعبارة أخرى غالبت نفسى أن أكون جدياً، فقلت مستعملاً مايكفى من الوضوح، وما يلزم من التورية، أيضاً قلت :

فعلاً، الوضع العربى الراهن لايختلف في جوهره عن الوضع الذى كان قائماً في الخمسينات، ولذلك فإنه من الممكن مبدئياً إعادة أو إحياء التجربة الناصرية، بشكل قد يختلف كثيراً أو قليلاً : من الممكن فعلا العمل على إحياء الوضع المنقسم إلى جبهتين : جبهة التحرر العربى وجبهة القوى المعادية الأجنبية والعربية.. ولكن المشكلة في نظرى هى : «كيف نضمن الإستمرارية لهذه العملية»؟. وقلت بالحرف أيضاً : «كان هناك عمر بن الخطاب فلما توفى جرت الأمور على غير المجرى الذى كانت تجرى عليه في عهده وكان هناك جمال عبدالناصر فلما توفى حدث ما نعرفه جميعاً».

سكت المسؤول العراقى، وهو بادى التأثر، وكنت أريد بهذين السؤالين أن أفتح النقاش في مسألة «الديمقراطية» وكانت القيادة العراقية أنذاك منهمكة، أو هكذا كان يظهر للناس- في مراجعة الدستور والإعداد للتعددية والحياة الديمقراطية سكت المسؤول العراقى كما قلت .. فطرحت السؤال مجدداً.
سؤال: كيف نضمن - الإستمرارية ؟ وبدأ ،كأن المسؤول العراقى يصر على السكوت فتدخل زميل - وهو الوحيد الحاضر من مصر- فخاطبنى : «الأخ عابد، رسالتك وصلت يكفى فلننتقل إلى موضوع أخر، وتبسم المسؤول العراقى، ودخلنا في مناقشات جانبية سطحية نسيت مضمونها لأنها لم تكن تثير أهتمامى؟ وربما كانت غير مهمة بالفعل... كانت من نوع الكلام الذى لابد منه لتمضية الوقت... وكنا قد بدأنا في تناول العشاء ... ثم افترقنا بعد ذلك.

الأن ، والآن فقط، بعد اندلاع الحرب أخذت اعطى لكلام المسؤول العراقى كامل معناه.. لقد أصبحت أرى فيه الأن كلاما جديا .. لابل مفتاحا لاعادة كتابة تاريخ المسلسل الذى أدى إلى ما جرى ويجرى الآن . (فلنرجع القهقرى اذن) (ربما يكون هذا خطأ مطبعى ولكنه كما ورد فى الجريدة المغربية ، بعد أن وضعنا أزجانا) على موقع يمكننا من قراءة الأمور الماضية والحوادث «الغابرة» قراءة أخرى ... قراءة تعطى معنى أخر لدخول القوات العراقية للكويت. إو يبدو الأن أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثروتها، بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحررى عربى جديد هو الذى شرحه المسؤول العراقى.

أكاذيب صدام

د . اسماعيل صبري عبد الله

الأهرام ٢٠ / ٨ / ١٩٩٠

الكذب المفضوح من شيم الطاغية لأنه في طغيانه يستخف بعقول الناس ويصدق آيات الاعجاب التي ترددها حاشيته المستأنسة صباح مساء . ولا يخرج صدام حسين عن هذه القاعدة . فقد ارفق بعدوانه العاري على شعب الكويت الشقيق سلسلة من الأكاذيب يتعين فضحها . لأن بعضها يسبب خلطا لدى من لا يعرفون ، أو يوفر مادة للجدل لدى من لا يريدون المعرفة تأثرا بذهب الديكتاتور أو سيفه . فالرجل يتتبع معارضيه ليقتلهم حيث يجدهم ويوزع المال والمتاع على من يسيرون في مواكب التهليل له ، وفي مقدمتهم عدد من الكتاب والمثقفين .

١ ـ أمريكا وأسعار البترول

بدأ طاغية بغداد الأزمة التي افتعلها مع الكويت باتهام القطر الصغير بأنه ينفذ سياسة أمريكية ترمي إلى تدهور أسعار البترول بانتاجه كميات تفوق الحصة المقررة في اجتماعات الأوبيك . ولا نريد أن ندخل هنا في جدل حول عدم التزام العراق بمقررات تلك المنظمة طوال حرب الخليج . ولا نفصل رهنه لبترول المستقبل . فى سداد ثمن الكثير من الأسلحة ، ولكننا نريد فقط أن نوضح حقيقة موقف أمريكا من أسعار البترول . وأول ما نذكره هو أن الولايات المتحدة من أكبر منتجي البترول في العالم وأن تقادم أبارها يرفع تكلفة الانتاج منها . كما أن حقولها الجديدة في الاسكا حيث يستخرج الزيت من

تحت الجليد عالية التكلفة أيضا . وكذلك شأن الدول غير الأعضاء في الأوبيك التي يمكن أن تستورد منها : بريطانيا ، النرويج . المكسيك .. الخ ولهذا لا يجوز استغراب حقيقة أن أمريكا تريد ألا يخفض سعر البترول بشكل واضح ، عن العشرين دولارا للبرميل ، والا يرتفع ارتفاعا كبيرا مفاجئا . فيظل لفترة طويلة يدور حول المبلغ المذكور . ومن ناحية أخرى تعاني أسواق البترول العالمية من أغراق في عجزتعن التدني به هذا ولم يفعل حكام الكويت بعائدات النفط أكثر مما بدده صدام في حرب الخليج التي أشعل نارها بنفسه متنكرا لاتفاقه السابق مع الشاه في ١٩٧٥ . فكل من يتابع الأحوال المالية يعلم أن الكويت كونت صندوقين من الاحتياطي احدهما لا يمس ويسمى «احتياطي ما بعد النفط » وأنها وزعت استثماراتها في كافة انحاء المعمورة حتى لا تخضع لدولة كبرى معينة في التصرف في تلك الأموال ، وكذا كان ثمة مجال للحديث عن ثروة الأمير وأقاربه فإننا ندعو الطاغية لكشف الثروة الشخصية له ولا عوانه المقربين حتى تجوز المقارنة .

٢ ـ الحكومة الوهمية

وقد أغناني صدام عن الاطالة بشأن ما زعمه من وجود « حكومة حرة » قامت نتيجة لثورة شعبية حين لجأ إلى ضم الكويت بالقوة للعراق . وحقيقة الأمر أنه لم يجد احدا يعتد به في الكويت يقبل التعاون مع القوات الغازية. والكويت بلد صغير تبرز فيه أسر معروفة ويمكن لمن زار الكويت زيارة الراغب في التعرف على احواله وليس زيارة المتسوق أن يتعرف على أي اسم يذكر .

٣ ـ الحدود المصطنعة

وقال الطاغية أن الكويت دولة مصطنعة خطط حدودها الاستعمار . وقوله كذب صراح فالكويت أمارة منذ أكثر من مائتين وأربعين عاما ، مر معظمها وليس للعراق نفسه أي كيان سياسي . فطوال حكم العثمانيين لم توجد أي ولاية باسم العراق . وإنما كان هناك ثلاثة الوية محكمة مباشرة من اسطنبول :

لواء الموصل ، ولواء بغداد . ولواء البصرة . وبدا الحديث عن العراق عندما اقصت القوات الفرنسية الملك فيصل ابن الشريف حسين عن سوريا التي كان الإنجليز قد وعدوا بها أباه .وكان موضوع توحيد الألوية الثلاثة في مملكة واحدة محل اخذ ورد في داخل الحكومية البريطانية ذاتها . وقد حسم الأمر باستفتاء عل الموافقة على قيام مملكة العراق تحت حكم الملك فيصل . لأول مرة في ١٩٢٠ . بل أنه طوال التاريخ الإسلامي العربي لم يكن العراق إلا تعبيرا جغرافيا محضا .

٤ ـ تحرير فلسطين ابتداءمن احتلال الكويت

لم يكن أحد منا يعرف أن الكويت قاعدة صهيونية .وكل من زار ذلك القطر يشهد باشتعال الحركة القومية فيه ومواجهتها للحركة الإسلامية ، وعلى العكس فكلنا نعرف أنه بفعل حكام العراق لم يطلق الجيش العراقي رصاصة واحدة ضد اسرائيل منذ ١٩٤٨ . كما نعلم أن الدولة الصهيونية قد دمرت المفاعل النووي العراقي . وسارعت إذاعة بغداد إلى اتهام العدو الفارسي (إيران) بهذه الفعلة النكراء . ثم فضحت إذاعة تل أبيب الأمر ونريد أن نذكر هنا الأخ أبو عمار بالشخصيات الفلسطينية البارزة التي اغتالها عملاء البعث العراقي .

٥ ـ الوحدة العربية

كذلك يقدم الطاغية غزو الكويت وضمه للعراق كخطوة في سبيل تحقيق الوحدة العربية واعتقد أن القوميين العرب الذين تبنوا في الأربعينيات والخمسينيات توحيد الهلال الخصيب تحت عرش الأسرة الهاشمية قد أدركوا الآن القيمة الجوهرية للديمقراطية .

٦ ـ النظم الرجعية

ويزعم الطاغية أنه يحارب النظم الرجعية في الوطن العربي .ويجب أن نقف

كثيرا لبحث الفـرق بين نظام رجعـي تقليدي له قـواعده وتوازنـاته المعـروفة سلفا،وبين نظـام يدعى التقـدمية ويقيم ابشـع حكم ديكتاتـوري وكان أسرع حكام العرب في تفكيك القطاع العام وابتـلاع كل دعاوي الاشـتراكية التي كان يرددها قبل عشرة أعوام ويقتل الاشـتراكيين من كل المدارس في غير رحمة . أما عن العـلاقة بالامبريـالية الأمريكيـة فإن حكام بغـداد لم يترددوا في استخدام السعودية وسيطـا للحصول على مساعدات أمـريكية حربية واقتصـادية ، ثم تعاملوا مع واشنطن مباشرة واستوردوا قمح المعونة الأمريكية في الوقت الذي تمكنت فيه السعـودية ـ ولو بتكلفة باهظـة ـ من الاكتفاء الذاتي مـن القمح بل وتصدير جزء من المحصول .و قد أعلـن في أمريكا قبل نهاية حرب الخليج إنها كانت تقدم لبغداد صور القمر الصناعـي عن المواقع الايرانية .ولم تكذب بغداد الخبر. لا مجال هنـا لمقارنـة بين تقـدميه ورجعيـة فكـل أطـراف النزاع نظـم استبدادية تحرم شعـوبها من الحياة الديمقـراطية . الفرق الوحيـد هنا هو ان بطش حكام العراق لم يسبق له مثيل.

٧ ـ مقدمات المسلمين

ثم يندب الطاغية « تفريط » السعوديـة في وضـع الأماكن المقدسة في متناول يد الامبريـالية الأمـريكية ويـدعو المسلمين كافـة للجهاد مـن أجل تحريـرها . والمعروف أن كل المساعدات التي حصل عليهـا صدام من الغرب كانت مستندة إلى كـون نظامـه النظام العلماني الـوحيـد القوى الـذي لا يسمح لأي صـوت إسلامـي أن يسمع في أرجاء العـراق . وأنه بـالتالي الحصن الأول ضـد الثورة الإسلاميـة في طهران . وقد سـار نظـام بغـداد على ارتياب الأمن في كـل شاب يؤدي صلواته بانتظام وسخرية الشبـاب البعثي به ومضايقته بكل الأشكال. ولكن هذه الـدعاوي تؤكد على ضرورة أن تـوضح حركات الإسـلام السياسي موقفهـا من غزو الكـويت وضمه وكذلـك موقفها مـن المملكة السعوديـة التي تحمى مقدسات المسلمين والتي أوقعها صدام بين شرين احلاهما مر .

٨ ـ الناصرية الجديدة

واشنع ما يردده انصار الطاغية قـولهم أنه عبد الناصر الجديد «كبرت كلمة تخرج من أفواهم أن يقولون الا كذبا».فعبد الناصر كان محررا ولم يكن حاكما دمويا.

وهذا البيان يمكن أن يطـول إذا كان المقام مواتيا . ولكننا في وســط الكارثة وعلينا أن نوضح الرؤية بقدر مـا نستطيع والا يدفعنا المر من الأمور إلى قبول ما لا يقل عنه مرارة . وبذلك نؤكد هنـا ثقتنا في الشعب العراقي ـ صاحب الحق الوحيد في تغيير النظام الحاكم ـ وأنه لابـد أن يخرج في يوم قريب مما يحيط به من أشبـاح الموتى والمختفين وما يـراه من معوقـي الحرب ومعوقي التعـذيب ليأخـذ أموره بيـده ، ومن النـاحية الأخـرى نديـن بشدة التـدخل الأمـريكي العسكري المكثف (لأنــه كان موجودا قبل الأحداث الأخيرة) . فليـس من حق أمريكا ولا أي دولة أخرى أن تدعى القيام بدور الشرطي العالمي . ونحن نطالب بانسحاب القوات الأمريكية فورا ونلح على الحكومـات العربية لكي توفر بديلا عنها ذا مصداقية . فإذا استمر التشتت العربي فلا مفر من الذهاب إلى الشرعية الدولية متمثلة في مجلـس الأمن ليطبق الأجراءات التي نص عليهـا ميثاق الأمم المتحدة في حالة استمرار العدوان . بل ونزكـي أن تطلب الدول العربية في حالة اقرار المجلس لتدخل عسكري الا تشترك فيه أي من الدول دائمة العضوية .

ديمقراطية التعليم ولغة الحوار

د . حسن وجيه حسن

مدرس بكلية اللغات والترجمة الفورية بجامعة الأزهر

الأهرام الاقتصادي ٤ ـ ١١ ـ ١٩٩١

في إطار حـوارات تحديث التعليـم ورصد طبيعـة آفاق الاهتمامـات العلمية وجبت الملاحظة والتأمل علميا في ظاهرة التردد العالي لاستخدام تعبيرات « أدب

الحوار » و « آداب الخطاب العام » وكناية « الخروج عن النص » و « ضرورة الحوار» وإلى غير ذلك من تعبيرات متشابهة . فلقد انتشرت هذه التعبيرات انتشارا كبيرا في وسائل إعلامنا في الفترة الأخيرة وتمثل دعوة لمناقشة ما يجب. أن يدرج في العملية التعليمية بخصوص التعريف العلمي لطبيعة وآليات لغة الحوار المعقدة.

إن هذا الأمر أصبح من أهم ما تتناوله بالتحليل والدراسة والتدريس أحدث البرامج اللغوية الحديثة التي أصبحت محور اهتمام بحثي كبير ومتزايد على مستوى أكثر دول العالم تقدما فهذها لدراسات تعني بدراسة عمليات فهم وإنتاج وتفسير وتداول التركيبات اللغوية المسموعة والمكتوبة في السياقات المختلفة وتعني كذلك بتحديد انسب الوسائل والاستراتيجيات اللغوية النفسية والاجتماعية لادارة الحوار وتجنب عوامل الشقاق وفهم طبيعة التعقيدات الملازمة لعمليات التفاعل والتواصل التي تصاحب الحوار اليومي ومضامينة المتعددة فعمليات التفاعل والتواصل هذه عادة لا يلتفت إليها الغالبية في شكل ردود أفعال حوارية تلقائية وذاتية لا تسمح عادة بالقدرة على اقتفاء أثر سبب الخطأ وتحديد نوعه مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى عدم التآلف المطلوب مع الأخرين في السياقات المختلفة وأحيانا أخرى إلى الشقاق وإذا كانت الدراسات الحديثة التي تعني بآليات الحوار لها أهمية خاصة على جداول الأبحاث في أكثر دول العالم تقدما . فإن اهميتها في مجتمعنا تمثل أكثر من ضرورة حيوية ، خاصة وان المراقب المتخصص يستطيع أن يلاحظ وجود نسة كبيرة من الخلاف بين الأفراد ليست بسبب اختلاف يائس أو حاد في جهات النظر أو بخصوص أمور حيوية بل أن مصدرها في كثير من الأحيان يرجع إلى عدم وضوح ولبس الرسائل بين مرسلها ومستقبلها والعكس وعلى صعيد الخصوصية الثقافية وجب ايضا تسليط الضوء على مسئولين أخرين مرتبطين بالعملية وهامين للفهم الشمولي لطبيعة آليات الحوار الأول وهو الخاص

بالعمل على تحسين طرق تدريس الآداب العامة للحوار وتدريب القائمين عليها كما تستنبط من كتب التراث وتعاليم الأديان السماوية والثاني . يتعلق بتعميق فهم طبيعة الحوار الديمراطي ففي الوقت تنادي فيها القيادات التعليمية بما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم والذي يعني أساسا اتاحة العدالة في الفرصة التعليمية وجب أيضا عطاء المزيد من الاهتمام للشق الآخر من هذه العملية وهو الخاص بتعليم الديمقراطية.. وإذا كان هناك شيء حيوي ومحدد للغاية ينبغي أن يقال في هذا الصدد فهو وجوب المعالجة العلمية والتعليمة لعوامل وعناصر تركيبة الشخصية الاستبداية والتي تتنوع صور وجودها في المجتمعا لعربي ، فأحيانا نجد في شكل احادية ومركزية شديدة في الرأي واحيانا في شكل عبودية الروتين وحرفية تنفيذ القوانين بطريقة جامدة ومتعسفة .

إن هذه الصور المختلفة للشخصية الاستبداية لا ينتج عن وجودها وممارساتها سوى إهدار الطاقات وهروب العقول الشابة القادرة على الابنكار وإحداث النهضة الحقيقة إلى دول العالم المتقدم أو إغتيالها في وضح النهار في عمق دارها . لقد أدت الممارسات التعليمية « التلقينية الجامدة » والتي وجب التخلص منها منها إلى غير رجعة إلى تنمية هذه « التركيبة الاستبدادية » المتنوعة الأشكال والتي أحدثت الكثير من الكوارث على مستوى الأمة بأكملها والتي تعاني منها في المقام الأول كافة الخطط التنموية الطموح التي تهدف إلى تحقيقها القيادة السياسية .

إن البديل الطبيعي والبديهي يتمثل في البحث عن أفضل الوسائل لتنفيذ استراتيجيات تعليمية تعني بالتركيز على المهارات واظهار الملكات بهدف خلق المواطن المتطور الذي يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بديناميكية ايجابية تمكنه من تقبل النقد البناء والقيام به وبالتالي تنكنه من التكيف السشريع مع الآحرين المختلفين عنه وكذلك من التعامل مع المتغيرات السريعة للغاية في عالمنا المعاصر والتي يسلتزم في المقام الأول وجود هذه النوعية من المواطن الذي يسعى لأقامة

الثقافة الجامعة القادرة على العمل بروح الفريق الواحد والتي تمثل اللبنة الأولى لتحقيق العمليات التنموية المختلفة .

إنه في الوقت الذي تركز فيه برامج الدراسات اللغوية الحديثة على أمر المهارات والقدرات النقدية وتتيح الفرصة للتعمق في فهم آليات الحوار على المستويات المختلفة مما يتيح بالتالي التغلب على الكثير من سلبيات ممارسات الحوار اليومية إلا أنها ايضا تلقي بالضوء على طبيعة الأفاق العملية في التسعينيات. فتلك البرامج توضح ذلك الترابط المتزايد الذي تشهده حاليا المناهج العلمية المختلفة خاصة في مجال العلوم الاجتماعية فعلى سبيل المثال تستمد دراسات « كفاءة الأداء الحواري » أدوات تحليلها من نتائج علم اللغويات الاجتماعي .وعلم اللغويات النفسي ، وعلم اللغويات العرفي وعلم لغويات الكومبيوتر . لقد أصبحت نتائج هذه الدراسات تصب في بعضها البعض بطريقة دائرية الآن . فالمهتمون بعلم لغويات الكومبيوتر يهتمون بنتائج دراسات فروع علم اللغويات التطبيقية الأخرى في سبيل تحقيق رفع مستويات لغات الكومبيوتر الصناعية المتعددة لتصل إلى مستوى اللغة البشرية تحقيق رفع مستويات لغات الكومبيوتر الصناعية المتعددة لتصل إلى مستوى اللغة البشرية الطبيعية وبالتالي يتخطى جيل الكومبيوتر الحالي مرحلة اجراء العمليات الحسابية السريعة إلى مرحلة العمليات الذهنية الفائقة السريعة والتي تتم في العقل البشري والخاصة بفهم وانتاج وتداول التراكيب اللغوية المختلفة .

إن هذه النوعية من الدراسات اللغوية تهدف إلى إنتاج جيل الكومبيوتر الذي من المتوقع ظهوره في هذا العقد ليكون قادرا على اجراء التحليل اللغوي المعقد وتقديم الترجمة الفورية بين المتحدثين الذين يمثلون ثقافات مختلفة أن محاولات تطوير الذكاء الصناعي في مجال لغويات الكومبيوتر والدراسات المتمخضة عنها تسلط الضوء بدورها هي الأخرى على بعض الظواهر التي تتسم بتعقيدات بالغة فيما يتعلق بآليات التواصل الحواري لتهتم بها ثانية

دراسات فروع علم اللغويات التطبيقية الأخرى ، وهكذا ترتبط نتائج دراسات هذه الفروع بعضها البعض في محاولات تمتزج فيها أعقد أساليب البحث العلمي ليس للسيطرة على بعض العوامل والمتغيرات معمليا كما في العلوم الطبيعية ولكن للسيطرة على عوامل الظواهر الاجتماعية الغاية في التعقيد ، وذلك هو التحدي الذي شرعت في مواجهته دراسات علم اللغويات التطبيقية الحديثة والتي وجب النظر إلى ادراجها في اطار خطط تطوير التعليم ،خاصة وأنه ليس هناك وجود حقيقي لهذه الدراسات حتى في برامج الكليات المتخصصة في الوطن العربي ــ كذلك وجب تبسيطها درجة معقولة باللغة العربية ليتحقق منها النفع العام للمتخصصين وغير المتخصصين من كافة المجالات وفي ذلك الحين سندرك الحجم الحقيقي للتعقيدات المصاحبة لعمليات التواصل والتفاعل التي نتعامل معها أساسًا من خلال ردود أفعال تلقائية ذاتية ، الأمر الذي ينتج عنه مشاكل « اتصالية » عديدة تصل في احيان كثيرة في أن تكون على مستوى تفاعلات النخبة فما بالنا بحجم المشكلة في ظل أمية مرتفعة .. ولكن مشوار الألف ميل دائما ما يبدأ بخطوة واحدة .

رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر

حسن محمد وجيه حسن

مجلة صوت الدارسين المصريين

بالولايات المتحدة وكندا ديسمبر١٩٨٦

الهدف من هذه الرسالة تركيزالضوء على عدة قضايا في غاية الأهمية يجب أن ننظر إليها الآن وخاصة من خلال وجود تجمعنا الكبير الذي يناهز الألفين على امتداد جغرافي هائل ملىء بالاتجاهات والأفكار والثقافات المختلفة يتيح لنا فرصة متيمزة لتحقيق الاستفادة منها لخدمة وطننا الحبيب مصر وبالتالي

أمتنـا العربيـة والإسلاميـة وفي الحلقة الأول مـن هذه السلسلـة سأركـز على النقطتين التاليتين :

(أ) الإنسان المصري بين اليأس والأمل .

(ب) قضيـة تأصيـل الـديمقراطيـة والإبداع الـلازمين لعمليـة تطور الفكـر الاجتماعي والسياسي كخطوة أولى وجذرية لإزالة جمود الحركة في مصر وكسر الحلقة المفرغة ومعرفة العدو الخفي ومجابهته .

(أ) الإنسان المصري بين اليأس والأمل :

يوجـد في مصر مشاكل ضخمـة وعسيرة لا ينكرهـا أحد .. وهذه المشـاكل بدورها لها عوامـل كامنة متعددة ويتناولها الكثيرون بالتحليـل .. وما أريد أن أتحدث عنه والتركيـز عليه بـإيجاز هو أنـه في نفس الـوقت الـذي نتناول فيـه المشاكل بالتحليل العلمي والمنطقي يجب أن لا ننسى أن أهم العوامل في مجابهة تلك المشاكل هو مواجهتها بروح عالية تقاوم أي نوع من الإحباط وتتغلب عليه حتى نتمكـن على الأقل مـن الاستمرار في مـواجهتها ولا ننسحـب مذعـورين يبتلعنا اليأس كما حدث للبعض مع الأسف الشديد .. إن هذه الروح العالية هي في الحقيقة سمـة من سمات المصرى الأصيـل ويجب أن ندرك تمام الإدراك أن هذه الروح هي المستهدفة في المقام الأول من أعداء مصر على أشكالهم المختلفة .. الذين أدركوا ويدركون تمام الإدراك أن المصري بإرادته الحرة وروحه العالية تحدي أعتى القوى في الساعة الثانية ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .. ففي الوقت الذي أدخلـت فيه القوتين الأعظم كلمة "Detente" أو الوفـاق إلى حيز الاستعمال اللغـوي .. وكتبتها فسماء العالم بـالبنط العـريض كي يـراها الجميع بـوضـوح جلى ويعلـم أنه لـن تتحرك قشـة على ظهر هـذا الكوكـب إلا بـإرادتها .. قامـت معـاهد الـدراسات الاسـتراتيجيـة في العـالم بنشر أبحاثهـا الموضـوعية الخاصـة بالـوقف في ذلـك الوقـت لتدخـل مع كلمـة « الوفـاق » كاستنتاج لتلك الـدراسات الدقيقة كلمة «المستحيل » .. فـإذا بالمصري الأصيل

بروحه العالية التي لم تعرف الخوف واليأس والاحباط والقهر يتحدى بتبعات هاتين الكلمتين عندما واجه في ذلك اليوم أصعب مانع مائي في تاريخ العلميات الحربية .. أقوى الخطوط العسكرية في العالم علي وجه الإطلاق .. وواجه بجسده وسلاحه الخفيف لأول مرة في تاريخ الحروب أحدث وأعتى المدرعات والدبابات .. لقد جاهد بإخلاص وعزيمة واستعداد فتلقى نصر الله وعونه !

إن هذا الجندي الذي ورد في الأثر عنه : « خير أجناد الأرض ... جند مصر لأنهم في ربطا إلى يوم القيامة ! » فإذا مثلت أمامنا دائماً روح أكتوبر التي صاحبها الإعداد والتخطيط والتفاني لتحقيق الغاية شابه ذلك من أمثله أخرى عديدة يذخر بها تاريخنا الطويل الممتد لآلاف السنين .. فسوف نتغلب بعون الله تعالى على الكثير من مشاكلنا .. إنني في هذه الصدد أود أن أتعرض بالنقد الشديد لفريق من المثقفين وأنصاف اللذين تمكن منهم اليأس أو الخوف أو الاثنين معًا فأخذوا يبثونه من خلال ما يقولونه ويفعلونه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . وتاجدهم يجمعون باجتهاد عجيب شتات أقاويل وحجج اليس والخنوع من هنا وهناك ويحاولوا إثباتها عمليًا في كل موقف ليس لشيء سوى لمجرد إثبات أن لديهم الحجة والبرهان في قضية ما وأنهم أصحاب الحكمة فيما اتخذوه من موقف .. ولا أريد تسجيل أمثله هن هنا .. فهي غير جديرة بالذكر أصلاً .. ألا يدرك هؤلاء حجم الدمار الذي يحدثونه في نفوس من يتطلع إليهم على أنهم الصفوة والمثل الأعلى ؟ وما هو أشق على النفس أن نرى بعض المسئولين يلبسون نظارة قاتمة السواد وهم يتحدثون عن بعض الأوضاع بالأرقام المحبطة بذاتها .. إننا بطبيعة الحال نحيي ونشكر لهؤلاء شجاعتهم وصراحتهم في مواجهة الجماهير بالحقائق .. بالرغم من أن هذا ليس إحسان منهم بل واجب أساسي تمليه عليهم الثقة التي منحتها الجماهير لهم .. ولكن هؤلاء المسئولين لم يحاولوا مع عرض الحقيقة أن يبثوا العزم والأمل بالقدر الذي يمكنهم من الحصول على استجابة الجماهير القوية القادرة على تخطي

المحن .. إنني أناشد هؤلاء المسئولين بأن يتأملوا دلالة قول الله تعالى لنبيه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. « ولو كنت فظًا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .. إننا يجب وأن نقول لهؤلاء جميعًا ... « انتبهوا أيها السادة .. إنكم تحققون أهداف أعداء مصر ودون قصد .. وهذا مؤسف حقًا .. »

(ب) قضية تأصيل الديمقراطية والإبداع اللازمين لعملية تطور الفكر الاجتماعي والسياسي كخطوة أولى وجذرية لإزالة عوامل جمود الحركة وكسر الحلقة المفرغة في مصر ومعرفة العدو الخفي ومجابهته :

إن هذه القضية يجب وأن تكون القضية الأولى لنا .. لأن بدونها لن نستطيع تحقيق العزة لأنفسنا وبالتالي لوطننا العزيز .. تختص أساسًا بإيجاد المناخ الملائم للإبداع اللازم للتطور وكذلك بفتح قنوات الحركة السريعة الإيجابية اللازمة لعملية التنمية التي ينتظرنا بصددها معارك رهيبة يجب وألا نخشى دخولها مهما كان الثمن .. والسؤال الذي سوف أطرحه وأحاول الإجابة عليه في هذا الصدد هو.. ما هي الديمقراطية التي يتحدث عنها الكثير في كل مناسبة ؟ وما هي أنواعها ؟ وما هو تعريفها فيما يتعلق بالوضع الراهن في مصر ؟ وما هي عوامل جمود الحركة ؟ ومن هو العدو الخفي في هذا الشأن ؟

إن الإجابة على هذا السؤال المتعدد والمتصل الحلقات هى دعوة لمزيد من الحوار والنقاش حول هذه القضية المصيرية حتى نصل إلى تصور علمي وموضوعى للهدف الذى يجب أن نسعى لتحقيقه .. وسوف أتناول هذا الأمر فى مقالة منفصلة .. ولكن ما أريده الآن هو وضع تصور سريع لما نراه فى مصرنا الحبيبة الآن .

بعيدًا عن مسميات الديمقراطية المعروفة (مثال البرجوارية ، البروليتاريا ، الاشتراكية الديمقراطية .. إلخ أو قريبًا منها .. يمكننا القول بأن الوضع في مصر يتسم بوجود خطان أو اتجاهان يمكن تشبيهها بوجود ترام يسير على قضبان غير معدة له وربما يسير بلا قضبان فى بعض الأحيان فيتوقف أو يسير

بالقصور الذاتي في أحسن الظروف .. والمحصلة أنه لا توجد الإنطلاقة المطلوبة.. ولتوضيح ذلك أكثر نقول بأن هناك خطًا متحررًا وديناميكيًا ونتاجه ظهور ووجود علامات صحية على الطريق السليم تتبلور في شكل تعدد الأحزاب في مصر ووجود صحافة حرة .. وكذلك هناك خط استاتيكي مضاد لحركة هذا الخط المتحرر ويتبلور ذلك في وجود مجموعة القوانين واللوائح المقيدة للحركة بصفة عامة في معظم القطاعات السياسية وغير السياسية .. ويمثل فريق الخط الأول فى معظم أفراده من يؤمن بالحريات والحياة النيابية السليمة والنظر إلى جوهر الأمور والسعى لتحقيقها ومحاولة التغلب الجادة على ما يقف فى طريق الصالح العالم .. ويمثل فريق الخط الثاني نوعيتين من الأفراد:

١ ــ أنصار تقييد الحركة لخبث بهم وتربص بأي مناخ يتيح الحركة الإيجابية السليمة اللازمة للصالح العام ملائمة هذا المناخ لتحقيق أهدافهم ومصالحهم الشخصية البحتة نهائيًا .

٢ ـ أنصار تقييد الحركة ليس لخبث أو هدف بذاته ولكن لتعنت وعبودية اللوائح والقوانين بحرفيتها وكأنها قانون إلهي .. وكأنهم لا يعلمون أن من وضعها إنسان مثلهم وكان هدفه حينذاك خدمة المصلحة العامة وليس تعويق وشل حركته وحركة الجميع .

إن شعارات قطبي هذا الخط فى مواجهة الحركة الديناميكي والإيجابي هو «.. قل ما تشاء فلن يحدث ما تريد » أو تعبير « الحرية المتبادلة » كما سمعته من عامة النـاس فى مصر .. أي فلتقل ما يبدو لك وإن لم يعجبنى فسوف أضعه فى إطار الاعدمية فورًا وبنفس المنطق .. أي الحرية حسب تعريف هذا الخط لها .

[البقية العدد القادم]

١ ــ لمزيد من التفصيل الدقيق والعلمى لأنواع الديمقراطيات على المستوى العالمي أنظر كتاب الدكتور السيد عليوة « دروس في تطور الفكر

السياسي » .. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .

٢ ـ فتحي رضوان فى حديث لمجلة المجتمع الكويتية (٥ / ١١/ ٨٥) أورد هذا المصدر الزميـل ممدوح الميدانى في مقالته (قـراءة فى الشخصية المصرية) بمجلة الدارسين المصريين عدد مارس ٨٦ .

لماذا لا نفوز بكأس العالم

د . عبد المنعم سعيد

الأهرام ١٩ / ١ / ١٩٩٠

نعم لماذا لا نفوز بكـأس العالم ؟ ولماذا ـ أيضـا ـــ لا نخرج من دائرة ظلمات العالم المتخلف إلى نور وساحة الدنيا المتقدمة ؟ وإلى متى سوف نظل محسوبين ضمن « الجنوب » والـدول « النامية » و « العالم الثـالث » ؟ وبإختصار شـديد متـى يحدث التقدم فى بـلادنـا ، فنصير مع هـؤلاء الذيـن يصنعـون تاريخنـا ومستقبلنا ، فنعيد تشكيـل الكون معهم كما يفعلون ويصنعـون ؟ هل صحيح أنه « مكتوب فوق جبيننا بفعل الثقافة أوالقدر أو الاستعمار أوالمؤامرة الدولية ـ كما يزعم هذا وذاك داخلنا وخارجنا ـــ أن نبقى متأثرين بغيرنا بلا قدرة على الفعل والتأثير ؟ أم أن هناك طريقا آخر يمكننا أن نسلكه ، فلا تملكنا الابتسامة، أو الضحك ، أو حتى القهقهة حين تطرح ـ مجرد أن نطـرح ـ مثل هذه الأسئلة علينا . أم أننا استسلمنا أستقرارنا عليه فى النهاية ضمن الحلقة الجهنمية للفقر والتبعية ، ولم يعد لنا سوى القبول بالأمر الـواقع ، وعندما نتمنى فإن أقصى ما تستطيع طموحاتنا وأحلامنـا وآمالنا أن تصل إليه هو «التمثيل المشرف » فى روما .. هكذا .

لعل ذلـك بيت القصيـد . فالشعوب التـى فقدت ، أو تركـت طواعيـة ، حق الحلم، وإرادة التقدم هى التى تستنكف ، وترفض فى الحقيقة طرح هذه الأسئلة البديهيـة على نفسها ، وهى التـى فى النهايـة تفقد القدرة على العمـل والحركة،

وتتطلع أبصارهـا إلى ما يأتيها به الآخـرون ـ سواء لبسوا عقـالا أو قبعة ، من الأشقاء أو من صنـدوق النقد الدولى ـ مـن معونات وصدقـة ، وتصبح أقصى الطموحات « المشرفة » أن تحدث إعادة الجدولة لديوننا ، وأن تبقى الأمور ، كما هى عليه « ولا تتـدهور إلى اسوأ مما إعتـدنا على سوئه . ومن المدهـش أنه منذ أكثر من قرن ونصف كان لدينا القـدرة ـ والشجاعة فى الحقيقة ـ على أن نطرح هذه الأسئلة ونجيب عنها بمشروع حقيقـى للنهضة . لم يكن الحال أفضل مما هـو الآن . كان هنـاك استعمار عـالمى فتى مسلـح بالتكنـولـوجيا والتجـارة والصناعة والأفكـار ، وكنا مازلنا فى سبـات عصورنا الوسطـى .. حين حدثت المواجهـة لم نتوان عـن طرح الأسئلـة الكبرى : لماذا تقـدموا وتخلفنـا ؟ لماذا انتصروا وإنهزمنا ؟ لماذا هم فى الغرب السادة ونحـن المسودون ؟ لم يضع أحد رأسـه فى الرمـال حتى لا يـرى الحقيقـة . لم يعتبر أحد التخلـف قدرا . تكـون مشروع للمقاومـة والتنوير والتعليم والتصنيـع وحتى الوحدة مـن المحيط إلى الخليج !! ربما نختلـف حول محمد على وإسماعيـل وسعد زغلـول ومصطفى النحـاس وجمال عبد النـاصر ، وربما لا نتفـق حول حجـم وتـأثير الأفغانـى ومحمد عبده وقاسم أمين وطلعت حـرب وطه حسين والعقاد وغيرهم ، ولكننا لا نستطيع أن نتجـاهل أن هـؤلاء جميعا لم يتوانـوا عن طـرح الأسئلة الكبرى ومحاولة الأجابة عنها ، نجحوا أو فشلوا أو كلاهما معا !!

لم يكن لـديهم هذا الاستسـلام المخيف لمكان فى العـالم ، بينما الدنيـا فيها الأبيض والأصفـر والاسمر يجد مكـانه فى دائرة التقدم . منـذ ما لا يـزيد على ثلاثـة عقود كانـت المكانة العلميـة والصناعيـة المصرية أفضل أو تتـوازى مع كوريا والصين والهند والبرازيل وتـركيا وتايلاند وماليزيا وكـافة الدول التى «تتخرج » الآن من صفـوف العالم الثالث إلى صفـوف العالم المتقدم . وربما لا تمثل هذه الدول فى كأس العالم ، حتـى تبحث عن « المثيل المشرف » فيه ، ولكن حقيقـة تخرجها تجعلهـا على أبواب الحصـول على كثير من الكئـوس ، ربما لا

تكون كرة القدم واحـدة منها . وهذا هو لب القضية . فالتقـدم قضية شاملة ، ومرحلـة من مراحـل الانتقال من حـالة أدنى إلى حـالة أعلى وأرقى ، وقـودها الحقيقى إرادة مجتمعيـة ـ وليـس حكوميـة فقط ـــ تصر على رفض الـواقع ، وتطرح الأسئلة الكبرى وتجيـب عليها بمشروع للتقدم تدفع ثمنـه بلا تردد أو مماحكة.

وهـي حـالة تشمـل كـل أوجـه الحيـاة فى التعليـم والصحة والسيـاسـة والاقتصاد والأخـلاق العامـة والخاصة . هـى حالـة نهوض عظيم لا تعـرف التجزئة أو التفت أو الجرعات ، وفيها الكثير مـن الطموح والأحلام والآمال . فى مصر عرفنـا حالات خـاصة للأنطـلاق . فنعرف مـا حدث فى معـركة ١٩٥٦ ، والسد العـالي ، وعبور القناة وغيرهـا من المعارك . وفى كل مـرة فإن حالـة من الحماس والفوران القـومى تنتـابنا بقـوة ، وينتظم الجميـع فى الصف بقـدرة مدهشة على الحركة والعمل . وما أن يتحقـق الهدف حتى نظن أننا حققنا المراد من رب العباد ، ويعود كل شيء إلى سيرتـه الأولى . وبطريقة ما نتفرد فى إيداع هـذه المعارك والمسيرات فى متـاحف التـاريخ ، وتتحـول إلى أغانـي وذكريـات واحتفالات سنوية تـأخذ لها أجازة للارتخاء والاسـترخاء . ولدينـا هيئات من يزورها يتخيل أنه فى العالم المتقدم . هناك هيئة قناة السويس ، والهيئة العربية للصنيع الحربي ، ومؤسسـة الأهرام ومجمع الألومنيوم وغيرها ، ولكنها أشبه بالجزر المعزولة عن بعضـها البعض ، وبينها وبقيـة الوطن بهيئاته ومؤسسـاته الغارقة فى بحر البيروقراطية والخمول . والأهم مـن ذلك كله أن لدينا عبقريات متفـردة فى كثير من المجـالات ، وخـرج منـا مجدى يعقوب ونجيـب محفـوظ وغيرهما كثيرون . وهؤلاء نجلهم ونقيم لهم الاحتفالات ونضـيء لهم الشمـوع، وكأننا نستبدل بعبقريتهم الفردية خيبتنا وقلة حيلتنا الجماعية .

وهكذا فإن التقدم لدينا معارك منفصلـة ، هيئات معزولة وعبقريات وليس تردية وحركـة جماعية للخروج من هوة التخلف إلى الآفاق الرحبـة لكل ما هو

حديث وعلمي ونبيل فى عالمنا . فرؤيتنـا للحركة التاريخية أشبه بتسجيل نقاط تدل مـن وقت لآخـر أن مصر أم الدنيـا لها مكان ومكـانة فى دنيـانا . ومسيرة الفريـق القومى ، عـاطفيا وسيكولوجيـا ، تشرح ذلك دون عناء كبير . تكـونت لدينا عقدة أن الوصول إلى كأس العـالم يضعنا فى نفس المستوى مع دول كانت تحسدنا فصرنا نحسدها . وفى نوبة من نوبات الحشد القومى إنتظم الجميع فى الصف حكومة ومعارضة ، السلطة والجماهير ، وحتى المجلس الأعلى للرياضة وإتحاد الكرة ! .. وسـط ذلك كلـه إكتشفنا عبقريـة مصرية فى شخـص مدرب إستطاع أن يضـع خطة علمية والأهـم أن ينفذهـا وهى مسائل كلهـا نادرة فى حياتنا الحالية . ولكنها حدثت ، ووصلنا إلى كأس العالم . ويعود كل شىء وفق النمط المصرى التقليـدي ، فقد أحرزنا نقطـة وإنتهى الأمر ، ووصلنـا إلى روما ولم تعد هناك مشكلة ، آمالنا إنهت وتواضعت ، وبقيت عند التمثيل المشرف !

ويبدو النمط المصرى أكثر وضوحا فى عزلة الحدث نفسه . فهو لا يعبر بأى معنـى عن تقـدم الريـاضة فى مصر ، وهـى تعبير عـن تقدم الصحـة العامـة ، والمجتمع ككـل . وإنما هو حادث يقـف وحده ، وتفردت فيـه عبقرية فـردية ، وضمن ظـروف استثنائيـة ، سوف ينضـم بعد قليـل إلى متاحفنـا التاريخيـة العامرة بالتحف والأحداث . وهكذا فإن الحدث يصبح بديلا عن التقدم الشامل ، فهو يرضـى غرورنا للحظة ، ويجعلنا نتخيـل أننا على سطح الدنيا ، وأن لدينا رياضة فى الـوقت الذى تشير فيه كـل المؤشرات إلى تدهور مستويـات الصحة العامة أظهرة العجز الفاضح لـدى المتقدمين للكليات العسكرية . ويبدو أن هذا النمط أصبح مغـريا لدى كثير من المسئولين ، حتى أنهم لا يـرون التقدم ممكنا بالمعنى الشامـل ، وإنما من خلال مؤسسات جديـدة ، تنشأ خارج المؤسسات القائمة ، وتحشد لها كل الامكانيات حتى تنجح وتتقدم . النموذج التقليدى كان هيئة قنـاة السويـس . والنموذج الحديـث السعى لأنشـاء وادى للعلماء ، رغم وجود المركـز القومـى للبحوث وأكـاديمية البحـث العلمى والمهتمين بـالعلماء

والباحثين . والفكرة مأخوذة عن وادى السليكون الشهير بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يجتمع نخبة من تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة . ولكن وداى السليكون لم يتكون بقرار من وزير الدولة للتنمية الإدارية الأمريكى - حيث لا وجود لهذا المنصب — وإنما من خلال تقدم صناعى عام ، وعلى الشركات الكبرى أن تقيم مراكز ومعامل البحث والتطوير فى هذا الوادى البعيد فلم يتخذ أحد قرارا بذلك ، وإنما جاء نتيجة تطور مجتمعى عام تطورت معه أماكن وأساليب البحث العملى . وسواء نجحنا أو فشلنا فى إقامة وادى السليكون المصرى ، فإن النتيجة واحدة . جزيرة أخرى معزولة مقطوعة الصلة بباقى المجتمع ، وربما تثير الحسد من باقى الجزر الأخرى الآخذة فى التآكل والغارقة فى البيروقراطية والتى يعانى علماؤها من شح اليد وفقر الميزانية .

مرة أخرى ، فإن سر المحاولة ، وهو أن تقفز إلى التقدم ليس من خلال خطوات مجتمعية شاملة ، ومشروع نهضوى عام تنفخ فيه الروح فى المؤسسات القائمة بالفعل حتى يؤدى كل منها دورها التى أقيمت من أجله ، وإنما من خلال مشروع واحد ، نتصور أنه يمكن أن يقوم بدور القاطرة التى تشد المجتمع كله وراءها . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فكل التجارب التى سبقتنا لم تتقدم على طريقة القطار الذى يشد بعضه بعضا ، وإنما على طريقة الانشطار النووي التي تتزامن فيه تفاعلات هائلة فى فترة زمنية قصيرة تنتقل فيه المادة من حالة أخرى ، وهي تفاعلات وقودها طاقة كبرى يمكن أن نسميها أرادة التقدم ، وهى إرادة لا تتكون إلا إذا توافر قدر كبير من رفض الأمر الواقع، والقاع الذى وصلت إليه الأمة ، والتخلف الذي اجتاح البلاد ، فلم يكن ممكنا لكوريا أن تخطو خطوات التخرج من العالم الثالث مالم تصل إلى قناعة بعد الحرب الكورية وهو أن الخمسينيات أن الأمور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه . ونقول كوريا ولم نذكر اليابان والمانيا بعد الحرب . والأمثلة كثيرة فى الصين والهند وسنغافورة وتايوان والبرازيل وغيرها ، حيث واجهوا حروب

الأفيون واستنزاف القوى الاستعمارية والحصار الخارجي ، وكان رد فعلهم النهوض والتقدم .

ويواكب إدراك الواقع طموح شديد وآمال كبرى وإيمان بالقدرة على تحقيقها . وهى مسألة تختلف كلية عن طريقتنا فى إطلاق الشعارات والأغانى . فهى تعنى أولا المعرفة والمعلومات عن الحالة التى وصلنا إليها مهما كانت مرارتها ، فلا يقال أن صادراتنا تضاعفت خلال الثمانينيات بينما تعود زياداتها إلى هبوط سعر الجنية المصرى أكثر منه زيادة حقيقية فيها . هى ثانيا تعنى معرفة بما نريد تحقيقه وإيمانا بالتقدم ، فليس صحيحا أن ماضينا يمكن أن يكون أفضل من مستقبلنا ، وإن الولوج إلى عالم المستقبل ضرورة لا غنى عنها لاستمرار بقائنا ذاته . وتعنى ثالثا أن للتقدم ثمنا علينا أن ندفعه . فلا مكان هنا للتكاسل ، أو التصور أن كل جهد تبذله عليه أن يوفر الراحة والسعادة للجميع لم يحدث ذلك من قبل ولن يحدث ذلك الآن . وعلى كل إنسان فى الوطن أن يتحمل مسئولياته . فليس معقولا أن يتخلى الآباء عن مسئولياتهم كآباء ويطالبوا وزير التعليم أن يعدل مواعيد امتحانات الثانوية العامة حتى لا تتعارض مع مشاهدة أبنائهم لمباريات كأس العالم القادمة فى يونيو . هكذا !!

والأهم رابعا أن نستبعد الأسباب غير الجوهرية التى نتصور أنها تقف فى سبيل تقدمنا . فغير صحيح أن مشكلة مصر هى رأس المال . فخلال العقد والنصف الماضى دخل مصر ما يزيد على مائة ألف مليون دولار (قروض ومعونات وتحويلات عاملين ومصادر أخرى) وهى أكبر كمية من الدخل حصلت عليها منذ بناء الأهرامات ، ولم تتوافر للكثير من دول العالم الثالث الأخرى . وليس صحيحا أن سبب تخلفنا يعود إلى الزيادة فى مصر من أقلها فى الشرق الأوسط ، وتكاد تمثل المعدل المتوسط فى العالم الثالث .وإذا نسبنا عددنا إلى مساحتنا ربما فلحنا فى فهم اللغز الذى يجعل بريطانيا التى لديها عدد سكان أكبر مساحة أقل ، تنتج ما يزيد على عشرة أضعاف الناتج القومى الاجمالى

المصرى . هـل نتحدث عـن اليابـان التى لـديها أكثر مـن ضعف عـدد سكاننـا ويعيشون على ثلث مســاحتنا وبلا موارد طبيعية على الاطلاق ، ومــع ذلك فإن ناتجها القومى الأجمالى بلغ خمسين مرة تقريبا حجم ناتجنا القومى بعد تدمير شامل وكامل خلال الحرب استخدمت فيه لأول وآخر مرة القنابل الذرية .

المشكلة الجوهرية فى طريق تقدمن الموارد وليس السكان ، فهما قد يشكلان عقبة فى بعض الأوقات ولكن لم يحدث أن توقف تقدم دولة بسبب زيادة البشر أو نقص الموارد . ما يفرق بين مجتمع أو آخر هــو العمل وإرادة التقدم والرغبة فى اقتحــام المستحيل والاستعـداد لتحمــل المسئوليـة كـل فى مـوقعه . فليـس متصورا فى أي بلد مـن بلدان الدنيا أن تحدث كارثة لمحصــول القطن كما حدث لدينا ثم يبقى كل مسئول فى موقعه . وفى الغرب يقولون ـ تهكما علينا بالطبع ـ أنه لا يمكن أن تحصل على غفوة بعد الظهر وتتحدث عن إنتاج الوقود الصناعى فى نفس الـوقت ، المعنى هنـا إنه لا يمكن الحصــول على التقدم فى الوقـت الذى يبحث فيـه كل فرد عـن الراحة والنوم . فـأسلوب الحياة لابـد من أن يتغير فى الحكومات والمؤسسات والأفـراد لخلق مناخ جديد من التقشـف والزهد . هذا المناخ يعنى تكـاليف وثمنا مدفوعـا ولكن وراء عائد سوف نجنيـه فى حاضرنا ويحصل عليه أولادنا من بعدنا .

وإذا كان هنــاك ثمن مـدفوع فــلا بديـل عن المشــاركة فى إتخاذ القـرارات الخاصة بتحمـل الأعباء . فـلا أظن أن المصريين حــالة استثنــائية بين شعــوب الأرض لا تطمــع فى غـد أفضــل مـن حاضرهـا . والثـابـت أنهم على إستعـداد للتضحية إذا كان أمامهم مشروع للتقدم والنهضــة ، وشاركوا فى صناعته وفى إتخاذ قراراتــه ، وساعتهـا فإنهم يتحركـون فى حشد منتظـم وجبار فى إتجاه تحقيق الهدف الـوطنى . وســاعتها سوف تكـون هناك كئـوس عديـدة ، ولن يسخر أحد إذا ما تســاءلنا عن الفوز بكأس العالم ، وربما فى حين لـن يهتم أحد بطرح السؤال لأنه سيكون بأيدينا كأس التقدم !!

لماذ الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية

زكريا نيل

الأهرام ٨ / ٩ / ١٩٩٠

هذه المبادرات المنهمرة فى تحركات بعض القيادات العربية .. ما دلالتها فى حركة العمل العربى .. ؟؟

هل هى صورة للتشرذم العربى الذى أسقط الأداء الجماعى ، فى مواجهة الحادث الجليل الذى وقع على أرض الكويت ؟؟

دون شك هناك انكسار حدث فى البناء العربي ، بعد غزو العراق للكويت ، كان انكسارًا حادا وغير مسبوق فى تاريخ قدسية الأوطان ، ومن ثم حدث الانفراط العربي !!

مبادرة من ملك الأردن ، وأخرى من رئيس منظمة التحرير ، ومبادرة من العقيد القذافي ، وأخرى مرتقبة من الجزائر ، وحتى الفريق البشير ، دخل هو الآخر فى لعبة المبادرات بعد عودته من بغداد . يا للكارثة القومية لأمة العرب !

على كل الأحوال ليس أمامنا إلا أن نقول لا بأس .. لا بأس من تكثيف هذه الجهود الدبلوماسية ، حتى ولو كانت مفردة ، عسى أن تكفر القيادة العراقية عن آثامها ، وتستجيب لها ، وتحترم شخصية أصحاب المبادرات ، وتجنب أمتنا العربية ويلات أى حروب مرتقبة !

لكن .. هل كل هذه المبادرات يمكن أن يكون لها قبول أقليمى ، وبعضها واقع فى مستنقع التواطؤ إلى الآذان ؟

فى تصورى أن أيا من هذه المبادرات ، إذا تضمنت فى عناصرها أي مكافأة للمعتدى فأنها من منظور العدل الألهى ، تكون مبادرة ساقطة وفاشلة ، لأنها استلبت الشرعية ليحل محلها اغتصاب .

والناس ـ كل الناس ـ فى إنحاء الوطن العربى ، تلفهم حيرة خانقة ! وحتى

الذيـن وضعوا على وجـوههم اقنعـة التعاطف مـع المعتديـن ، هم فى أزمـة مع ضمائرهم ، ولا يدرون إلى أي مستقبل مجهول تستدرجهم القيادة العراقية ؟

وحالـة الغموض المقلـق ، مازالت هـى الأخرى تلـف هويـات المتحركين فى الأزمة فالكل تختلف رؤاهم بين عشية وضحاها .. والجريمة ضخمة ومفجعة، ونخشى من استمـرارية هذه التناقضـات ، أن تتحول القضية إلى ظاهـرة من ظواهر الأزمات الأقليمية ، تأخذ فترة سـاخنة من الحرب الإعلامية الحادة ، ثم لا تلبث أن تجنح إلى الاسترخاء !

القضيـة ليست قضيـة غزو الكـويت فحسـب ، ولكنها قضيـة الحصانـة المقدسة لصيانة استقلال الدول وحماية إرادة شعوبها ، والذين يخلطون ، بين المسلمات الشرعية ، وبين افتعال قضـايا جدلية ، إنما هم خارجـون عل قوانين الحيـاة ، وعلينا نحـن المثقفين أن نـأخذ حـذرنا مـن استـدراجنا إلى سراديـب المتـاهات وأن نظـل واقفين أمـام بوابـة الحريـة ، التـى استباح فيهـا الأشرار المحرمات غدرا وترويعا !

وإذا كان السيد « طارق عزيز » الذى يعتبر ذراع الارهاب السياسى للقيادة العراقية ، يلعب دور « ابا مسلم الخراسانـى » قائد الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، فإنه يعرف أن مصير الخراسانى كان القتل بيد المنصور نفسه الذى يرى فيه « صـدام » مثله الأعلى ، فى التعامل بالسيـف مع من هم حولـه خاصة الأقوياء!

كيف نحلل منطوق « طـارق عزيز » ردًا على سؤاله عن الكـويت قال : لو أن المملكة السعودية استولت على « قطر » لما عارضناها فى ذلك ، فقطر من الكيانات الخليجية الصغيرة وبدون جذور تاريخية !

هنا نوجه سؤالا للسيد طارق عزيز :

هو ما معنى الدولة عندك ، وما هو مفهومها فى القواميس السياسية ؟؟

الدولة تنهض على أركان ثلاثة : الشعب والأرض والشرعية ،وما دامت هذه

الأركـان قائمـة ، فـإن الاعتراف بها هو إعتراف بـالـدولـة ، مهما كان حجـم مساحتها وعدد سكانها ، وتاريخ ولادتها ، إن دولا صغيرة كالكويت أو قطر أو سلطنة عمان ، لها وجود على خريطة الدنيا يسبق ظهور العديد من الدول . بعد قرون ، وبعضها كان له حضور تاريخى فيما قبل الميلاد .

● وقطر التى يستهين به « طارق عزيز » ويـدعى بأنها كيان بدون تاريخ ، ربما بحكم تكوينه النفسي لم يهتـم بدورها عندما شاركـت بحريتها ، فى تعبئة أول أسطول بحـرى ، لنقل الجيـش الإسلامـى للجهاد ، بقيـادة « أبى العـلاء الحضرى » وما زال شعراء العراق يرددون أشعار فـارسها وشاعرها «قطري بن الفجـاءة » وعلى كل فـإنه لا يهمنـا أن يعرف « طـارق عزيـز » دور قطر فى المنطقة ، لكـن يهمنا أن يعلـم أنهاا كانـت سواء بســواء مع العـراق تحت حكم الدولة العثمانية لمدة أربعة قرون ، وكانـت السلطة الفعلية فى يد شيوخ قبائلها وأن آل ثانى الذيـن يحكمونها منذ عام ١٨٥٠ ميلادية ، هم مـن بنى تميم التى تنتسب إلى مضر بن نزار .. ولم يفاخر أحد منهم بأنهم يلتقون فى الحد الخامس مع الرسول عليـه الصلاة والسلام ، فى حين يدعى صدام حسين ، بـأنه أصبح فجأة من أهل البيت وأن جده على بن أبى طالب رضـى عنه !!

وأقول للسيد « طـارق عزيز » أن ذلك الطـرح ليس المقصود به الـدفاع عن الدول الخليجية أو عن الأسر الحاكمة ، التى سبقت العراق فى النهوض بشعوبها ولكنه دفاع عـن قدسية الكلمة وعـن الحقائق ، التى ستظل محفـورة فى ذاكرة التاريخ حتى ولو حاول حكام العراق حذفها من الكتب المدرسية !!

جنهم بعده لن تطلب المزيد
المستشار محمد أبو علم

الأخبار ٢٠ / ٢ / ١٩٩١

اقتلوه ولا تـرحموه .. اذبحوه وأشربـوا من دمه فهـذا يرضيـه .. أن كنتم تكرهونه فإن الله وملائكته ورسله يكرهونه أيضا .. وأن كنتم تحبونه فإن قتله

سوف يسعده ويرضيه ..!! أنه يحب الدم حتى ولو كان الدم يسيل من رقبته..!!

اقتلوا صدام واسحلوه ولا ترحموه .. لقد قتلتم عبد الكريم قاسم من قبل وسحلتموه .. لقد وصفكم واحد منكم يوما بأنكم أهل غدر ونفاق . فلا تغيروا صورتكم هذه واقتلوا صدام فإن قتله رحمة بالناس أجمعين !!

اقلبوا العراق رأسا على عقب بحثا عنه .. أجعلوا عاليها سافلها وحتى تعثروا على سافلها هذا فتعدموه .

اسألوه عن المليون قتيل الذين ذبحهم فى حربه الظالمة مع إيران .

اسألوه لماذا هاجم إيران ثمانى سنوات ثم عاد واعتذر وانسحب وكأن شيئا لم يكن !!

اسألوا هذا السفاح عما قدمت يداه .. حاسبوه واذبحوه واسألوه فيم كانت حرب إيران ؟ وفيم كان الندم وكان الاعتذار !!

لا تأمنوا جانب هذا الشرير ولا تصدقوه .. ثم اسألوه عن حرب الكويت.

اسألوه عن ضميره فيما أنكره .. وعن أخلاقه فيما أهدرها ..وعن النساء لم هتك أعراضهن ؟

اسألوا اللص عما نهب وعن الأطفال وما شرد وقتل وعن الأعراض ووحشيته فيما هتك ؟ !

اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بماضيه الملوث كله بالدماء .. فسوف يرقص العالم كله لمقتله .

أن طائرا واحدًا ملوثا بالقطران قد أثار شفقه الناس فى كل مكان .. أما صدام مسحولا فى الشوارع فسوف ترقص البشرية كلها فرحا به .. وسوف يكون أول الراقصين سعدون حمادى وطارق عزيز وطه يس رمضان ومندوبه فى أمريكا عبد الأمير الامبارى !!

تصوروا شخصا اسمه عبد الأمير ؟؟ !! هذا العبد تمامًا مثل سيده ليس عبد

الله وإنما هو عبدالله أمير !! أما الأمبارى هذه فهى صفة هزلية تنبأ عما يخرج من العراق من شواذ !

اضربوا الآن قبل غد .. اضربوا هذا الوحش المجنون الذى فقد عقله ويلتف حوله شرذمة من الجبناء والمناجس ..

لا تتوقفوا عن قتله فى شهر شعبان وشهر رمضان فإن ذبح صدام واجب حتى فى الأشهر الحرام !!

إن الحرام هو تركه يقتل ويعبث ويشيع السفك بين الناس بلا حساب .. لا تدعوه يضحك عليكم بسبب مائة قتيل ماتوا فى خندق فقد قتل هو الملايين فى العراء بلا استحياء ولا ضمير ..

تعقبوا صدام تحت الأرض .. أي زعيم شجاع هذا الذى يعيش فى الأنفاق؟؟!! أي جبان هذا الذى يتكلم باسم الإسلام ؟؟

أين هذا النذل من أئمة الإسلام وشهداء المسلمين على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام أو فى أي زمان !!؟

أين الجهاد فى قتل ملايين المسلمين فى إيران وفى الكويت ؟

أين الجهاد فى قتل مواطنيه المسلمين من الأكراد ؟

لا تصدقوا بكاءه على مخبأ هدمه الحلفاء .. لا تنتظروا مفاجأة هذا السفاح..
أضربوه الأن قبل غد .. أضربوا هذا الوحش المجنون الذى فقد عقله وشرفه وضميره ..

إن الحرام هو تركه يقتل ويسفك الدماء بلا حساب ..

أقتلوا السفاح ولا ترحموه فإن الدم يسعده حتى ولو كان دمه هو..!!

اذبحوه قبل أن يذبحنا ..!!

اذبحوه واسحلوه والقوه فى جهنم فإن جهنم بعده لن تطلب المزيد.!!

هل معقول أنها :
أزمة وتعدى ؟!

بقلم : سناء فتح الله

الأخبار ٢١ / ١ / ١٩٩١

هذا هو اسم المسرحية التى قدمها شباب الكويت على مسرح المجلس الأعلى للشباب والرياضة .

تأليف : محمد الرشود .

إخراج : نجف جمال .

ومسئول المهرجان الذى عرضت من خلاله المسرحية هو خليل إبراهيم .

ويقول إن هذه المسرحية « أزمة وتعدى » .. هى مشكلة من أشكال المقاومة فى جبهة الفن يقدمها مسرح الجزيرة بالتعاون مع فنانين أخوة وأعزاء إلا أن يشاركوا فى هذا العمل مساهمة منهم فى معركة التحرير .

وللحق

عرضت المسرحية فى مرحلة ما قبل بدء الحرب بأسبوع تقريبًا !.

.... رغم أن المسرحية كوميديا ساخرة من العراق !! والجيش العراقى.. وهدف احتلال الكويت .. و .. و ..

إلا أن العرض لا يحمل أى رؤية أكثر من أنه يعيد الحكاية بأسلوب إعلامى ساذج ويحمل استفزازا وعجرفه وصلفا فى منتهى الغرابة .

وقد ذكرت هذا الرأى للسيدة الفاضلة المستشارة الإعلامية بسفارة الكويت وصاحبة الدعوة .. وهى تتمتع بصدر رحب لأى كلمة نقد لها قدرة حيادية للحكم على الأشياء .

قلت لها بالحرف الواحد .. أننى إحسست باكتئاب وحزن فى الوقت الذى زادت فيه جرعة الضحك والسخرية من الجيش العراقى الذى يحتل وحتى هذه اللحظة بلدا عربيا وشقيقا .

صحيح أننا نقف مع الصف الكويتى ضد الاحتلال ..

لكن ، من الصعب للغاية أن تحس بأنك جاد جدا ومع قضية الآخرين .. الذين يضحكون ويقهقهون ويمرحون وهم يعيشون على سطح الأشياء .. وفى الأعماق تعد خرائط جديد للمنطقة .. وأهداف لافقار منطقة تتمتع بثراء طبيعى وهيمنة على الطاقة البترولية .. ومصالح الغرب الذى يسعى لتجميد أسعار البترول عندما يستورده . ليصدره خامات بأعلى الأسعار .. وكأن الغلاء الذى يتحكمون فى تسويقه هنا وهناك لابد أن يكون تحت أمرتهم .. فإذا ظهرت أى قوة فى المنطقة .. كان لابد من تدميرها كاملا .. بأى أسباب كانت .. بأى مؤامرات .. حتى ولو استغلت فى هذا التدمير أصحاب القوة ذاتها .. كأداة للمخطط .

ماذا يضير العالم كله .. لو احترق الشرق الأوسط كله بمن فيه ما عدا إسرائيل .. وآبار البترول .

أليس هو نفسه .. العالم كله الذى وافق على وجود « الدولة » الإسرائيلية واحلالها محل « دولة » وشعب فلسطين (!) وطرد الشعب كله.. لاجئين .. وتدمير بيوتهم وقراهم ومدنهم وحياتهم كلها وعلى مرأى ومسمع من المجتمع الدولى (!) .

وعندم يتم تدمير حوائط وأبنيه فى تل أبيب .. يقوم العالم ولا يقعد ويحتفظ بحق الرد !.

أليست العراق هى التى من حقها الاحتفاظ بحق الرد الذى تمارسه الآن.. وبكل الحق .. ردا على ضرب مفاعلها لتهدر حقها فى أن يكون لها قائمة كدولة .. احتفظت بحق الرد ١٣ سنة .

هل معقول أن تكون « إسرائيل » وحدها هى التى تملك مفاعلها فى المنطقة كلها فى أمن وأمان .. وترفض حق المراقبة الدولية من العالم كله.. أليس هذا يمثل تهديدا سنرى نتائجه قريبا كفرصة لها لتتوسع وتستوعب الأعداد

الكبيرة المهاجرة من اليهود السوفييت وغيرهم .. وتهدد المنطقة كلها بقوتها .. وتستفز مشاعر كل المسلمين فى العالم بتلك المجزرة للمصلين داخل مسجدهم الأقصى بالأرض المحتلة .

أليس هو نفسه هذا العالم الذى يتكلم باسم السلام ويتلمض بجملة حقوق الإنسان .. والحرية .. والديمقراطية .. الذى وافق معظمه على نقل سفاراته داخل « الأرض المحتلة » .. ليمنحها شرعية الانتماء لإسرائيل .

أليس هو نفسه .. العالم الوغد .. الذى يشاهد بالتليفزيون أغرب حرب فى تاريخه تفوق قسوتها كافة الحروب العالمية . وأفلام السينما .

هذه الحرب يا سادة ليست عادلة .. والربط الذى تنكره اليوم بين قضية الخليج وقضية فلسطين .. خطأ تاريخى جسيم لن تغفره كتب التاريخ فى العالم كله حتى لو احترقت كلها فى أتون الحرب » .

وهذه الجملة الأخيرة .. قالها السناتور الأمريكى « تونى بك » .. أخيرا فى سجاله مع « جون بيمون » .. حول ما يحدث فى الخليج وتقشعر له الأبدان ..

ماذا كان يحدث .. لو انتظرنا .

لماذ تعجلتم الأمور وفق ميقات لظالم ومأجور .. لأمريكى .. وضد ظالم آخر وباغ فى الرئاسة العراقية .. « وتسلط عليهم من هم أشد منهم ظلما وبغيا»..

صحيح أن أرض الكويت باقية .. وبترولها باق .. فى حصار اقتصادى. ولكن هناك دم ملايين الأبرياء .. يلطخ هذا العالم المتحد فى تجبر ويقابله صلف فى تجبر .. ويبقى السؤال المطروح فى عدل .

لماذا لا تناقش قضية الشرق الأوسط برمتها على بساط بحث وأمام هذا المجتمع الدولى والتحكيم الدولى. ونقف جميعا مع هذا الطرح العادل.

والذى تقره ضمائر تعرف العدل .. حتى ولو كانت أمريكية .

وشكرا « للمسرحية الوطنية الساخرة » .. كما أعلن عنه .. باسم « أزمة وتعدى » .. فهى « أزمة » فعلا .. ولكن لن تمر هكذا . أو كما تقولون «تعدى»!.

نص الرسالة المفتوحة التـى وجهها الرئيس العراقى صدام حسين إلى السيد محمد حسنى مبارك رئيـس جمهورية مصر العربية أمس ردا على النداء الذى وجهه الرئيس المصرى إلى الرئس العراقى عبر التلفزيون قبل أيام .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليك ، لقد أطلعت على النداء الذى وجهتمـوه إلينا والذى دعوتم فيه العـراقيين لينسحبوا مـن الكـويـت ، وإن نداءكـم هـذا وجهتمـوه من خـلال استحضار مـا فهمتموه عن القوميـة ومبادئ الإسلام ، وبعد أن اعـدت قراءة النداء احيكم عليـه ولكن اجابتى تتطلب منكم الصبر لقـراءة محتويات الجواب وقدرا من التحمل لما سيرد فيها من مفاهيم ، ذلك لان الجوهرى منها سيما وإنه سيكون معادا عليكم نظرا لاننى تحدثت فيهـا معكم فى اكثر من مناسبة وكنتم توافقون عليه أو هكذا كان يبدو لى على الأقل .

ومهما يكن ، فإن الله عـز وجل قد علمنا الكثير أو لنقـل علم الكثير مما يجب لمن تعلم أو لمن يهئ نفسه ليتعلم من عباده ومـن البديهى القول بأن الصالحين من عبـاده اقدر على تعلـم ما ينبغـى وما يجب ، ذلـك لان إيمانهم يسبق مجرد القدرة الذهنية كمدخل أساسـى لتلقى العلم واستيعابه وان من جملة ما تعلمناه من كتاب الله القرآن الكريم ، هو اعتماده تعـالى الحوار مع الإنسان وعنايته به عناية فـائقة إذا وحيثما وجد إن الإنسان متردد فى الإيمان أو عـاص أحكام الله ودوره فى الخلق يـأتيه بالبرهان الـذى يقشع عنه غشاوة الشرك والضـلال ثم يسـأله بطـريقة حـوار لم نصل إلى مستـواهـا ، نحن البشر هـاتفا بهم هـات برهـانك.. هاتـوا برهانكم ، فـإذا كان الله سبحانـه وتعالى وكطريـق للإيمان ليهتدى بعـد ذلك مـا يهتدى الحوار ويسـأل من تكـون له قنـاعة أخـرى هات

برهـانك ، هاتوا بـرهانكم .. فمن بـاب أولى أن نتجنب نحن عبادة أن نطلـق ما نعتبره حقائق أو ما نراه اتهاما من غير برهان.

وعلى أساس هذه المعـانى الإنسانية العظيمـة فلابد أن ادخل معـك فى حوار قبل أن أقـول لك نعم أولا عـن كل ما ورد فى رسالتـك وكل ما هـو محل حوار ونقاش وجدل فى مصر وفى الوطن العربى بل وفى العالم .

سيادة الـرئيس : قبل أن أن ينعم الله علينـا أو تسوق الظروف فى مسـاقها الحوادث لنصل إلى رئاسة الجمهورية فى العراق ، ولتكونوا على رأس السلطة فى مصر ، كنا مـواطنين عاديين وكان عبد الله المتكلـم ابن فلاح مات والـده قبل أن تلده أمه بـأشهر ، وإنه من أسرة كـريمة شرفها الأساس فى عملهـا وكونها من الدوحة المحمديـة القرشية حيث يمتد نسبها إلى سيدنا الحسين جـدنا الذى هو بن على بـن إبى طالـب ، وعلى حد ما أعرف انكـم يا سيادة الـرئيس من عـائلة مصرية ليسـت من الأمراء أو الملوك الـذين سبقوا ثـورة يوليو ـ تموز ـــ عام ١٩٥٢ وعلى أية حال وكوننا جزءا من الشعـب فإننى افتراض بأن الزمن الذى أصبحنا فيه فى موقع الرئاسة لا ينسينا ، حياة الشعب خاصة ونحن مسؤولين عن شعبنا ، كل من موقعه ـ عن الأمة كل حسب ما يؤمن من بعضها مسؤولية دستورية كما هو الحال واجاباتنا من خلال وصف المسؤولية الرسمية .

وعبـد الله المتكلـم رتـب على نفسـه مسؤوليـة أخـرى سبقـت المنـاصـب وعناوينها. منذ أن كان طالبا فى المدرسة حيث أمن صدام حسين بأن أمة العرب أمة واحدة ، وأن الوطـن العربى من المحيط الأطلسى إلى الخليـج العربى وطنا واحدًا وأن محمدا بن عبد الله الرسول والنبى الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو عربـى قرشـى وإن الله اختار أمـة العرب كمـلاك إيمان لينقلوا رسـالته التـى تضمنها قرآنـه من خلالهم إلى الإنسانية جمعاء ، وأن دور الأمـة طبقا لهذا هو دور مختار أى أنه دور قيادى ،ولكى تحافظ الأمـة العربية على دورها القيادى وتمارس مسؤوليتها التى شرفها الله ، بإبقاى جذوة مفاهيم الرسالة السماوية

الجديدة ـ الإسلام ـ متقدة يجب أن نحافظ بتميز واضح على صفات ما يقتضى من إيمان وممارسة ولأن ما فى الإسلام بل وكل الرسالات السماوية بعد الإيمان بالله الواحد الأحد هو إنسانية الإنسان ، وبما يؤهله للسعى فى الأرض واعمارها وإقامة العدل عليها ، فإن كل قائد وكل رئيس وكل ملك فى الأمة العربية إذا ما زاغ عن هذا الطريق وإذا ما ابتعد عن دوره تجاه الإنسان العربى وما ينمى ويحافظ على صفات القيادة فى شخصيته لحمل الرسالة وإقامة العدالة فى الأرض فلا يشفع له عند الله حتى لو أقام الليل والنهار صلاة وصوما.

فما بالك إذا افتقد القائد والحاكم حتى إلى ذكر الله وظلم وتجبر وعصى وتكبر.

كل المصريين وكل العرب يعرفون أن الأقطار العربية . قبل ظهور البترول فى حياة العرب كمصدر أساسى للثروة وقبل أن يكون اهتمام العالم به ما هو عليه الأن ، كان لهم تسلسلهم وكان لكل قطر من الأقطار مكانته وكانت مكانة الأقطار العربية وتأثيرها وتسلسلها هو حصيلة تراكم آلاف السنين من العمل الذهنى والعضلى ومن الكد والتضحية وكلنا يعرف أن الأقطار العربية كانت لها كنى ترافق اسماءها وأن تلك الكنى هى حصيلة ذلك التاريخ الطويل وما يرتبط به من خلفيات حضارية فكان لمصر بلاد النيل مكانتها وتأثيرها ، بين العرب على أساس الاعتبارات التى ذكرنها ، وكان للعراق بلاد ما بين النهرين وأرض السواد مكانته وتأثيره وكان لليمن السعيد مكانته وتأثيره ، و هكذا لتونس الخضراء إلى جانب شبه جزيرة العرب أرض نجد والحجاز وبلاد الشام، وقد كان لها حتى فى الإسلام مكانتها ودورها الذى تعمق بالإيمان وشرف حمل الرسالة الإسلامية ، حتى أسميت مصر بأرض الكنانة

وقد عانى العراق منهم ومن مؤامراتهم منذ وقت طويل واشتدت مؤامراتهم على العراق فى السنين الأخيرة ذلك لأنهم أدركوا أن العراق يرفض

سياسة أسيادهم المستعمرين ويرفض حالة الذل التى يريدون فرضها على العرب ،يرفض أن تسخر ثروة العرب لتخريب شخصية العربى وتراثه ودينه وأخلاقه ويسعى لوضعها فى خدمة أهداف العرب وفى خدمة كل الشعب كثروة قومية ، وفى الوقت الذى يتحمل فيه كل العرب عبء وجود الثروة فى الوطن العربى يجب أن تعم خيراتها كل العرب ، لا أن تبقى فى يد فئة متحكمة تستخدمها للتحلل وللفساد والعدوان ، وكان عدوان شيوخ البترول يتزايد على العراق كلما أجهر فى القيم العروبة والإسلام ، وكلما نادى بصوت عال بأن القدس عربية وبأن فلسطين عربية حتى بأمكانى أن أقول لك يا سيادة الرئيس ومن خلالك إلى شعب الكنانة العزيز ..

أن موقف الملك فهد ضد العراق وضد صدام حسين ليس لأن الكويت عادت إلى أهلها بعد أن ظلت بعيدة فى مستنقع الذل سنين غائبة ومتسخة فى مستنقع الفساد ، ان فهد ومن تعاون معه قد بدأوا التآمر على العراق وعلى صدام حسين بعد أن تأكد لهم باليقين أن العراق وصدام حسين مع فقراء العرب وليس مع مترفى الأمة الذين غاب الله عن عيونهم بعد أن غاب الفقراء عن حياتهم ، وإن العراق وصدام حسين ورفاقه لم يتنازلوا فى كل الظروف وتحت ثقل كل المؤامرات والدسائس عن فلسطين وعن القدس الشريف ولهذه الأسباب ولأن أسيادهم وأولياء ثروة السحت الحرام منزعجون منه ورافضون للعراق الجديد وسياسية صدام حسين ورفاقه فلابد أن يكون لهم دور فى التآمر. ولنفس الأسباب التى كرهوا فيها عبد الناصر وتآمروا عليه .

تآمروا على صدام حسين مع ما يزيد على أسباب تآمرهم على عبد الناصر من أسباب وعوامل ولان الله قد علمنا بأن نأتى بالبرهان ليقتنع من يقتنع فأننى أرفق لكم نص شريط مسجل بصوت فهد وهو يتكلم مع حاكم عربى آخر لم يكن مشتركا معه فى المؤامرة ولتسمع الشريط وما فيه وأن تاريخ المكالمة هو فى ٩ / ٧ / ١٩٩٠ ، وإن الله قد انعم به علينا من غير جهد جهيد ومن هذا

الشريط سيتوضح لكم أكثر وأكثر لماذا يتآمرون على صدام حسين، وسيكون السبب الأساسي واضحا ذلك لأن صدام حسين رفض الابتزاز الإسرائيلى وهدد العدوان بالرد عليه ولانه يناضل بقيادته لشعب العراق العظيم من أجل أن تعود فلسطين عربية ستسمع كيف أن فهد يحقد حتى على عبد الناصر وهو فى قبره ، لهذا السبب أيضا وكيف يتفق مع دول بترول الخليج على التآمر ويطلب منهم المماطلة مدة شهرين ، ربما ينسقوا أمرهم ويتمكنوا عند ذلك من إيذاء مصر أرض الكنانة وأصبح شرف القادسية لصقا باسم العراق وهكذا وكان هذا ترتيب فى المكان والدور والتأثير يرتبط بما قلنا بجهد الإنسان وتضحياته ينهل من عمق حضارته وخلفيتها العميقة وطبقا لهذا لم يشعر أحد بالغبن بينما كانت الأهداف واحدة والسياسة العامة واحدة وكان هذا ترتيب مع عوامل اخرى يلعب دورًا أيجابيًا فى حياه الأمة واحدة الكلمة فيها والموقف ولكن ما إن تخلص العرب من الحكم العثمانى على أمل أن يتوحدوا أمة واحدة حتى ظهر البترول .

نعم كانت مؤامرة أوربا التقسيمية للوطن العربى والتى لم تكتف فيه بأبعاد الأقطار الرئيسية عن فكرة الوحدة الكبرى ، وإنما جزأت بعض الأقطار ومنها العراق حيث سلخت الكويت عن جنوب العراق ،و حرص الاستعمار الأوروبى أن تكون مكامن النفط بوجه عام ، وحيثما استطاع على أجزاء فى الوطن العربى قليلة السكان ضعيفة القدرة على مقاومة أطماعه ، ضحلة فى خلفياتها الحضارية والثقافية بل وحرص على أن يكون بعضها مسخا بأبتعاده عن الجسم الأساسى وعن روح تراثه .

وهكذا أصبحت الثروة بوجه عام والتى مصدرها البترول فى جانب ، وأصبح ثقل الشعب العربى الأساسى وعمقه الحضارى والثقافى وقدرة التطور فى جانب آخر .

ولأن هذا الاجراء قد لعب فيها المقص والقلم الاستعمارى فى رسم حدودها

وأن القائمين عليهـا هم مـن ترتيـب الأجنبى فقـد أشاعـوا العزلـة بينهم وبين الأقطار العربية الأخرى ، ونموا حتى عند الشعب الموجود فى دويلاتهم الشعور بـأنه لكـى يستطيـع أن يحافظ على مصـدر الثروة عليـه أن يبتعـد عن الأمـة وقضايـاها حـاربوا الـوحدة بين العـرب وحاربـوا النضال المشترك وأصبـح حاميهم ورب نعمتهم ، وكما هو حال العراق بقى شبح ثروة الأمة يطارد حكام الأجزاء الصغيرة وتنامى عندهم شعور من الباطنية رهيب حتى أصبح حكامها يعلنون بخلاف ما يبطنون ولم يعد بأمكان أحد أن يعرف اين هو الطريق الذى يطمئنهم ليتفـاعلوا ، وكيـف يمكن أذا هم بعـد أن تورطـوا بمثل هـذا الشعور وأصبحوا خـدما لـلأجنبى ، وينطبـق هذا بشكـل أساسـى على شيوخ بترول الخليج أو على الأغلبية منهم ، ولكن ال الصبـاح فى مقدمتهم ، ذلك لأن سرقتهم كانـت أكثر فضاضة وانفضـاحا من غيرهـم .. أكثر فأكثر وعنـد ذلك افترض يقينك يـزداد ويثبت على قناعة أن قـارون الكويت ومـن هم على شاكلته كـانوا ومازالوا جراثيم فتاكه تنهش ما هـو عفيف وعزيز فى الأمة وكل ما هو مصدر فى روحها أو فى زكئهـا المادى وعندما نضيـف برهـانا جديـدًا من بين البراهين الكثيرة التى نمتلكها وبما يعـزز القول أن الذى كان يجب أن يكـون وأن يجمع العرب وهم أمـة واحدة يرثها عبـاد الله الصالحون ، فكيف إذا كانـت الأراضى اصلاً عراقية وقـد أصبحت للتأمر لتقطع عن أمها لتميتهـا بعد أن تمتص منها العظم والـدم نفط العرب للعـرب شعار رفعناه منـذ كنا طلاب مـدارس وجاء الوقـت ليطبق فكـرنا فى خـدمة العـرب وقيمهم ليصبـح قدوة كما يفترض أن يكونـوا طليعة مخلصين فى إيمانهم وحصـانتهم وخلقهـم وقوتهم وتقـدمهم ونموذجا يقتدى به على باقى الأمة الإسـلامية والإنسـانية .

سيدى الرئيس ... أنك رئيس شعب كريم هذا الشعب العزيز الذى تحمل ما لا يتحمل بسبـب البترول ، إذ لولا البترول لما ارتفعت اثمان مشترياتـه كما هو حالها ليصبح فى كساؤه وغذاؤه وحاجياته اليـومية ووسائله الثقافية . وأكثر

من ذلك أن القـدرة الشرائية للدول البترولية انعكست بـإثار سلبية خطيرة على حياة شعبنا وامتنا من اقصى المغـرب إلى أقصى المشرق وكان العرب لا يقارن مع الأخرين فى نمط الحياة ولا يتطلع إلى مـا هو عليه الغربيون ـ أما الأن مصر وشبابها يختلطون بشباب الأمارت والسعودية والكويت سابقا وقطر وعندما ينظرون إلى مصاريفهم وإنماط سلوكهم يتطلعون إلى متسوى من المعيشة فوق مستواهـم وقدرتهم الشرائية ، إن الـذين يريدون الاقتـداء به هو مثلهـم وهو طالب فى كليتهم وقد يكون أباؤهم أفضـل من أبية شرفا وعملا وإيمانا وذكاء ، وعندما يتطلعون ألى معيشتهـم فى أطار من المقارنة مع أولئـك العرب يشعرون بالحسرة والظلمة ، ولأن أمكانياتهم لا تهئ لهم ما يقتضـى فقد ينحرفون وهم يفتشون عـن سبل تحقـق لهم ما تحقـق لغيرهم وهـذا واحد مـن الأسباب فى الأعراف الاجتماعيـة بين النساء والـرجال بـل أن مثل هـذه الحسرة والشعور يتراجع الترتيب التاريخى لمكانة أقطار كـانت لها درجة متقدمة لتحل محلها فى المكـان مسميات ليـس لها ما يـؤهلها غير أنها دول بتروليـة قد جعـل الحسرة تتصاعد لتصل إلى مستوى القارة والحكـام فى الدول غير البترولية سببه حالة الحسرة لغير المتحصنين وأنـزلاقهـم إلى ما يقـربهم إلى مستـوى يعتقـدون أن الأقدر على حفـظ قدر ممن الليـاقة فى مكانـة الحاكم إن نساء العـرب فى شارب الخيرين كما يقـول المثل فى ريـف العراق وربما هـو هكذا أيضـا فى ريف مصر وخاصـة فى صعيدها ولذلـك فإن المحافظة على شرف بنـات مصر وتحصينهم تجاه الفساد والأفسـاد هى مسؤوليتك المبـاشرة يا سيادة الرئيـس مثلما هى مسؤوليتى المبـاشرة تجاه الماجدات العراقيات وهـى مسؤولية قوميـة مبدئية تجاه كل نساء العرب بما فى ذلك نساء الأقطار التـى يسلك فيها حكامها سلوكا فاجـرا ، لن نحافـظ على شرف نساء مصر والعـراق ونساء العرب ولـن يشبع الجياع فى مصر وفى الـوطن العربى ولـن يتفتح الباب من غير قلـق أمام جمود التنمية الاجتماعية والاقتصـادية والعلمية والثقافية فى الوطن العربى ما لم يقيد

التوازن الصحيح فى درجة المسؤولية والتأثير وفى الأقتراب قبل ذلك من الله وقيمة فى طريقة التصرف بثروة العرب .

هل صدام هو الذى ربط الغرب بإسرائيل

د عبد الوهاب المسيرى

الشعب ٢٩ / ١ / ١٩٩١

* المؤتمر اليهودى العالمى يجتمع على الأرض الألمانية لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية فى الفترة : ٦ ـ ٨ مايو والمانيا الشرقية تعلن دفع تعويضات لإسرائيل بسبب قيام هتلر بإحراق اليهود [الأهرام ٢٦ / ٤ / ١٩٩٠] .

* ٤٠٠ يهودى تشيكى يرافقون الرئيس التشييكى فى زيارته لإسرائيل ، والتى أعلن فيها أن أول مؤتمر عالمى لليهود المهاجرين من أصل تشيكى سيعقد بإسرائيل قريبا [أهرام ١٧ / ٤ / ١٩٩٠] .

فالدهايم يعتقدر لإسرائيل عن حديث له مع صحيفه ها آرتس الإسرائيلية، ذكر فيه تضليله للسلطات الإسرائيلية بشأن ماضيه كضابط فى الجيش النازى ويناشد إسرائيل أعادة سفيرها لفيينا والذى سحبته بعد إعادة انتخابه ١٩٨٦ [١٣ / ٥ / ١٩٩٠].

* دول شرق أوربا (المجر ـ تشيكوسلوفاكيا ـ بولندا ـ بلغاريا) تعيد علاقاتها الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل [الأهرام ٤ / ٥ / ١٩٩٠] .

*بحث قضية معاداة اليهود فى القمة الأمريكية السوفيتية [الأهرام ١٠ / ٥/ ١٩٩٠].

ويمكن أن نشير إلى ظاهرة هجرة اليهود السوفييت التى تحالفت فيها كل بلاد التشكيل الحضارى الغربى لضح المادة البشرية القتالية فى إسرائيل : ففتح الاتحاد السوفييتى أبوابه لتخرج منها الالوف وجعلت دول شرق أوربا وغربها من نفسها معبرا ، ثم أغلقت الولايات المتحدة أبوابها حتى تضمن دول الغرب تدفق المادة القتالية عن الدولة الصهيونية .

هذا قبل أن تصل صواريخ صدام وكان السلاح الوحيد هو حجر فى يد طفل يحاول أن يؤكد للعالم أن الفلسطينيين لم يموتوا بعد ، ولم يتحدث ساعتها أحد عن الشرعية الدولية والوجبات الأخلاقية والالتزامات المعنوية ـ وكانت الرشاشات والأسلحة الإسرائيلية غربية الصنع ـ تحصد الأطفال والنساء وتهدم المنازل ـ كل هذا قبل إن تصل صواريخ صدام !

بل أنه بعد ما يزيد على أربعين عاما من الدم الغربى المالى والعسكرى المستمر للدولة الصهيونية ـ بعد البلايين التى انفقت والقنابل العنقودية التى وردت وقرارات مجلس الأمن التى تراكمت عبر السنين وثوى عليها التراب ، حاولت أجهزة الأعلام الرسمية الربط بين الدعم الأمريكى المالى السخى للدولة الصهيونية (١٣ بليون دولار فى الأعوام الخمسة القادمة) وصواريخ صدام (مع أنه قيل لنا لا داعى للربط بين شئ وشئ آخر) . ولكن الدراسة المتأنية تبين أنه لا توجد علاقة على الاطلاق بين حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل وحسن سير سلوك العرب أو سوئه .

فى كتاب الدكتور محمد ربيع (سياسة المساعدات الأجنبية) (نيويورك ، بريجر ١٩٨٩) إن المساعدة الأمريكية الحقيقية لإسرائيل تبلغ ٦ ,٢٠ بليون دولار فى ألسنة ثم يذكر الأرقام التالية (بالبليون) :

١ ـ ١,٨ مساعدات عسكرية .

٢ ـ ١,٢ مساعدات اقتصادية مدنية .

٣ ـ ٢ سندات إسرائيل .

٤ ـ ٤ منح فردية وحكومية لمؤسسات فى إسرائيل .

٥ ـ ١,٥ دعم مباشر وغير مباشر من حكومة الولايات المتحدة ومواطنيها.

ويذكر المؤلف عناصر أخرى غير منظورة . وقد سخرت جريدة الجير وساليم بوست (١٩ سبتمبر ١٩٩٠) من طريقته فى حساب المعونات الأمريكية ولكنها اعترفت بالبند ١ ,٢ وهو يساوى ثلاثة بلايين دولار .

واستنكر بنده ، واكتفت بالصمت حيال بندى ٤,٣ . وسخرت من كل البنود الأخرى . فيمكن أذن أن نضع حجم المساعدات الأمريكية العسكرية ، فالأرقام هنا ليست خلافية ، والهدف منها ليس إنسانيا ! فى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ لم يكن هناك منح عسكرية لإسرائيل وإنما قروض قفزت بين ٩ ملايين طيلة الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦١ لتصبح ٣٠٧ ملايين عام ١٩٧٣ .

وحصلت فى العام الذى يليه على قرض مقداره ٩٨٢,٧ عام ١٩٧٥ واعطيت أول منحة عسكرية صغيرة .

(ويمكن للمرء أن يتساءل هل هذا له علاقة بحرب ١٩٧٣، وخوف الولايات المتحدة على الدولة الصهيونية بعد العبور ، وتعاظم القوة العربية؟).

المهم أن المنحنى ظل يصعد وأخذ شكلا جديدا تماما عام ١٩٨٥ حين أصبحت كل المعونة منحا لا قروضا ، تصل دفعة واحدة وليس بالتقسيط . وبلغت بليونًا نصفًا تقريبا زادت إلى ١,٨٠٠ بليون ابتداء من عام ١٩٨٦ وبقيت على هذا المنوال .

ويلاحظ كذلك أن رقم ٣ بليون دولار معونات عسكرية واقتصادية بدأ منذ عام ١٩٨٦ ، وهذا يعنى مجموع المعونات الأمريكية للدولة الصهيونية فى خمسة أعوام هو خمسة عشر بليون دولار وكل هذا قبل وصول صواريخ صدام وقبل أن يقوم بأفعاله الشريرة مثل قذف إسرائيل الأمنة الوديعة بالصواريخ .

المنحنى أذن أخذ فى الصعود منذ عام ١٩٧٣ ، ولذا فمحاولة الأعلام العربى أن يفسر معونة الـ ١٣ ألف بليون دولار فى خمسة أعوام على أساس العدوان العراقى هو أمر عار تماما من الصحة . فالعدوان الأمريكى الغربى على الأمة العربية والإسلامية هو جزء من استراتيجية غربية تقررت منذ منتصف القرن الماضى . والمعونات الممنوحة لإسرائيل أن هى الا تعبر عن هذه الاستراتيجية .

ومن المفهوم أن تحاول المؤسسة الحاكمة فى الولايات المتحدة أن تربط

الهجوم العراقــى والمنح السخية حتى تبرزهــا أمام جماهيرها التى تعــانى من الأزمة الاقتصــادية ، ولكن ليـس من المفهوم أن يـردد الإعلام الحكومــى هذه الحجج الأمريكية بكل هذه التبعية التى تثير الغثيان .

عن الحرب والغزو والتواطؤ

بقلم : فيليب جلاب

١٤ / ٣ / ١٩٩١

تشرفنا للمرة الثانية خلال مأساة الخليج للدكتور فؤاد زكريا فى « الأهرام» الغراء خصصها للهجوم على جريدة « الأهالى » برغم أن الجريدة وكتابها الذين يصفهم بأنهم من صفوة كتاب مصر ومفكريها يؤيدون الغزو العراقى للكويت ويؤيدون نظام الرئس صدام حسين !

ومشاكلنا مع الدكتور كثيرة سواء فيما يكتبه عن نفسه أو فيما يزعم أنه رد على آرائنا .

لكن القــاسم المشترك فى كـل ما يكتـب هو أنـه ينسب إلى نفســه أشياء غير صحيحة يرى أنها عين الصواب ورأس الحكمة . وينسب إلينا أمورا لم نرتكبها أو نمارسها . وهــى عادة « من الأمــور ظاهــرة البطلان التى لا تحتــاج إلى من يفندهــا . لكنه يـرهق نفســه أو ربما يمتعها ويـرهق القــراء عندمــا يحاول أن يصححهــا بــأقتــدار ورســوخ قــل أن تجد لــه نظيرا إلا إذا اختفلــت إلى أحــد «الكتاتيب» .

وردت وراء « الفقيه » أن الفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب .

وقبل أن نبــدأ رحلة الــرد على الشىء ونقيضه فى مقــاله ، يبــدو أن علينا أن نؤكد أن جريدة « الأهالى » رفضت الغزو العــراقى للكويت وطابت بالانسحاب الفورى للقوات العراقيــة . وعندما وصلت القوات الأمريكية طــالبنا بانسحاب «متزامــن » للقوات العراقيــة والأجنبية على أن تتــولى قوات عربيــة الفصل بين الكويــت والعراق إلخ ثــم وقفنا ضــد الحرب على أساس أن الجريمة لا تعــالج

بجريمة أكبر .

ولو أننا كنا من أنصار الغزو العراقى لما خشينا إعلان وجهة نظرنا حتى لو غضب الدكتور . لكننا رأينا أن الحديث عن الديمقراطية والتعددية لن يكون ذا قيمة أو مصداقية إذا لم تمارسه جريدة « الأهالى » خاصة فى قضية أثارت الأنقسام فى الوطن العربى كله وداخل كل قطر وربما داخل كل بيت . والدليل على ذلك هو أننا فتحنا صفحات « الأهالى » لكل وجهات النظر ابتداء بمن يتبنى وجهة نظر الجناح الأكثر تطرفا فى حكومة الشيخ جابر . وعلى رأسهم الدكتور فؤاد زكريا الذى نشرنا مقالة دون حذف كلمة واحدة فى أبرز مكان فى الجريدة وهو الصفحة الأخيرة . وانتهاء بمن تعاطفوا على استحياء مع الموقف العراقى .

أما الرأى الرسمى للجريدة وللغالبية للعظمى من كتابها فكان يرى أن الحرب ستدمر العراق والكويت وتترك آثارا سلبية خطيرة على الأمة العربية كلها ، وأنه من الممكن بإحكام الحصار لفترة أطول . أن يضطر الرئيس العراقى إلى الانسحاب .

وقد كشف الرئيس حسنى مبارك الذى لم يشكك أحد فى موقفه الحاسم ضد الغزو العراقى فى خطاب أمام مجلسى الشعب والشورى أنه كان يطالب بتأجيل الحرب ثلاثة شهور أخرى .

ومثل هذه المواقف ، التى تضع فى الاعتبار مصالح الأمة كلها بما فيها مصالح الشعبين العراقى والكويتى تختلف عن مواقف أخرى قد تكون وراءها أسباب موضوعية أو نفسية أو شخصية . لكننا لم نتهم أحدا بسوء السلوك أو فساد المنهج أو الخلل الفكرى والعقلى . ورأينا أن المشكلة أخطر من أن تفسر بمثل هذا المنهج أو بادعاء احتكار الحكمة والوعى . دون الأخرين .

لكن مشكلة الدكتور فؤاد زكريا أنه قرر منذ مارس هواية الكتابة فى السياسية والشئون العامة أن كل الناس مخطئون فى هذا الجانب أو ذاك . وقرر أن القدر وضعه فوق قمة جبل من الحكمة والوعظ والأرشاد ليصحح ما يقع

فيه العباد من أخطاء سواء فى الفكر أو فى الممارسة العملية . وحتى عندما يفعل مثل الآخرين كما فعل عندما تولى رئاسة تحرير مجلة فكرية ثقافية فى عهد الرئيس عبد الناصر ، استطاع بقدرة قادر أن يصعد إلى قمة الجبل بعد وفاة عبد الناصر . ويحدد فى سلسلة مقالات فى عهد الرئيس السادات كيف أخطأ السادات كيف أخطأ الجميع وزاغوا وفسدوا ونافقوا عبد الناصر وتواطأوا مع نظامه إلا الدكتور فؤاد زكريا . وذلك رغم أن المجلة التى كان يشرف على تحريرها كانت نموذجا لا يحتذى فى « أدب » المديح والأشادة بالنظام والترحم على البطل التاريخى الذى فقدته الأمة قبل الآوان .

لم يتغير شئ فى الدكتور فؤاد زكريا . وربما كانت فضيلته البارزة هى أنه يواصل دور العلم أو المرشد للشعب وللكتاب .

ربما كان الجديد فى سلوكه هو أنه لم يعد متمسكا بأدب الحوار عندما يتحدث عمن يسميهم صفوة كتاب ومفكرى مصر أو عندما يتحدث عن شعوب الأمة العربية . ففى مقالة الأخير يقول : « هذا لا يعدو أن يكون قصورا فى التفكير أن لم أقل نفاقا .. !! أما بالنسبة للجماهير فى بلادنا فهى «فى حاجة إلى توجيه وتوعيه .. » أما بالنسبة للناس عموما فيقول : « إن الناس لم يعتادوا إمعان التفكير فيما يقولون ، وإلا لما ظل أحد منهم يرد هذه الحجة المتهافتة .. »

والوحيد الذى لا يقع فيما يقع فيه الناس ويمعن التفكير ولا يردد الحجة المتهافتة هو الدكتور فؤاد زكريا ، إما لأنه ليس من الناس أو لأنه من بين صنف خاص غير مألوف من .. الناس !

وبهذا المنهج العلمى والتواضع والأمانة يخصص الدكتور فؤاد زكريا مقاله لمناقشة عدد ٢٠ فبراير من « الأهالى » لكى يرينا نموذجا حيا للفئة المثقفة التى اختارت مساندة الموقف العراقى .

ولك أن تتخيل أستاذا بالجامعة يدرس لطلابه الفلسفة والمنطق ومناهج البحث فى جامعة عين شمس أولا ثم فى الأعوام الخمسة عشر الأخيرة فى جامعة

الكويت يقدم مـا يسميه « تحليل المضمون » لعدد محدد من جـريدة «الأهالى » دون أن ينقل فقرة واحدة من الجريدة لكى يـؤكد بها وجهة نظرة . وذلك رغم أن تحليل المضمون لا يعنى الاقتصار على فقرة واحدة أو مقال واحد بل يعتمد على مجمـل ما تنشره الجريـدة فى أكثر مـن عدد إذا كـانت القضيـة المطروحـة استغرقت من الوقت سبعة شـهور أو أكثر مثل قضية الخليج.

وإلا فوفقا لهذا التحليل العبقرى يستطيـع أى تلميذ مبتدىء أن يثبت أن كل الصحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية مؤيدة للغزو العراقى ومتواطئة مع صدام حسين . فنصف مقالات هذه الصحف كانـت تطالب مثلنا بتجنب كارثة الحرب والاكتفـاء بالحصـار ونصفهـا الأخـر يشجع على الحرب ويتعجلهـا . وبنفس المنهج يستطيع أن يثبت أن الرأى العـام الأمريكى والأوربى كله وقف ضد الحرب لأن بضعة ملايين ساروا فى مظاهرات تهاجهم دعاة الحرب !

لكن الأستـاذ الاكاديمـى والمصحح العـام لأخطاء البشر تجاوز ذلـك كله . وقرر دون دليل واحد أن « الأهالى » كانت تشيد بالصمود العراقى . فهو يخلط بين مـا ننشره نقلا عـن وكالات الأنبـاء والأمريكيـة والبريطانيـة والفرنسيـة والصحف الغربية عامة وبين تعليقاتنا وآرائنا .

ثـم يتجاوز الخط الفـاصـل بين الصـدق والكذب ويقـول : « ربما ذهبـت (الصحيفة) فى بعـض الأوقات إلى حـد لاحظ أن خط جـريدة « الأهـالى » كان يرجح أن القتال سيقع فى الخليج وأن الانتصار لن يكون فى جانب العراق .

هل هناك شـىء اسمه « ربما » فى تحليـل المضمون أيها الأستاذ ؟ ألم تقرأ ما قلناه أكثر من مرة إن صدام حسين طاغية ولا أحد يراهن على بلد محاصر وعلى ما سيصيب الأمة كلها بسبب كارثة الحرب ؟

لكـن يبدو أن مثـل هـذه الآراء التى نشرنـاها لا تـدخـل تحت باب تحليـل المضمون وإلا ما جدوى كتابة المقال من البـداية ؟ وما هو الدرس الجديد الذى سيعلمه لنا الدكتور ومعنا بقية شعوب ومثقفى الأمة العربي التعسة؟

ثم يتحدث عن أن البعض فى الأهالى يتحدثون عن تجاوز القوات المتحالفة لهدفها الأصلى وهو تحرير الكويت إلى هدف أخر هو تدمير العراق. ولعله يعنينا بذلك . وقبل أن يسخف هذا الرأى يسجل أن الألم يعتصرها كلما رأى مدنيا عراقيا يتألم « منتهى الرقة القومية !» لكن الذين قالوا بذلك هم قصار النظر (من جريدة الأهالى !) . ألم يعرف أن الذين قالوا ذلك هم بعض الذين وافقوا قرار الحرب ضد العراق وهم الاتحاد السوفييتى والصين وإيطاليا وإلى حد ما فرنسا إلى جانب الهند ودول أخرى عديدة؟ هل هم متواطئون أيضا مع صدام حسين ؟ كنا نقول أيها السيد إن عقاب صدام حسين لن يكون بعقاب الشعب والجيش العراقيين والشعب الكويتى وتدمير ما يساوى مئات المليارات من ثرواتهم و كنا نخشى أن يعاقب الشعب ويقتل من بينه مئات الألوف .. ثم يبقى صدام حسين .

وهو ما حدث حتى كتابة هذه السطور .

وحتى لو كان عقاب صدام حسين شخصيا يستلزم عقاب مئات الألوف من العراقيين وتدمير العراق نفسه هذا عقاب عادل ؟

المرة الوحيدة التى انتزع فيها الدكتور فؤاد زكريا بضع كلمات جاءت فى «الأهالى » هى التى رد فيها على رسالة بعثت بها الدكتورة نوال السعداوى من لندن عندما كانت عضوا فى وفد نسائى عالمى يحاول الدعوة إلى تجنب حرب مدمرة فى الخليج . ومن بين الوفد سيدات أمريكيات على رأسهن السيدة مارجريت باباندريو . ذكرت الدكتورة أن سيدة إسرائيلية متحمسة للحرب ولتحرير الكويت حاولت التشويش على وفد السيدات فردت نوال السعداوى بسؤال يقول : ولماذا لا تنسحب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية ؟

ثار الدكتور بسبب عجز الإسرائيلية عن الرد . وقال إنه يضع نفسه موضع السيدة الإسرائيلية ويرد ردا يفحم الدكتورة نوال السعداوى : ثم رد يثير التساؤل حول قدرة الدكتور على تفنيد « الحجة العربية المتهافتة » التى ترى أنه

ليس مـن حق إسرائيل أن تـدعى الدفـاع عن حـرية أى شعب بينما هـى تحتل أراضى ثلاث دول عربية .

ولأننى لسـت إسرائيليا وصهيـونيا فـلا أجد لـدى القدرة على التعبير عـن الأعجاب بحصاف وموضوعية وحياد الدكتور فؤاد زكريا .

أما حكـاية الكيل بمكيالين مـن جانب الهيئـات الدولية أو الولايـات المتحدة الأمريكية فهو يرى أن استخدامها مـن جانب المثقفين فى الأهالى » أو غيرها هى كارثة ، لأن ذلك يعنى أن العراق تصرف مثل إسرائيل .

وهو منطقث غير متسق مـن جانب مؤيدى العراق ! هـو يفترض أن كل من يطالب بـالعدل إزاء الشعب الفلسطينى لابـد أن يكون مؤيدا للعـراق . وكل من يتم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تفرق فى المعاملة بين معتد وآخر إنما يسئ إلى العراق .

نحن أيها السيد الدكتور لا نخشى مـن أن نسئ إلى العراق إذا أثرنا ضرورة معاملة العدوان الإسرائيلى مثل العدوان العـراقى . ونحن لم نخترع هذه الحجة للأسف فقد ذكرها كتاب ومعلقون وسيـاسيون غربيون كبار من بينهم بعض كبار المسئـولين فى الغرب . وقد كـانت الحجة مـن القوة بحيث أكـد كل زعماء الغرب أن العدل سيأخذ مجراه لكن ليس قبل إخراج صدام حسين من الكويت . أما مـوقفك فهـو مدهـش لأن رأيك فى المقـال المذكور هـو أن الهيئات الـدولية والغرب لا تكيل بمكيالين لأن الجريمة العراقية تختلف عن الجريمة الإسرائيلية فالأولى جريمة قتل تستحق الأعدام كما تقول والثانية الإسرائيلية جريمة نشل (كيس نقود) تستحق ستة شهور فقط .

من الـذى سيشكرك على هـذا الدفـاع المجيد هـذه المرة . ونرجـو أن يكون النشـال قد قرأ ترجمة عبرية للمقال !

أما آخر ما اتحفنا به الدكتور الذى يـرسل مقالاته « للأهالى » أحيانا منتقدا الصحف القومية وترسل مقالاته أحيانا إلى صحيفة قومية مشهرا بالأهالى فهو

أنه نشر فى « الأهـالى » مقالا منذ شهـور يدافع فيـه عن أن اليسـار كفكـر ومبدأ سيظل حيا . وهو يقول أنه مازال مؤمنا بذلك لكنه بالقطع لم يكن يقصد « هذا » اليسار فى صحيفته دفاعا عنه !

نحن أيضـا كنا نعرف ذلـك ونسعد به ويشرفنـا كثيرا . وقد نشرنا مقـالك احتراما لحرية الـرأى ، فمن حقك تماما أن تـؤكد فى جريدة اليسـار المصرية أن اليسار الذى سيظل حيا هو « اليسار » الخليجى عامة والكويتى خاصة ، وكل « ميسر » لما خلق له !

خطاب فى الكفر والظلم

الأستاذ فهمى هويدى

الأهرام ٢٣ / ١١ / ١٩٩١

خلقت لنا أزمة الخليـج « الغاما » فكرية تحتاج إلى « تحالـف » من نوع آخر لابطـال مغعولـهما على وجـه السرعة . ولسـت أعـرف من بـوسعه حصر تلـك الألغام المبثوثة على مختلـف الجبهات ، حتى يمكن تخليص الوعـى العربى من تشوهـات جسيمة تهدده ، (حسبنا نـزف الجسم وتمزق الأوصال !) ــ لكن المرء لا يستطيع أن يغض الطرف عن لغمين كبيرين ظهرا فى الساحة الإسلامية ، احدهما فجر قضية « الكفر » والثانى هون من روع « الظلم » .

فمنذ ظهـرت القوات الأجنبيـة فى المنطقة ، عقـب احتلال العـراق للكويـت ، والحديث متواتر فى الساحة الإسلامية عن ضرورة مواجهة « الكفار » وحرمة الاستعانـة بهم . وهو حديـث صداه الواسـع بين عامة المسلمين ، الأمـر الذى وظفته الأبواق العراقية إلى أبعد مدى .

ولا يستطيـع المرء أن يحصى الكتـابات التـى تنـاولت الموضـوع من تلـك الزاوية لكثرتها ، لكننـا قد لا نبالغ إذا قلنا أن الأغلبية الساحقـة من المطبوعات والأدبيات الإسلامية التى صدرت طيلـة أشهر الأزمة ، ظلت تلح على استخدام المصطلح سواء فى معرض النقد لما جرى أو الدفاع عما جرى . الأمر الذى رسخ

الكلمة فى لغة الخطاب العام ، وأثار لغطًا شديدا فى محافل عدة ، مثلما حدث مؤخرا فى كليتى العلوم والحقوق بجامعة القاهرة .

إزاء ذلك ، فقد صار لزاما أن يتم تحرير المسألة وتأصيلها ، حتى تضبط لغة الخطاب ولا تختلط فيه المفاهيم . وحتى لا ينقلب الحوار من إداة تفهم وتواصل إلى باب للشاق والتقاطع . فنحن عندما نخسر وحدة امتنا ، نخسر أنفسنا .

ثمة نقطة مهمة يتعين أثباتها قبل أى كلام فى الموضوع ، هى أن أتباع كل عقيدة دينية يعتبرون أنفسهم ملتزمين بالايمان الصحيح ، بينما غيرهم خارج عن دائرة الإيمان . ذلك حاصل عند المسلمين والمسيحيين واليهود ، بل حاصل أحيانا فى داخل العقيدة الواحدة بين المذاهب الدينية المختلفة فهم كفار حينا وهراطقة فى حين آخر ، إذا كان اختلافهم فى أصول الاعتقاد .

ليس كلهم كفارا

وللانبا شنودة ، بطريرك الأقباط الحالى ، مقالة حول « اتحاد الكنائس » كتبها عندما كان أسقفا للتعليم فى الكنيسة المصرية ، ونشرتها مجلة « مدارس الأحد » - (أبريل ١٩٥١) .

فى مقالته تلك ، ذكر الأنبا شنودة ، أننا لا نؤمن بتعدد الكنائس ، وفى قانون الإيمان أن « ثمة كنيسة واحدة ، جامعة رسولية ، لا إيمان واعتقاد واحد .. والذين لا يؤمنون بإيمانها الواحد ليسوا منها ، وإنما هم خارجون عليها ، واصطلح على تسميتهم بأنهم هراطقة » - وذكر أنه لا يليق بممثل الكنيسة المرقسية (فى مصر) أن يشترك فى اجتماع دينى تحت رئاسة أحد الخارجين عن الإيمان الصحيح .

هكذا ، ففى الخطاب العقيدى يصنف الأخر ، المغاير فى أصول الأعتقاد ، باعتباره واقفا فى مربع الكفر أو الهرطقة . ونحن هنا نقرر الحاصل . بصرف النظر عن المخطئ أو المصيب ، إذ نحن هنا فى مجال الرصد وليس التقييم.

وفى القرآن الكريم نص صريح فى هذا غير أن ثمة أمرا بالغ الأهمية هنا هو أن الإسلام اعترف بالأنبياء الذين سبقوا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، واعتبر أن التصديق بهم جزء من سلامة إيمان المسلم ، لكن القرآن ارتأى أن الاتباع حرفوا الرسالات التى حملها أولئك الأنبياء . غير أن ذلك ظل اعترافا وتصديقا من جانب واحد ، أى من جانب المسلمين وحدهم . وعندما أصدر المجمع المقدس بالفاتيكان تصريحه بشأن الدين الإسلامى ، للمرة الأولى فى سنة ٦٥ ، فإن البيان الصادر فى ذلك الصدد أعرب عن تقديره للمسلمين ولدينهم ، ودعا إلى نسيان الماضى وإلى التعايش والمحبة بين المسيحيين والمسلمين ، لكنه لم يشر إلى النبى محمد ، ولا اعتبر الإسلام رسالة سماوية . وبالتالى فقد أعتبر التصريح خطوة متقدمة على صعيد التفاهم بين أتباع الدينين حقا ، لكنه كان بيانا عمليا وليس إعلانا دينيا .

فى الوقت ذاته فإن بين أهل العالم المسلمين من سعى إلى ضبط التعامل مع مصطلح الكفر المنسوب إلى الآخرين . وكتب الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الأسبق ، كلاما نفيسا فى هذا الصدد ، تحت عنوان « الحد الفاصل بين الإسلام والكفر » ـ قال فيه ، أن من لم يؤمن بعقائد الإسلام وأصوله ، لا يعد كافرا إلا إذا انكر تلك العقائد « بعد أن بلغته على وجهه الصحيح ، واقتنع بها فيما بينها بين نفسه ، ولكن أبى أن يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ... فإن لم تبلغه تلك العقائد أو بلغته بصورة منفرة ، أو صورة صحيحة ، ولم يكن من أهل النظر ، أو كل من أهل النظر ولم يوفق إليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى إدركه الموت أثناء نظره فإنه لا يكن كافرا يستحق الخلود فى النار عند الله » .

بناء على ذلك . قرر الشيخ شلتوت أنه من هنا كانت الشعوب النائية التى لم تصل إليها عقيدة الإسلام ، أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة ، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم فى بحثها ـ بمناجاة من العقاب الأخروى للكافرين . ولا

يطلق عليهم اسم الكفر - (الإسلام عقيدة وشريعة - ١٩ و ٢٠) .

إن الشيخ شلتوت فى فتواه تلك ، يخرج الأخـرين من دائرة الكفر عند الله فى ظـروف معينة ، ولا يعتبر مجرد انكـارهـم للإسـلام أو مغـايراتهم لـه مبررا لاطلاق تلك الصفة عليهم .

فى خط مواز لـذلك ، فإن الدكتور يـوسف القرضاوى أثار نقـاطا أخرى فى صدد تحديد الموقـف العقيدى من غير المسلمين . فنبه الجميـع إلى أن « اختلاف الناس فى الدين واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى . الذى منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعـل ويدع (فمن شاء فليؤمن ، ومـن شاء فليكفر) - (الكهف ٢٩) ـــ ثم أن الله له حكمتـه فى ذلك الاختـلاف (ولو شاء ربـك لجعل الناس أم واحدة ، ولا يزالون مختلفين) - (هود ١١٨) - (ولو شاء ربك لأمن مـن فى الأرض كلهم جميعـا ، أفانـت تكره النـاس حتى يكـونوا مـؤمنين) ؟ - (يونس ٩٩) .

تخليط لا يجوز

بناء على ذلـك قرر الشيـخ القرضـاوى أن المسلـم « ليس مكلفـا أن يحاسب الكافرين على كفـرهم .. فهذا ليس له ، وليس موعده هـذه الدنيا . أنما حسابهم إلى الله يوم الحساب (وأن جـادلوك فقل الله أعلم بما تعلمـون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيـه تختلفون) - (الحج ٦٨ و ٦٩) - [غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ص ٥١ و ٥٢] .

إننا نـذهب إلى استخدام وصف الكفـر على الأخرين فى الخطاب السيـاسـى الإسلامى هو خطأ جسيم من الناحيتين العلمية والسياسية . نستند فى ذلك إلى قائمة من الحجج والحيثيات هى :

١ - إن ذلك من قبيل التخليط الذى لا يجوز بمقتضاه أن يوضح المصطلح فى غير مكانه الصحيح . إذ الكفر حكم عقيدى . وليـس تشريعيا . وبالتالى فهو من مفـردات الخطاب الإيمانـى ، ولا مكان لـه فى الخطـاب السياسـى . مثل ذلـك

التخليط وقع فيه الذين استخدموا مصطلح « حزب الله » ـ المعنى به جماعة المؤمنين فى القرآن الكريم ـ فى الأداء السياسى الراهن ، فصرنا جميعا أعضاء فى حزب الشيطان !

٢ ـ إن الله سبحانه وتعالى الذى وصف المخالفين لعقيدة التوحيد بالكفر فى القرآن ، و هو الذى اعتبرهم أهل كتاب فى مواضع عدة من القرآن ، ودعا إلى البر بهم . ولو شاء لاطلق عليهم صفة الكفر فى كل موضع . الأمر الذى له دلالته فى التفرقة بين حكم فى مواجهة الله ، وأطار لعلاقة الناس بالناس .

٣ ـ إن حقوق الإنسان فى الإسلام لا علاقة لها بمسألة الاعتقاد ، وإنما هى مرتبطة بمبدأ الانتماء الإنسانى . حيث الكرامة فى الإسلام لكل « بنى ادم » . وعلى ذلك فالحق والواجب وسائر أمور المعاملات لا علاقة لها بإسلام المرء أو كفره .

٤ ـ إن المساواة القانونية بين البشر تمثل أحد العناصر الأساسية فى المبادئ الدستورية والإسلامية . باتفاق الباحثين فرب الجميع واحد ، وأبوهم واحد . والكل لادم وادم من تراب ، كما تقول الأحاديث التى تؤكد عل وحدة الأصل الإنسانى ، وتعتبر ذلك الأصل سابقا على الحالة العقيدية . والتفاضل بين الناس على أساس التقوى ، الذى أشير إليه فى الخطاب القرآنى والنبوى ، هو شأن يتحقق أمام الله فى الأخرة لا بين الناس فى الدنيا ، أن أقحام مصطلح الكفر فى الخطاب السياسى الذى شاع أبان أزمة الخليج ، هو من قبيل استخدام الأسلحة غير المشروعة فى المعارك ، باعتبار أن الأفكار السامة لا تختلف كثيرا فى الأثر عن الغازات السامة . فهذه تشوه العقل وتلك تشوه الجسم .

ابن تيمية « التقدمى » .

استخدام ورقة الكفر فى الخطاب السياسى أثناء الأزمة لم يستهدف فقط استثاره المشاعر الإسلامية ضد قوات التخالف الغربى ـ ونحن بالمناسبة نعارض وجود هذه القوات لأسباب سياسية وليست عقيدية ـ وإنما أريد به

أيضا أقـامة نوع مـن المفاضلـة بين طرفى المواجهة . إذ لم يختلـف أحد على أن النظام العراقى موصوم بالظلم ، لكـن إذا ما قورن الظلم بالكفر ـ فى منطقهم ـ فشر الظلم أهون !

على الأقل فهذا ما أوردته صحيفة « الشعب (عدد ٢٦ فبراير) تحت عنوان «زعماء الحركات الإسلامية يطالبون إيران بدعم العراق » . وهو تقرير عرضت فيه الصحيفـة لمذكرة قدمهـا بعض الرموز الإســلامية للهدف الـذى أوضحه العنوان . وفى ثنـايا المذكرة انتقـاد للتصريحات الإيرانية التـى وصفت الحرب بأنها « بين ظلمة وظلمــة » وقد لفتت نظرى فيـه العبارةالتالية : « هـل يستوى العراقيـون والفرنجة الصليبيـون ؟ ـ وأن كان العراقيـون ظلمة فهم بـلا شك ليسوا كفرة » !

لم تقل المذكرة ، وكل الكتابات التى تناولت الموضوع من تلك الزاوية ، أنهم أعداء لـلأمة العـربية أو إن لهم أطماعـا فى أرضـها وثـروتها ، ولكنها صـاغت القضية على ذلك النحو المستغرب : كفر فى مواجهة ظلم !

كان ذلـك تعبيرا عن خلل منهجـى آخر ، استـدعى بمقتضاه حكـم عقيدى أخرون ، ووضـع فى مقـابل قضية سياسية دنيـوية ولكل من الأمـرين معياره وضـابطه فى خطاب الشرع .

حتى إذا اعتبرنـا وصف الكفر مـن قبيل المجـاز أو التبسيط فى هذه حـالة ، فالأمر محسوم فى التفكير الإسـلامى السوى وللأمام ابن تيمية رأى منير فى هذا الصـدد يقول فيـه : « وأمـور الناس تستقيـم فى الـدنيا مـع العـدل الذى فيـه الاشتراك فى أنواع الاثم ، أكثر مما تستقيـم مع الظلم فى الحقوق وأن لم تشترك فى أثم » .

واستشـهد ابن تيمية بـالقول المأثور : أن الله يقيم الدولة العـادلة وان كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ، وبمقـولة الأمام على بن أبى طالب ، الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسـلام .

ثم إنتهى إلى أن «ا لعدل نظام كل شئ . فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت ، وأن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق . ومتى لم تقم بعدل لم تقم ، وأن كان لصحابها من الإيمان ما يجزى به فى الآخرة (الحسبة ـ ٨١) .

أن التهوين من شأن الظلم لحساب اذكاء الشعور فى معركة أخرى ضد الكفر هو خطأ آخر ، لا يقبله منطق الإسلام بأي معيار . بله باب مؤد إلى تقويض أساس الشريعة التى صرح الخطاب القرآنى فى مواضع عدة بأن «العدل» هو ركيزتها ورحاها .

أن النخب إذا وقعت فى التخليط أو التغليط فلابد أن نعذر الشباب ونفسح صدورنا لاحتمال اندفاعاتهم وتجاوزاتهم .

وفى الفم ماء كثير ! .

على الغرب إن يحذر الفخ الذى ينصبه رشدى :
أطراف الجدل حول « الآيات الشيطانية » تتجاهل أصول الحوار الفكرى الأسلامى

حسن وجيه
جريدة الهويا ـ جامعة جورجتاون
واشنطن د.س، ٢٨ / ٢ / ١٩٩٢

لقد أثار كتاب الآيات الشيطانية لكاتبه سلمان رشدى ضجة إعلامية كبرى على مستوى وسائل الأعلام فى مختلف أنحاء العالم وخاصة فى الولايات المتحدة .. والأسباب الرئيسية التى أدت إلى هذه الضجة الأعلامية وكذلك إلى رقم ضخم من المبيعات هى اندلاع المظاهرات فى كل من الهند والباكستان للتنديد بدعوة دور النشر بالولايات المتحدة للكاتب للقيام برحلة للترويج لكتابه وكذلك مطالبة الخمينى بقتل الكاتب والاعلان عن جائزة مالية تبلغ مليوني دولار من ينفذ الحكم الذى أصدره .

إن هذا الكتاب وكاتبه لا يستحقان سوى التجاهل ـ من وجهة نظرنا ـ فهناك العديد من الذين يدعون العلم والمعرفة ويجادلون فى أمور على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة دون علم ولا هدى وتنتشر أعمالهم فى أنحاء العالم « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الحج ٢٢).

إن ما يعنينا الآن هو إثارة هذا الكتاب لردود أفعال مختلفة حولة . والقضية الأساسية التى يثيرها الغربيون الآن تتمركز حول موضوع أساسى وهو «حرية التعبير والحوار وتعددية الرأى فى مواجهة ما اسموه وجهة النظر العقائدية التى ترتبط بحقيقة مطلقة واحدة » . وبأسلوب لا يشير بطبيعة الحال إلى حيوية ومبادئ الحوار الفكرى الإسلامى . ولقد احتلت هذه القضية

الصدارة من ضمن مجموعة الآراء المتشابكة التى شكلت أنماط توجهات الرأى العام الأمريكى وهي كالآتى :

١ ـ مجموعة الآراء التى وصفت شعور الغضب والاحباط الذى انتاب المسلمين بخصوص الكاتب والكتاب والترويج له فى الغرب .

٢ ـ مجموعة الآراء التى جاءت كرد فعل لمجموعة الآراء الأولى والتى عبرت عن الحيرة والتعجب لدى الغرب فيما يتعلق بما يضفونه على كونه «حساسية مُفرطة من قبل المسلمين تجاه عمل أدبى ليس أكثر ولا أقل » .

٣ ـ مجموعة الآراء التى جاءت كرد فعل لمجموعة الآراء الثانية والتى أدانت توقيع العقاب على كاتب قد عبر عن رأيه فى عمل فنى . وتستند هذه الآراء على أن حرية الرأى والتعبير عنه بأى شكل من الأشكال بُعد على قائمة نظام القيم الغربي . ولقد لعب سلمان رشدى على هذا الوتر عندما ذكر فى برنامج : ABC (Nightline) بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ « إننا يجب أن نتحدى هؤلاء الناس فيما يذهبون إليه من فكر ... فهم جماعة تؤمن بحقيقية واحدة وتريد من الجميع الانصياع إليها فى وقت ثبت فيه عدم التأكد من الكثير من الأمور علميًا » .

٤ ـ مجموعة الآراء التى تعكس وجهة النظر القائلة بأن الغضب من قبل المسلمين فيما يتعلق بمحتوى كتاب « النصوص الشيطانية » نشرها فى الغرب ما هو إلا تعبير عن التوتر المزمن بين العالم الإسلامى والغرب والذى يرجع تاريخيًا إلى زمن العصور الوسطى .

٥ ـ مجموعة الآراء القائلة بأن رواية « النصوص الشيطانية » ما هى إلا عمل أدبى ولا يمكن اعتبارها إساءة للإسلام أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، وسيرة حياته وتتضمن مجموعة الآراء هذه إدعاءات تقول بأن عدم معرفة المسلمين بأدب القصص الخيالي يسبب لهم عدم الوضوح فى معرفة أهداف ومضمون هذا النوع من الأدب .

وأسـوأ من ذلـك هـو أن رشدى ومـؤيـديه قـد تمكنـوا من إدراج روايـة «النصـوص الشيطانيـة » خلسـة فى إطـار نمط الحوار الـدائر والشـائك بين الإسلاميين والعلمانيين والـذى يتعلق أسـاسًا من عـزل العلمانيين للديـن عن الحياة العامة والسياسية وقصره على الحياة الخاصـة للأفراد فى مقابل وجهة النظر الإسلاميـة بأن الاسلام هو خاتـم الرسالات السماوية للانسـانية وأنه يشتمل على نظـام شامـل ومفصل من قبـل الله سبحانه وتعـالى وبه مـا يكفى لوصف أفضـل صور التعامل ومنطلقاتـه تمثل الطريق السليـم لحل المشاكل وبالتلى يجب تنفيذه لخير البشر وخلاصـهم .

كذلك استطاع رشدى ومؤيديه من مجموعة الأحاديث والمقالات فى وسائل الاعلام أن يقوموا بتغذية ذلك النمط المقلوب المألوف فى الغرب والذى يسـىء إلى حقيقة الإسـلام ويصف المسلمين بـأنهم مجموعـة من الإرهـابيين والمعاديين للمسيـح (عليه السـلام) وبـأنهم مجموعـة مـن المنفعلين والمنغلقين فكريًـا ومعارضـين للغـرب الذي يتسم بالتسـامح الذى تحكمـه قواعد الديمقـراطية والحرية والتعقل .

وقد حاول سلمان رشدى بطريقة « شيطانية » أن يستغل ديناميكيات نمط الحوار الـدائر بين الإسلاميين و العلمانيين مـن ناحيـة ونمط الحوار المعـادى للإسلام فى الغرب من ناحية أخرى لاجتذاب أكبر قدر من المؤيدين لما ذهب إليه من المعسكرين على السواء . ولكن رشدى قد نسى من محاولته لوضع كتابه فى إطار قضية « حـرية الحوار والفكر » أن كل الباحثين ذوى الأمانـة العلمية من المسلمين وغير المسلمين يـدركـون الفـرق الكبير بين الحوار الفكـري والنقـد الموضوعى وبين الاهانات والسب العلنى وتزوير الحقيقة.

كذلك فإن محاولـة لتصوير الأشكال الحالى على كونه مثـل حى لذلك التقيد التقليدى الذي يزعم أن الإسلام يحجر على حرية الرأى والحوار لن

يتقبلهـا كل مـن يعرف حقيقـة الإسـلام من المنصفين الـذين يعلمـون أن الإسلام دين ودعوة للتعقـل وبالتالى فإن حرية الـرأي والنقد الموضوعي الملتزم مـن أهم ما يميـز الإسلام وليس أشهـد على ذلك أكثر مـن الحقيقة التـاريخية لما كـان يجرى فى المراكز الحضـاريـة الإسلاميـة فى القاهـرة ودمشق وبغـداد والأندلس فى ذروة عهـد الأمة الإسـلامية التى شـاهدت العديد من المنازلات الفكريـة بين المسلمين والمسيحيين واليهود من ناحية أخرى ودون المساس بمبدأ حريـة الرأي والتعبير والاختلاف وفى ظل من التسامح الكبير ، الذى يقره المؤرخون من المسلمين وغير المسلمين .

لقد اتخذ رشدى مـن العمل الأدبى قناع ووسيلة لتزويـر وسب الإسلام . ويكفينا هنا بعض الأمثلة البسيطة فلقد وصف رشدى النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكلمة « ما هو ن» وهي تعنى كلمة شيطان .. كذلك وصف إبراهيم ، عليه السلام ، بأنه « القيط » . وفى هذا ما يمثل إهانة للمسيحيين واليهود بقدر ما يمثـل إهانة للمسلمين . وبالـرغم من أن هـذه الاهانات وذلك السـب يتم فى سياق شخصيـات يتم تصـويرها مـن خلال حلم إلا أن هـذا الحلم مـا هو إلا وسيلة الكـاتب لتـزييف الحقائق التـاريخية التى تـم تسجيلها بعـد تمحيص وبحث من قبل المؤرخين والعلماء المسلمين وغير المسلمين على السواء .

والآن فإذا مـا قال سلمان رشـدى إن ما عقـد العزم عليـه هو أن يتحـدى المسلمين فكريًا وإن عمله هـذا ليس سوى البداية ، فهنا نسـأل وأي بداية هذه! وأي صلة لها بمفهوم المنازلة الفكرية بمعناها الحقيقي ؟!

إن أى عمل يكون أساسه الأمانة والأسلوب العلمى السليم لابد وأن يحُترم من كل ذى عقل سـوى ، ولكن إذا كان العمل مبنيا على التزويـر والسب فيجب المطالبة بـاقصائه من نطاق البحـث العلمى الملتزم المبنى على الأصـول العلمية المتعارف عليها وإدانة من يقوم به .

إن رواية رشــدى « الشائنة » تثير فى الــواقع أمر المسئوليــة القانونيــة من المنظورين الإسلامي والغربي .

فالقانون الإسلامى يمنع بوضــوح تصوير الأنبياء من إبراهيم إلى محمد ـ عليهم السـلام ـ كشخصيات فى الأعمال الأدبيــة أو السّينمائية . والفكـرة هى تجنب أن يحدث مخالفات تتعلق بسيرة هؤلاء الرسل ورسالاتهم لما فى ذلك من قدسية خاصة . إن هذا المنطلق الإسلامى القانونى يوضح أيضًا سبب إعتراض الكثير من المسلمين على فيلم « الأغراء الأخير للمسيح » الذى عُرض فى الولايات المتحدة وأوربا فى صيـف ١٩٨٨ وقوبل بالمظاهرات مـن قبل المسلمين فى لندن فى ذلك الوقت . أما فيما يتعلق بوجهة النظر القانونية الغربية فإن رواية رشدى وكذلك تصريحاته فى المقابلات التى أجريت معه للدفاع عن روايته تحتوى أدلة قاطعة على أنه قد قام بالسب والتشهير .

ضد المسلمين Legal libel & slander

إنه بالاضافة إلى الاجراءات القانونية التى يجب أن تُتخذ فاننا ندعو إلى إدانة روايــة رشدى ومثلهـا مـن منطلق وضـع الحد الفـاصل والحاسـم بين الحق العلمى والأدبى الجاد والملتزم والخلاق وبين التشهير والسب .

خطاب الخروج من المأزق
الأستاذ فهمى هويدى

الأهرام ٨ / ١ / ١٩٩١

الاحباط الذى أصابنا فى سنة ٩٠ لم يكن سياسيا فقط ، لكنه كان ثقافيا أيضا . الأمر الذى يعنى أن الأزمة أعمق بكثير مما يبدو على السطح ، إذ هى تتجاوز الأنظمة والممارسات السياسية ، إلى وعى وعقل النخبة المثقفة .

فعندما نسأل فى خواتيم العام ، ونحن واقفون بباب القرن الحادى والعشرين : إلى أي شىء ندعو الناس ؟ وما اطارنا المرجعى ؟ وما معاييرنا ومقاييسنا ؟ ثم ما هى مبادئنا ؟ .. عندما نلقى بهذه الأسئلة دفعة واحدة ، فمعنى ذلك أن الالتباس وصل إلى منتهاه ، حتى لم يعد هناك شىء واضح فى حياتنا . وبالتالى فعلينا أن نبدأ من الصفر ، لنحدد من نحن وماذا نريد وإلى أين نسير ...

لقد نقلت هذ الأسئلة من سياق مقال مطول لرئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة ، الدكتور حسن حنفى ، نشره « الأهرام » فى ٢١ نوفمبر الماضى ، تحت عنوان « خطاب إلى الأجياال القادمة » ، عرض فيه لخبرات الماضى واحباطاته فى كل اتجاه ، وكان بمثابة رسالة اعتذار عن الماضى ، ويأس من الحاضر ، واستقالة من المستقبل .

ورغم أن المقال يظل فى نهاية المطاف تعبيرا عن رؤية شخصية لكاتبه ، فإننى ازعم أنه أيضا عاكس لحالة البلبلة الشديدة التى تعانى منها النخب الثقافية العربية ، باختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية .

هكذا ، فبينما برز الحسم واضحا فى الاختيار الحضارى على الجانب الغربى ، حتى ذهب من ذهب إلى أن الانتصار الساحق للمشروع الليبراالى هو نهاية الصراع الفكرى ومن ثم « نهاية التاريخ » ، بينما حدث ذلك عندهم، فإننا

تابعنا على فترات متفـاوتة من العام آيات الحيرة واصداءهـا ، التى عبرت عنها مختلف الرمـوز الثقافية فى مصر . ولان المقام لا يحتمل عرضـا لمختلف صور الخطاب التى صدرت فى هـذا الصدد ، فإننا سنكتفى بالـوقوف أمام نموذجين احدهما يجسد المشكلة ، والثانى يمثل اجتهادا فى حلها .

خطاب المشكلة هو الـذى أشرنا إليه توا للدكتور حسـن حنفى ، أما اجتهاد الحل فـإن النمـوذج الـذى اخترنـاه له هـو مقـال بعنـوان « الخيـار الليبرالى والاستقـرار السياسـى » ، لـلأستاذ السيـد يسين ، الذى كـان مـديرا لمركـز الدراسـت الاسـتراتيجية بالأهـرام ، وقت نشر المقـال فى الثانى والعشريـن من يونيو الماضى .

النموذج الأخر الذى تخيرناه لمدير مركز الدراسات الاسـتراتيجية واعتبرناه بمثابة اجتهاد فى حل المشكلة ، رفض مختلف الخيارات السياسية المطروحة فى السـاحـة ، قائلا : هؤلاء الـذين يدعون أن الإسـلام هو الحل ، والذيـن ينادون بأسلمة كل شـىء ، الاقتصاد من خلال شركات توظيـف الأموال ، والسياسة من خـلال الدعوة إلى الشـورى والخلافة ، والاجتماع من خـلال اعتقاال المرأة التى هى نصـف المجتمع فى البيت . وفى العلوم بـانشاء علوم طبيعية إسـلامية وكذلك علوم اجتماعية إسلامية ، ردا على العلوم «الكافرة » التى انتجها الغرب. هذا الخيـار الإسلامـى الذى يرفـع الإسلام كشعار غـامض ، مـرفوض مهما تصاعدت صيحات أنصاره .

« .. إن انصار السلطويـة السياسية ، ممن يـرفضـون التعددية السيـاسية، ويتحدثون عن التأميم والتخطيط المركـزى بمفاهيم الستينيات ، فإن خيارهم السياسى غير واقعى ، ولا علاقة له بما يحدث فى العالم .

أما انصار الليبرالية المطلقة ، فقد اثبتوا تخلفهم عن متابعة التطورات داخل النظرية الليبرالية الغربية ذاتها !ـ

يبقى خيار، هو الليبرالية الاجتماعية ان صح التعبير، والتى تؤلف تأليفا خلاقا بين الحرية والسياسية والعدالة الاجتماعية فى ظل دولة قوية تمتلك مفاتيح قيادة التطور الاجتماعى وترشيده. دولة تسمح بمجتمع مدنى قوى ولا تخاف منه، بل تشجعه وتدفعه إلى النمو». انتهى.

أيضا فهذا الذى بين أيدينا مجرد اجتهاد شخصى، لكننا بدورنا نذهب إلى أنه تعبير عن تيار فكرى قائم فى الساحة العربية، قد يختلف فى حجمه، لكن لا أحد ينكر أنه موجود ومؤثر فى بعض المواقع والمنابر. وخطابه الذى يبثه يثبت الأزمة ولا يحلها، ويعمق الحيرة ولا يبددها ـ لماذا؟

قبل أن نجيب، فإننا نسجل أننا لسنا فى مقام الدفاع عن كل الذين يرفعون شعار «الإسلام هو الحل»، ونذهب إلى أن قطاعا لا يستهان به منهم يمثل جزءا من الأزمة، لكننا معنيون أكثر بالحقيقة الإسلامية فى ذاتها، وباسهام الإسلام الذى ينبغى ألا ينكر فى مشروع الأمة.

فى اجابتنا سنمسك بالخيط من أوله. من خطاب الاحباط واليأس، الذى وجهه الدكتور حسن حنفى ليس أخطر ما فى الخطاب الناحية الحضارية هو اليأس الذى يقطر من أسطره وفقراته، ولا هو التخليط الذى بدأ فى حيثياته بين المبادئ وتطبيقاتها، أو بين مشروعات مارست السلطة والحكم، وأخرى ظلت مطاردة فى الشارع السياسى، أو بين فشل الأنظمة وفشل الجماهير، ومن ثم الأمة، ولكن الأخطر هو ذلك التعبير عن افتقاد ما قد نسيمه بالمرجعية الفكرية.

إذ نحن بصدد حالة تية مطلق، يتحرك فيها المرء بين الفراغ والظلام. فلا أرض يقف عليها، ولا قيمة يحتكم إليها، ولا «بوصلة» يهتدى بها!

طوق النجاة الذى عرضه صاحب الخطاب الثانى تمثل فيما اسماه بالليبرالية الاجتماعية، التى هى بمثابة توفيق بين الليبرالية الغربية والاشتراكية، كما أشار فى مستهل خطابه.

ولابد أن يدهش أي باحث جاد ازاء المنهج الذى تعامل به الباحث مع الخيار الإسلامـي ، وكيف أنه قـام بتسفيهه بـأسلوب هو أقـرب إلى لغة الاستشراق المبكر (القرن السادس عشر) ، التى تجاوزها بعض المعاصرين منهم .

ولابد أن يـدهش المرء أيضـا ازاء حرص الكـاتب على التماس الاعـذار عن الخطايا التى مـورست باسـم الليبرالية فى مصر ، ونوله : إننـا اقتبسنا أفكارها، ربما بصورة انتقـائية ، لم تعبر تعبيرا دقيقا عـن الظلال المتعـددة فى صورتها الأصلية . وفى الوقـت ذاته فإنه يصر على ادانـة الخيار الإسلامى،بعـد أن عدد بعض السـخافات المنسوبة إليه ، دون أن يبذل جهدا فى التعرف على ما إذا كانت تلك السـخـافات لا « تعبر تعبيرا دقيقا » عن قيـم الإسـلام فيبرئها منهـا كما برا الليبرالية ، أم أنها هى الإسـلام بالفعل ، فيختلف التقدير .

مع ذلك فأمثال تلك الملاحظات ليست هى أخطر ما فى الحل المقترح للمشكلة، أنما الاخطر هو ذلك الاستبعاد الكلى لدور الإسلام فى مشروع النهضـة . وكأنه ليس فى قيـم الإسلام وتعاليمه ، أو فى تجربتـه العريضة وحضـارتـه العظيمة ، فضيلة واحدة يمكن أن تنضـاف إلى الليبرالية الاجتماعية .

وهــذه هى المشكلـة التى أشرنـا إليهـا ، واعتبرناهـا حلا يعمـق الحيرة ولا يبددها .

وهـى جوهـر مـا نريـد أن نتحـدث عنـه ، باعتبـارهـا لب أزمـة المشروع الحضارى للأمة . فأى مشروع للنهضة فى بلادنا يلغى الإسلام ويستبعده هو مشروع منفصل عن ضمير الأمة ، ومحكوم عليه بالفشل والخسران .

حتى إذا جنبنا البعد العقيدى ، وعالجنا الموضوع من زاوية علمية مجردة ، فإننـا لا نستطيع أن نتصور مشروعـا لنهضة أمـة منفصلا عن أهـم العناصر المكونة لهذه الأمة ، سواء أعجبتنا تلك العناصر أم لم تعجبنا .

بالتالى فـإن السؤال الذى ينبغى أن يـدور حوله حوار المخلصين مـن أبناء

الأمة ليس موضوعه بالتـأكيد هو الابقاء على الإسلام أو نفيه ، و لكنه يجب أن ينصب على الكيفيـة التى يمكن أن يوظـف بها الإسلام لخدمة تقدم هـذه الأمة ونهضتها .

نعم .. إن هـذا الحوار حول هذا الموضـوع يصطدم بـالصراع المحتوم بين فصـائل العلمانيين والإسلاميين ، التـى تصر كـل فصيلة فيهما على أن تنفـى الأخرى . وهو صراع بدا الآن متخلفا عن لغـة العصر ، فضلا عن كونه مصدر اضرار دائم بمسيرة العمـل العام . ولسنـا أول القائلين بـأن الـذين يتصـدون للتبشير بمشروع للمستقبل يفقـدون مصداقيتهـم وجدراتهم ، إذا مـا أقامـوا مشروعهم على أساس من استبعاد أي عنصر أو مكون للأمة . ولكن المشروع إذا ما قـام على احتواء مختلف العناصر والقـوى ، واستخلاص ما لديها مـن مدد ايجابى ، يشكل عونا على التقدم وزادا للنهضة .

لقد أن الأوان لكـى تبحث مختلف التيارات الموجـودة فى الساحة عـن نقاط الاشتراك واللقاء فيما بينها ، وان يتجـاوز كل طرف حدود الخنـدق الذى بناه لنفسه واعتصم به ، ومضـى يرشق منه الأخر . وإذا ما انفتـح باب البحث عن المشترك ، وقـرر الجميع أن يلتحقـوا بلغة العصر ومجرى التـاريخ ، فسـوف يكتشفون أن ثمة امكـانا للالتقاء حول العـديد من القيم والقضايـا الأساسية، التى لا مجال فيهـا لأى خلاف فى المرحلـة الراهنـة . بدءا بـالديمقـراطية ومـا تستتبعه مـن ضمانات للحـرية والتـزام بالتعـدية واحترام حقـوق الإنسان ، وانتهـاء بالعـدالـة الاجتماعيـة والتنمية والاقتصـاديـة ، ومـرورا بالتحـرر السياسى والثقافى .

بوسع الإسلاميين أن يقولوا هذه بضـاعتنا ، وبوسـع الليبراليين أن يقولوا كلاما مماثلا ، لكنى أحسب الأمـر ليس منافسة فى الملكية أو الفضل بين جماعة وأخـرى ، وأن التعامـل المسئول مـع الموقف يقتضـى أن يوجـه المتنافسـون

طاقـاتهم للدفاع عـن تلك القيم وليـس رفـع اللافتـات فوقها. والإســلام الذى نعرف هو قيـم ومقاصد ، قبل أن يكون رايـات ترفـع وطقوسـا تؤدى أو حتى سلطة تحكم !

أدرك أن دعوة كهذه لن تلقى ترحيبا أو تـأييدا ، من بعض الذين يقفون على الجانبين ، ولن تسلم من توجس الكـارهين واتهام المتنطعين ، لكن سؤالنا هو : لماذا يتردد ازاءهـا القابلـون والمتفهمون ؟ .. ثـم من قـال أن أى دعوة تتطلـب اجماعا من عموم المستقبلين فى لحظة ميلادها ؟

المراجع العربية

أولاً : الكُتب والدوريات والندوات:

- ابن الجوزى : "**أخبار الاذكياء**" تحقيق محمد مرسى الخولى مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٧٩.
- ابن خلدون ، **الشفاء السائل لتهذيب المسائل** تحقيق اغناطيوس عبد خليفة اليسوعى ، بيروت المطبعة الكايوليكية ١٩٥٦.
- ابو سنة : **فلسفة المثل الشعبى** وزارة الثقافة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر أول مارس ١٩٦٨.
- ابو العدوس ،يوسف : ندوة « **طه حسين ومستقبل الثقافة العربية**» بحث بعنوان « اشكالية الثقافة العربية المعاصرة ومشروع طه حسين ـرؤية عامة – جامعة القاهرة كلية الاداب ١٩٨٩ .
- الاميرى ، عمر بهاء الدين **الحوار نافذة من نور** المسلم المعاصر ربيع الثانى ١٣٩٥ ، أبريل ١٩٧٥ .
- أبوزيد ، نصر : "**الوقائع المسجلة ندوة تحليل النص وديناميكيات لغة الحوار** مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الاهرام يناير ١٩٩١.
- الجابرى ، محمد عابد : **الخطاب العربى المعاصر** ... دراسة تحليلية نقدية دار الطليعة – بيروت – الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٨٥ .
- الجابـرى ، محمد عـابـد : **تكوين العقل العربى** مركز دراسـات الوحدة العربية – الطبعة الثالثة ١٩٨٨ (أول طبعة ١٩٨٤).
- الجابرى ، محمد عـابد : **بنية العقل العربى** دراسة تحليلية نقـدية لنظم

المعرفة فى الثقافة العربية . مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٦) .
- الجابرى ، محمد عابد : **العقل السياسى العربى** . مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ١٩٩٠ .
- السيد يسن ومجموعة الباحثين : **تحليل مضمون الفكر القومى العربى** مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢ .
- السيد يسن : التحليل الثقافى فى أزمة الخليج "**مجلة المستقبل العربى** - مركز دراسات الوحدة العربية ٦/ ١٩٩١.
- السيد يسن : "**خطاب الازمة وازمة الخطاب المأزق العربى**" منتدى الفكر العربى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الاهرام القاهرة ١٩٨٦.
- أيوب،حسن : **السلوك الاجتماعى فى الاسلام** . دار التراث العربى ، القاهرة ١٩٨٧ .
- برهان ، غليون : **اغتيال العقل العربى** ، محنة الثقافة العربية السلفية والتبعية ، بيروت : دار التنوير ١٩٨٥ .
- بدران ، ودوده **البحث الامبريقى فى الدراسات السياسية** ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٩١ .
- حنفي ،حسن : "قراءة النص" **الهرمينوطيقا والتاويل**، مجلة الف العدد الثامن ١٩٨٨.
- حسن - وجيه ،حسن : "الادراك اللغوى وقضية التنمية" مجلة **صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا** العدد ١٤، العام الرابع، أكتوبر ١٩٨٤.
- حسن - وجيه « رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر » **مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة** وكندا ، ديسمبر ١٩٨٦ .

- حسن ـ وجيه ،حسن : "مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى " **المجلة العربية للدراسات الدولية** العدد الاول خريف ١٩٨٧ ، الجمعية العربية للدراسات الدولية بواشنطن د. س
- حسن ـ وجيه ، حسن « البحث الامبريقي بين فجوات علم العلاقات الدولية وتوجهات علم اللغويات . **البحث الأمبريقي في الدراسات السياسية** تحرير د . ودوده بدران ـ مركز البحوث ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩١ .
- جابر العلوانى، طه : **أدب الاختلاف فى الاسلام** . المعهد العالى للفكر الاسلامى هيرندون – فيرجيينيا ١٩٨٧ .
- قاسم، سيزا : " توالد النصوص واشباع الدلالة : تطبيق على تفسير القرار **الهرمينوطيق والتأويل** مجلة ألف العدد الثامن ربيع ١٩٨٨ .
- شرابى ،هشام "**البنية البطركية**" : **بحث فى المجتمع العربى المعاصر** دار الطليعة بيروت ١٩٨٧ (ولقد صدر نفس الكتاب بالانجليزية – الناشر مطبعة جامعة اكسفورد – نيويورك ١٩٨٨.
- شرابى ، هشام : **مقدمات لدراسة المجتمع العربى** ، بيروت الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١ .
- محمد ، عبد العليم **الخطاب الساداتي** ،كتاب الاهالي رقم ٢٧ القاهرة ١٩٩٠
- نصر ، مارلين **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر** (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) دراسة في علم المفردات والدلالة مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨١

ثانياً : المقالات الصحفية

- إبراهيم نافع ، « محاولة فهم الغموض الأردني » الأهرام ٣٠ / ٨/ ٩٠
- أحمد نافع « قبل ضياع الفرصة » الأهرام ٢٦/٨/١٩٩٠ .
- احسان بكر « قبل ان تضيع الفرصة الأخيرة » الأهرام ١٤/٨/ ٩٠

- احسان بكر « ثمن الصمت ..» الأهرام ١٨/٤/٩٠
- السيد يسن ، « المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج » الأهرام ٨/٣/٩١
- اسماعيل صبري ، « أكاذيب صدام » الأهرام ٢٠/٨/١٩٩٠
- أنيس منصور ، « مواقف » الأهرام ١٨/١٢/٩١
- ثروت أباظة « أقتل وبهتان » ٢٧/١/ ١٩٩٢
- جمال بدوي ، « لغز الملك حسين » الوفد ٢٨/٨/٩٠
- حسن حنفي ، « خطاب للأجيال القادمة » الأهرام ـ الحوار القومي ـ ٧/١١/٩٠
- حسن ـ وجيه « المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة » الأهرام ١٣/٨/٩٠
- حسن ـ وجيه ، « المحنة القومية وملف قضية لغة التخاطب » الأهرام الدولي ١/١٠/٩٠
- حسن ـ وجيه ، « الفكر العربي الحديث ومشكلة « لغة التخاطب العلمي » الاهرام ١٦/١١/٩٠.
- حسن ـ وجيه ، « التفاوض اليومي في المجتمع العربي » الأهرام ١٤/١٢/٩٠
- حسن ـ وجيه، « التغيير والحوار التفاوضي في العالم العربي » « الأهرام ٣/١/١٩٩١
- حسن ـ وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ١٥/١٠/١٩٩١
- حسن ـ وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ٦/١٢/١٩٩١
- حسن ـ وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ١٤/٢/١٩٩٢
- حسن ـ وجيه ، « احداث موسكو وانماط من التفاوض العربي » الأهرام ٣/٩/٩١
- حسن ـ وجيه ، « ديمقراطية التعليم ولغة الحوار » الأهرام الاقتصادي ٤/١١/١٩٩١.

- حسـن - وجيـه ، حسن « على الغرب أن يحذر الفـخ الذى ينصبـه رشدى : الجدال الـدائر حول « الآيـات الشيطانيـة » تجاهـل أسس الحوار الفكـرى الإسلامى تـرجمة من الانجليزية لمقـال نشرته جريدة الهويـا الصـادرة عن جامعة جورج تاون واشنطن د . س بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٨٧ .
- خالد محمـد خالد ، « ليست المشكلة في وجود القوات الدوليـة . بل الكارثة في عنانها » الأخبار ١٢/٨/ ٩٠ .
- رجب البنا « عرب ١٩٩٢ » الأهرام ٢٢/١٢/ ٩١
- زكريا نيل ، « لماذا الخلط بين المسلمات الشرعيـة والقضايا الجدلية » الأهرام ٨/٩/ ٩٠
- زكريا نيـل ، « الرموز الغامضـة في لعبة الانكسـار العربي » الأهرام ١/٨/ ١٩٩٠
- سعـد الديـن إبراهيم ، « مبـارك وصدام ومستقبل الأمـة العربيـة » الأهرام ١٦/٨/ ٩٠.
- سعيد سنبل ، « خلط الأوراق » الأخبار ٢٩/١/ ٩١
- سعيد سنبل ، «الأزمة والصمت » الأخبار ٤/٩/ ٩٠
- سلامة أحمد سلامة ، « الحجج الأردنية » الأهرام ١٧/٩/ ٩٠
- سناء أبو الفتح ، « أزمة وتعدي » الأخبار ٢١/١/ ٩١
- عباس طرابيلي ، « الصمت الملعون » الوفد ، ٢٥/٨/ ١٩٩٠
- عبد المنعم سعيد ، « لماذا لانفوز بكأس العالم !» الأهرام ١٩/١/ ٩٠
- عبـد الوهـاب المسيري ، « هل صـدام هو الـذي ربط بين الغـرب وإسرائيل » الشعب ٢٩/١/ ٩١
- فهمي هويدي ، « خطاب الخروج من المأزق » الأهرام ٨/١/ ٩١
- فهمي هويدي ، « خطاب في الكفر والظلم » الأهرام ٢٣/١١/ ٩١
- فيليب جلاب ، « عن الغزو والحرب والتواطؤ » الأهرام ١٤/٣/ ٩١

ـ لطفي الخولي ، « حرب اللاحرب » الأهرام ٢٧/١٢/ ٩٠
ـ محمد عابد الجابري ، « كلام .. الان فقـط أصبح له معنى » . جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية ٢٧/١/٩١
ـ محمد أبو علم ، « جنهم بعده لن تطلب المزيد « الأخبار ٢٠/٢/٩١
ـ مراد الدسوقي ، « حرب الكلمات وكلمات الحرب » الأهرام ١٦ / ١١ / ٩٠
ـ مـرسى عطـا الله « سياسـة الهروب من المواجهـة ليست فى مصلحـة العرب «الأهرام ٦ / ٢ / ١٩٩٢ .
ـــ وجيه أبـو ذكـري ، « إلى زعيـم العالم الجديـد : رفقـاً بـرعايـك » الأخبـار ٩١/١٢/١٣.

المراجع الاجنبية

I Books

Aly, Abdul Moneim Said, "The United States and the October 1973 Middle east Crisis", A **dissertation,** University of Illinois, Chicago, December 1982.

Aron, Raymond, **Peace & War: A theory of International Relations,** Doubleday: garden City- N.Y. 1966.

Ausubel ,D ., **Educational psychology** . Acognitive View, N. Y 1968 .

Barber - James. **Presidential Character, Predicting Performance in the White House,** Prentice-Hall Inc. N.J. 1985.

Bateson, Gregroy, **Steps to an Ecology of Mind,** Ballentine: N.Y., 1972.

Becker, A.L. Text-building , epistemology & aehetics in javanese shadow theatre. in: **The Immagination of Reality** Edited by A.L. Beckr & Aram. Yengoyan Norwood, N.J. Ablex, 211-243, 1979.

Bolinger, Dwight, **Pronouns in Discourse & Syntax,** Edited by Talmy givon New York: Academic Press 289-309, 1979.

Berlson, B. **Content Analysis in Communication Research,** Free Press N.Y. 1952.

Brown, Carl **International Polities & the Middle East,** Princeton University Press 1984.

Brown, Gillian & Yule, George, **Discourse Analysis** Cambridge University Press: cambridge, 1983.

Caldwell, Dan **Henry Kissinger: His personality & politics,** Duke Press Policy studies Durham, N.C. 1983.

Coulthard, Malcolm 257-276 **An Introduction to Discourse Analysis.** London" Longmans, 1977.

Chomsky, Noam, **Aspects of The Theory of Syntax.** The MI.T Press, 1965

--------------------, **Language & Mind,** Harcourt, Brace & World Inc., 1968.

Dittmar, Norber. **A critical Survey of Sociolinguistcs : Theory and Application.** Translated from German by Seter, S. and Peter, et al., Nortin's press: No Y. 1976.

Dubois, F. Edellive et al **A General Rhetoric** Translated by Pone B. Burell & Edger M. Slotken, John Hopkins 1981.

Duetsch, Karl W. **Nationalism and Social Communication: An Inquiry into Foundations of nationality,** 2nd Ed. AIT: cambridge, MA.; 1966.

--------------------, The Analysis of International Relations, Prentice - Hall, inc. N.J. 1978.

Edelman, M. **Political Language: Words that succeed and politics that Fail,** Academic Press: N.Y. 1874.

Edelman , M. **Political Language & Political Reality** P.S., 1985.

Edelman , M. **Politics as Symbolic Action.** Academic Press, N.Y., 1971.

Fowler, Roger, et al **Language & control**, Routledge & Kegan Paul Ltd., London, Boston. 1979.

Frazer Noill M. & Hipel, H. **Conflict Analysis: Models & Resolutions,** North & Holland. New York, 1984.

Goffman, Erving. Strategic Interaction, University Pennsylvania Press, 1969.

Grice, H.P. **"Presupposition & Conversational Implicature",** in Cole's ed. 1981.

Gumperz John "Sociocultural knowledge in Conversational Inference". from Muriel **Saville - Troike, ed.** GURT G.U. Press, Washington D.C., 1977.

Gumperz John , The Social Setting of Linguistic Behavior, **In Slobin, 1967.**

Gumperz John, "Thematic Structure & Progression in Discourse in **Language and Social Identity,** Cambridge University Press, Inc. London, 1982.

Habeeb, M. William. **Power & Tactics in International Negotiation,** the Johns Hopkins University Press:

Bultimore, Mary land, 1988.

Hassan, Wageih, H. "A linguistic Analysis of Mechanisms Underlying Power in International Political Negotiations "A **dissertation,** Georgetown University, Washington D.C. 1989.

Heider John, **The Tao of Leadership: Leadership Strategies For A New Age,** Bantam Books, N.Y., 1985.

Holsti, K.J., **International Politics: A framework for Analysis,** (1st Edition, 1966) Prentice Hall: New Jersey, 1988 edition.

Hymes, Dell. "Verse Analysis of a Wasco Text": **Hiram Smith's At'unaqa;** IJAL 46.650-77. 1980

Ikle, F. **How Nations Negotiate,** Institute for Diplomacy Washington D.C. 1988.

Institute for the study of Diplomacy of Georgetown University **U.N. Security Council Resolution 242: A case study in Diplomatic Ambiguity,** Washington D.C., 1985.

Labov, William, **Sociolinguistic patterns;** University of Pennnsylvania Press, and Oxford: Blackwell, 1972.

Labov , W and Fanshel , D . Therapeutic Discourse, N . Y . Aeademic pvess 1977

Lado, R. **Linguistics Across Cultures**, Ann. Arbor, Mich. 1957.

"How to test Cross - Cultural understanding in R . **Lasdo, Language testing** . London : Longmans, Green, 1961

N.Y . Mc Gran - Ilill 1964, PP . 275 - 89

Laffin, John, **The Arab Mind Considered: A plea for Understanding,** N.Y. Japlinger 1975.

Lane-Poole, Stanley, SALADIN **and TheFall of the Kingdom of Jerusalem,** G.P. Putnam's Sons, N.Y., 1978.

Lasswell, harold, "The Language of power" in **language of politics: studies in quantitative semantics** (H.D. Lasswell & N. Listes), George Stewart Publisher, Inc., : New York 1949.

Lyons, John **Language and linguistics** , Cambridpe Univeisity Press 1981

Mallery, .C. "Computing strategic language: Natural language Models of Belief & intention", **Meeting of the International Political Association.** Washington D.C. 1987.

Nicolson Harold, **Diplomacy,** Institute for the Study of Diplomacy, Georgetown University, Washington D.C. 1988 (ed.).

Jespersen , oHo , **Language : its Nature , Development and origin,** London : Allen & Nmwin, 1922 .

Patai, Raphael, **The Arab Mind,** Charles Scribner's Sons, N.Y., 1983.

Quandt, William, **Decade of Decisions, American Policy Toward the Arab Israli Conflict, 1957 - 1976,** University of California Press: Los Angeles, 1977.

RadFord, K.J. **Complex Decision Problems,** Reston Publishing Company, Reston, VA, 1977.

Rorty, Richard: **The Linguistic Turn: Recent Essays in Philosophical Method,** University of Chicago Press : Chicago, 1967.

Rieke, R and Malcolm Sillars **Argumentaton and the Decision Making process** scott, Foresman and Company Glenviem, Jllinois 1984.

Samarin, William J. **Language in Religious Practice.** Rowley, Mass: New Bury House. 1976.

Saville-Troike, Muriel 1985: "The place of silence in an Integrated theory of Communication in Deborah Tannen & Murial Saville - Troike (eds.), **Perspective On Silence,** Ablex: Norwood, N.J. 1985.

Shapiro, M.J. : **Language & Political Understanding.** Yale University Press, 1981.

Shuy, Roger 1981 "Topic as the Unit of Analysis in a Criminal Law Case" in **DT. (ed)** GURT Washington D.C.

Shuy, Roger. "Conventional Power in FBI Covert Tape Recordings, in **Leah Kedar, eds.,** 1987.

Snyder, Glenn. and Diesing, Paul. **Conflicts Among Nations : Bargaining, Decision making and system structure in International Crises,** Princeton University Press : NJ. 1977.

Stubbs, Michael. **Discourse Analysis : The sociolinguistics Analysis of Natural Language,** The University of Chicago Press : Chicago, IL, 1983.

Tannen, Deborah & Muriel Suvlle-Troike, eds. **Perspective, on Silence.** Ablex Norwood, N.J., 1985.

Tannen, Deborah, **That is Not What I Meant** . William Morrow & Co. Inc., N.Y. 1986.

Tannen, Deborah The pragmatics on cross-cultural communication, **Applied Linguistics**, Vol., 5, No.3, 1984.

Weinstein, Brian: **The Civic Tongue : Political Consequence of Langauge Choices,** Longman, London, 1983.

Yassin, El Sayed. "In Search of a New Identity of the Social Sciences int he Arab World : Discourse, Paradigm, and Strategy in **The Next Arab Decade : Alternative Futures,** Ed. by H. Sharabi (English Version), West View Press : Colorado, 1988 (Arabic Version issued in 1986).

Young, O.R. The Intermediaries : Third Parties in International Crisis, Princeton University Press : Princeton, 1967. periodi cals

Periodicals

Azar, Edward, "The Conflict & Peace Data Bank (COPAB) Project, **Journal of Conflict Resolution,** Vol. 24, No. 1, March, PP. 143-52, 1980.

Bate walter, J. "The Crisis of English Studies, in **Harvard magazine,** Sep.- Oct. 1982, PP. 46-53.

Becker, A.L "The Linguistics of Particularly", **BLS** 10, 1984.

Bell, David. "International negotiations and Political Linguistics," **Unpublished paper,** York University, Politicial Science Rept. Ontario, Canada, 1988.

Chaika, E., 1974, "A Linguist looks at schizophrenic language", **Brain & language,** Vol. 1 PP

Cicourel, Aron V. :"Discourse & Text: Cognitive & Linguistic Process in Studies of Socio structure" **Versus** 12.33-84, 1975.

Dubby , G and J . c . Mallery " RELATus an artiFicial Intelligence Tool For natural languege Modeling, "Praper presented at the 1986 **Meeting of the International studies** Association , Anaheim , March, 1986.

Eco, Umberto. Dr. Eligia, Dolbuox Deassman (An Interview) in **Al-Calfé** sacramento, CA. December 1983.

Fraser Bruce "Disputing: The Challenge of Adversative Discourse to the cooperative Principle" in **Tomic & Shuy eds,** 1987.

Hassan-Wageih ,H"Going beyond Notional Functional Syllabuses " **SECOL Review** Vol. X1 #1. 1987.

Hassan-Wageih, H The West Must beware Rushdie's Trap : Contvoversy over " satanic Verses Ignores Islamic Intellectual

Tradition **The Hoya** , Georgetown University Feb .28, 1989

Hassan -Wageih ,H "Towards a Field of Political Linguistics: Implication for Creativity in EFL classes **CDELT.,** Ain Shams University 1991.

Johnstone, Barbara, "Parataxis in Arabic : Modificationas a Model for Persuation", an **Unpublished Paper,** Georgetown University, 1985.

Koch, Barbara Johnstone, "Presentation as Proof: The Language of Arabic Rhetoric", in **Anthropological Linguistics,** 251 : 47 - 60, Spring, 1983.

Mallery, .C. "Computing strategic language: Natural language Models of Belief & intention", **Meeting of the International Political Association.** Washington D.C. 1987.

Mallery, J. & G. Duffy "A Computational model of semantic perception **AI mimo,** No. 977, Artificial intelligence laboratory, MI Cambridge, 1988.

Mandler , J . M and Johnson , N . S . " Remembrance of Things porsed : story strueture & recall **Cognitive pcychology** 111 - 51 1977

Matsubara,Nozzomu, Conflict and Limits of Power, **XIVth World Congress of International Poliical Science Association,** 1988.

Mehan , Hugh " Sucial Constructivism in psychology and sociology . Sociologie et societies Inc . 277 - 96 1982.

Newsweek , Aug . 12 1990

.................., Aug . 20 1991

OnuF , Nichholas " After International Relntions : The Constitution of Disciphines and Their worlds ", apaper presented at **American political science Association** , Chicago, Illinois, sep . 1987 .

Shuy, Roger 1981 "Topic as the Unit of Analysis in a Criminal Law Case" in **DT. (ed)** GURT Washington D.C.

-------------------, "Conversationol Power in FBI Covert Tapev Recordings, in **Leah Kedar, eds.,** 1987.

-------------------, "Indirectness In Discourse, Ethnicity as Conversational Style, **Discourse Processes,** 1981.

Ting-Toomy, S. "Toward a Theory of Conflict and Culture "International & Intercurltural **Communication Annal** 9, pp. 71 - 86, 1985.

Widdowson, H. "Notional - functional Syllabuses" Part IV" In **Exploration in Applied Linguistics,** London, 1979.





هذا الكتاب

هـذا الكتاب يمثـل أول محاولـة علمية تهدف إلى فتـح ملـف "قضية لغـة التخاطب" فى الوطن العربى . ويـؤكد هذا الكتاب على ارتباط عمليات التفاوض الاجتماعى بعمليـات التفاوض السيـاسى مـن ناحيـة ويربـط ، من النـاحية الاخرى، تفـاعلات ازمة الخليـج بازمة لغـة الحوار المزمنة على مستوى كـافة التيارات بـالوطن العـربى .. الامر الذى ابـرز على الساحة مـايريد الكـاتب أن يسميه "**بخطاب الفاولات**" الذى يجسـد بدوره ظاهـرة من اخطر ظـواهر التفاعلات العربية وهى الخاصة بسلبيات الحوار . فهذه السلبيات لاترجع إلى وجود ازمـة اخلاقية فقط كما يـرى ذلك جمهرة كبيرة من البـاحثين واعضاء النخبة العـربية . ولكـن الامر يـرجع اسـاسا إلى افتقـاد التآلـف مع تقنيـات وديناميكيات التفاعلات العلمية وخاصة اساليب اقامة وتفنيد الحجج . من هنا يحاول هذا الكتاب معالجة الاسئلة التالية :

(١) ماذا عن منظور "لغويات التفاوض" والذى يقدمه الباحث من خلال هـذه الدراسـة وماذا عـن منهجيـة دراسة النصـوص والتفاعـلات الحوارية ؟

(٢) ماهى عناصر عمليات التفاوض التى صاحبت تفاعلات ازمة الخليج ؟

(٣) ماهى مكونات "خطاب الفاولات" ؟ ومـا هو مدى تأثيره على كل من عمليـات التفاوض العـربية الـدوليـة (أى من منظـور تحليل عمليـة الاتصـال عبر الثقافات (Cross- Cultural Communication)وعمليات التفاوض العربية العربية (أى من منظور تحليل عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة (Intercultural Communication) .

(٤) ماهى عناصر مهارات التفاوض السياسي والاجتماعي طبقاً « لمنظور » لغويات التفاوض ؟



هذا الكاتب

* حصل على :الدكتوراه فى اللغويات والعلوم السياسية من جامعة جورجتاون بواشنطن د.س ١٩٨٩ ، ماجستير علوم فى علم اللغويات النظرى من جامعة جورجتاون ١٩٨٥. ماجستير لغويات تطبيقية من جامعة تكساس ١٩٨١ . ليسانس الاداب من كلية اللغات / جامعة الازهر ١٩٧٧ .
* يعمل حالياً محاضراً فى كلية اللغات والترجمة الفورية بجامعة الازهر وبالجامعة الامريكية بالقاهرة .
* عمل استشاريا فى مجال الترجمةو البحث والتحرير بالبنك الدولى بواشنطن فى الفترة من ١٩٨٣ : ١٩٨٦- كذلك قام بالتدريس والقاء المحاضرات فى عدة جامعات امريكية اثناء فترة ابتعاثه بالخارج (من ١٩٨٣: ١٩٨٩).
* شارك بالابحاث فى العديد من الندوات والدوريات العلمية فى مجالات اللغويات والعلوم السياسية والترجمة الفورية وطرق تدريس اللغات الاجنبية ودعى لالقاء سلسلة من المحاضرات عن التفاوض من منظور " اللغويات السياسية " بالمعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية المصرية وبعدد من الجامعات المصرية .
* ساهم في تأسيس الجمعية العربية للدراسات الدولية وكان رئيسا لاتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا لفرع واشنطن العاصمة أثناء فترة ابتعاثه بالخارج .
* ينشر العديد من المقالات الصحفية بالصحافة العربية والاجنبية .
* اصدر مؤلفه الأول بعنوان «نحن والآخرون : اطار تحليلى لتدريس مادة النظم والحضارة» ١٩٩٠ .
* يعمل حالياً على وضع مؤلفه الثالث بعنوان «النخبة وخليج ١٩٩٠» .

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلي نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرةوبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة .

■ مركز ابن خلدون

للدراسات الإنمائية

هو مؤسسة بحثية مستقلة مسجلة في جمهورية مصر العربية ويقوم المركز بالدراسات والبحوث التطبيقية في مجالات الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وينشر نتائجها على أوسع نطاق ممكن في الوطن العربي والخارج بشكل مستقل أو بالمشاركة مع مؤسسات ثقافيةعربية وعالمية لها نفس الأهداف التنويرية والتنموية

مركز ابن خلدون
للدراسات الإنمائية
١٧ ش ١٢ المقطم . القاهرة
ت: ٥٠٦١٦١٧ ـ ص. ب ١٣
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠(٢٠٢)
تلكس: ٢١١١٣ صبرا

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ ـ الكويت
ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة

